(رواية)

خطيئة وشيطان

فهرسة أثناء النشر/ إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية. إدارة الشئون الفنية

صقر؛ محمود

خطيئة وشيطان (رواية)/ د.محمد الوكيل/ ط ١ / القاهرة: مركز الكتاب للنشر، ٢٠١٦م.

٣٢٠ ص؛ ١٤×٢٠سم

تدمـــــك:

رقم الإيداع:

دار النشـــــر:	مركز الكتاب للنشر
عنـــوان الكتـــاب:	خطيئة وشيطان
المـــــؤلــف	د.محمد الوكيل
رقـــم الطبعـــة:	الأولى
تاريـــخ الطبـــع:	٢٠١٦
تنسيـــق عـــام:	سلوى الكشكي
التصميم الداخلي:	سامح غريب
تصميـــم الغلاف:	م. هبة إمام



مركز الكتاب للنشر

شارع الهداية بلوك ١٨ قطعة ١ - حى السفارات - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٠١٢٢٧٣١٠٠٤٢ - ٢٣٥٢٢٠٩٥

فاكس :٢٣٥٢٢١٥٤ - ٢٢٦٣٦٨٥٠

E.mail: markazelkitab@hotmail.com

(رواية)

خطيئة وشيطان

د. محمد الوكيل

مركز الكتاب للنشر
٢٠١٦



إهـداء ...

إلى.. من عشت بداخلها نطفة ثم مضغة ثم جنين..

إلى.. من أطعمتني ورعتني طفلاً رضيعاً وظللتني بروحها وجسدها وعقلها حتى أسلمت روحها..

إلى.. أحن قلب ضمني وأرق إحساس احتواني وأعظم مثال للكفاح والصبر والمثابرة أعيش في ظله..

ستظلي يا أمي تسكني في أعماق وجداني وتعيشي في عقلي وكياني.

أسائلكم جميعاً الدعاء لها بالرحمة والمغفرة.

مقدمة

سبحان الذي خلقنا شعوبًا مختلفة اللون واللسان. سبحان الذي يزن الأشياء بما لا نقدر على فهمه. سبحان الذي يغفر و يرحم و يعفو و يتوب. سبحان الذي يمهل الخاطئ ولا يهمل خطيئته.. يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الشمس الآية «٧-١٠»: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾.. وقد جاء في التوراة «العهد القديم» سفر أشعياء الإصحاح ٤٥: ٧ (مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ صَانِعُ السَّلاَمِ وَخَالِقُ الشَّرِّ. أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ هذِهِ) وفي العهد الجديد «الإنجيل» رسالة يوحنا الأولى الإصحاح الأول: ٨ - ١٠: (إِنْ قُلْنَا إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا. إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَ يُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ. إِنْ قُلْنَا إِنَّنَا لَمْ نُخْطِئْ نَجْعَلْهُ كَاذِباً، وَكَلِمَتُهُ لَيْسَتْ فِينَا).. فمن منا لم يرتكب الخطيئة حين يتناسى مبادئ الأخلاق وتعاليم الدين؟

ومن منا معصوم من الخطأ؟ فهل يستطيع أن يعيش الإنسان في مجتمع تغلفه حياة اللذة والمتعة ويخيم عليه سحب الشر وتعتريه أنفاس المفسدين و يظل بلا خطيئة؟.. ماذا يفعل الإنسان عندما تبث خطيئته

على العامة و يتناقلها السُفهاء و يتداولها الفاسدين في ظل مجتمع لا يعرف قيود على الحرية ولا ضوابط على القيم وتاهت منه قيم التسامح وروح المحبة؟..

ماذا تفعل سيدة عاصية ارتكبت خطيئة الزنا عندما كانت فتاة في سن المراهقة وتابت وطلبت المغفرة وأحسنت في توبتها لكن الشيطان كان على موعد معها بعد عشرين عام ليهددها بفضح أمرها و يُبث خطيئتها على شبكة الإنترنت حتى يتعرف عليها أولادها وزوجها وأهلها وجيرانها؟.. تخيل ماذا يفعل الزوج الذي عشق زوجته ورأى فيها الزوجة الصالحة المتدينة. هل يستطيع أن يهدم جبال الجليد التي غلفت قلبه تجاه رفيقة حياته؟ هل يستطيع أن يُخمد براكين العنصرية الذكورية ويغفر لزوجته خطيئة ارتكبتها قبل أن تعرفه؟.. تخيل ما الذي يحدث لابنها الذي أصبح شاباً يافعاً كان ينظر إلى أمه نظرة تبجيل واحترام. هل تستطيع مواجهة النظرات الناحرة والعقول الآثمة وألسنة الفِرى داخل مجتمع القيل والقال؟.. تخيل ما الذي يحدث لأبنتها الفتاة ذات الثمانية عشر ربيعا التي ارتبطت بأمها وتعلمت منها الطهارة والعفة. هل تستطيع أن تخرج من دوامة وساوس المفسدين وتهرب من مغارة الشر التي ينصبها صائدي المحن؟.. عزيزي القارئ تعالى معي نتصفح الرواية منذ بدايتها حتى نهايتها لنتعرف على شياطين الإنس التي تدمر حياة الأبرياء.

الفصل الأول

فحيح الفجور في آذان خَطَّاءَةٌ

الأيام تمضي والشهور تمر والسنوات ترمح ويظل الإنسان يهيم في الحياة يصارع الحاجة ويدور في فلك الغريزة أحياناً، ويبحث عن الخلاص الأبدي فيتمسك بالعقيدة الروحية التي تبعث فيه الأمل في الخلود. ورغم اختلاف العقائد الروحية التي تداولها البشر منذ تواجده على كوكب الأرض فكلها تسعى نحو سمو الإنسان وتميزه عن الحيوان؛ فالأديان بمختلف توجهاتها الفكرية والروحية تهدف بالأساس إلى وضع ضوابط وقيود على الغرائز وتقنن ممارسة الإنسان لحقوقه الطبيعية وفقاً لظروف الزمان والمكان. وعلى مر الزمان يمثل الصراع بين الخير والشر في حياة الإنسان محور ارتكاز في الحضارة البشرية؛ فكلما اتسع مفهوم الخير ليشمل الأفعال والنواهي التي ترتقي بالإنسان كلما ازدهرت الحضارة الإنسانية، بينما يعيش الإنسان كالحيوان كلما اضمحل مفهوم الخير. وفي عالمنا المعاصر الذي نعيشه تطور الصراع بين الخير والشر فاختلطت المفاهيم وتبلورت حبات الخير والشر معاً وأصبح من الصعب على الكثير استخلاص الخير وتدارك القيم التي ترتقي بالحضارة الإنسانية؛ فالتقدم

التكنولوجي الذي جعل العالم وكأنه قرية صغيرة خلف وارءه سيريالية اجتماعية وتكعيبية ثقافية وتشوهات فكرية كانت إحدى الأسباب الرئيسية في انحطاط القيم وتكالب الإنسان على حياة اللذة والمتعة حتى لو حصل عليها فوق انقاض الضمير الإنساني. ومن أكثر القضايا التي أحدثت وما زالت تحدث شرخاً في الحياة الاجتماعية والثقافية والأخلاقية قضية الاستخدام السيء لشبكة الإنترنت الدولية؛ حيث يتم استخدامها أحياناً كثيرة في اتجاه معاكس لمنظومة القيم الاجتماعية والأخلاقية لمجتمعاتنا الشرقية في ظل غياب التربية الاجتماعية الصحيحة واضمحلال الوازع الديني فتُنتهك القيم وتُغتصب العادات الاجتماعية وتُذبح التقاليد يومياً بواسطة أشخاص لم يعد لديهم بال غير تحقيق رغباتهم الشيطانية ومأربهم الخبيثة وأغراضهم المريضة عن طريق ميديا الإنترنت التي التهم ضمائرهم قبل أن يلتهم عقولهم.

مع بداية العقد الأخير من القرن الماضي كانت منطقة الشرق الأوسط على موعد مع غول الأطماع الاستراتيجية متعددة الأوجه (الديني - الاقتصادي - العنصري) للدول الغربية فكانت حرب الخليج الأولى (حرب تحرير الكويت) هي أول ضربات مخالب الغول في جسد المنطقة العربية التي ظل الكثير من حكامها يعتقدون أن الغول جاء ليحميهم من شرور أنفسهم وسيئات أعمالها غير مدركين أنه جاء ليوقعهم فيها. تلك الحرب الدراماتيكية المفبركة خلفت وراءها موجات من الخلخلة الفكرية الممنهجة صاحبتها ظهور وسائل تكنولوجية ساهمت في نشر المفاسد التي كانت تبغي بالأساس إلى هدم القيم الدينية والأخلاقية

للمجتمعات العربية، وترسيخ العمل على ظهور جيل جديد من الشباب لا يدين بالولاء إلا لمصالحه وأهوائه ونزواته. هذه المخالب الخبيثة وجدت جسد غالبية المجتمعات العربية هشاً رخواً قد تفش بداخله الأمراض الاجتماعية الناتجة عن الجهل والفساد والقهر والاستبداد بعد سنوات من التخبط الإيدلوجي وفشل الخطط الاستراتيجية القومية التي تشدقت بها الأنظمة الحاكمة عقب رحيل الاحتلال العسكري الغربي لتتبدد الأحلام وتُفترس أماني البسطاء في وطن يحتويهم ويظلهم ويحميهم من مماليك ومرتزقة السلطة والنفوذ.

مع غروب شمس اليوم الثاني من شهر أغسطس ١٩٩٠م جلس «عفيفي مرزوق» في شرفة غرفة نومه التي تطل على حمام السباحة بقصره الكائن بشارع الثورة بحي مصر الجديدة وهو يدخن السيجار الكوبي يتأمل لحظات من الماضي البعيد عندما جاء لأول مرة إلى هذا القصر «قصر المرعشلي باشا» منذ أربعين عامًا ليحصل على مبلغ خمسة جنيهات كعطية من زكي باشا بمناسبة حصوله على الشهادة الابتدائية حيث كان والده «مرزوق شاكر» يعمل الساعي الخاص للباشا. ومع انغماس الليل وتلألؤ نور المصابيح على سطح مياه حمام السباحة تعاقبت أحداث الماضي في ذاكرة عفيفي ليسترجع كيف استطاع، وهو أحد أبناء طبقة البلوريتاريا الكادحة الذي يسكن إحدى حارات حي السيدة زينب في شقة متواضعة ضمن عائلة مكونة من أب راتبه يكاد يفي باحتياجاتها اليومية لإطعام ابن وابنة وزوجة أن يتخرج من كلية التجارة جامعة القاهرة في عام ١٩٦١م ليعمل في مصلحة الجمارك ثم يتجه مع التحول الاقتصادي الذي شهدته

مصر في منتصف سبعينات القرن الماضي إلى دخول عالم التجارة ويصبح في خلال بضع سنوات على رأس رجال المال والأعمال في مصر. الوازع الديني والأخلاقي داخل نفس عفيفي البشرية، الذي دخل في غيبوبة منذ سنوات عديدة عندما بدأ في التربح من وظيفته كمراقب على الجمارك بمطار القاهرة ليصل به الأمر إلى تسهيل دخول شحنات من الهيروين، اهتز للحظات عندما تذكر والديه اللذان تبرأ منه عند علمهما بمصدر ثرائه المفاجئ وماتا وهما غير راضيين عنه فأخذ يردد في صوت خافت: الله يرحمك يا أبي. الله يرحمك يا أمي عشتما في شقاء ورفضتما التمتع بنعيم الدنيا.. وفي تلك اللحظة تدخل زوجته فريال السباعي (سيدة في منتصف العقد الخامس تتمتع بمظهر وخلقة حسنة. تنتمي إلى الطبقة البرجوازية التي تسيدت المجتمع المصري عقب سياسة الانفتاح الاقتصادي التي شهدتها مصر حيث كان أبوها أحد كبار مستوردي المواد الغذائية الذين حققوا ثروات طائلة خلال عقد السبعينات والثمانينات من القرن الماضي ولم ينجب غيرها وورثت منه ثروة طائلة. تزوجت من «عفيفي مرزوق» في بداية سبعينات القرن الماضي بعدما استطاع الاستحواذ على قلبها؛ فمن خلال تسهيل إجراءات استيراد البضائع للشركة البسيطة التي كان يمتلكها فايز السباعي «والد فريال» أقام عفيفي علاقة صداقة حميمة مع عائلتها انتهت بالمصاهرة) وهي ترتدي أزياء سهرة فاخرة ومجوهرات تتلألأ في الضوء الخافت قائلة:

سأذهب بعد الحفل إلى فيلا السباعي بصحبة مصطفى لأحضر بعض التحف التي اشترتها المرحومة أمي من صالة المزادات بأثينا.

عفيفي بعدما ينظر إليها نظرة صامتة يقول بصوت لامبالاة: افعلي ما شئتي.

فريال بصوت تساءول بعدما امعنت النظر في عيون زوجها الشاردة لبضع لحظات: ماذا بك؟ هل هناك شيء يحزنك؟

عفيفي بعدما يتخلص من هموم ذكريات الماضي: لا شيء يحزنني. كل ما هنالك أنني مصاب بصداع واحتاج لبعض الراحة.

فريال: كنت أتمنى أن تأتي معنا الحفلة. فنحن الثلاثة لم نخرج معاً منذ فترة. وأنت ومصطفى دائماً خارج البيت وحتى المناسبات والأعياد لم أعد أراكما فيها.

عفيفي بصوت به نبرة حزن: كنت أتمنى أن يكون ابني الوحيد على قدر المسئولية. لكن للأسف أنا أراه غير مكترث بدراسة ولا عمل. عندما كنت في مثل عمره (٢٠ عام) كنت أعمل حتى استطيع توفير مصاريف دراستي. وهو بالكاد حصل على الثانوية العامة بعدما رسب فيها ثلاث سنوات.

فريال بصوت أمومة عاتب: هكذا أنت دائماً يا عفيفي. دع مصطفى يعيش سنه. لا تقسو عليه فنحن لم ننجب غيره.

عفيفي يبتسم ابتسامة ساخرة ويقول بصوت تعجب: اقسو عليه! يا حبيبتي أنتِ تفرطي في تدلليك له، وأخشى أن يؤدي ذلك إلى فشله.

فريال بصوت طمأنة وهي تنظره نظرة حنونة: لا تخف يا حبيبي. ابني سيكون مثل والده رجل ناجح. ثم تتقدم نحوه وتقبل جبينه قائلة: سأراك عندما أعود.

❑❑❑

وبعدما تغادر فريال يتوجه عفيفي إلى غرفة نومه ليشاهد التلفاز ويفأجأ بكارثة اجتياح القوات العراقية للأراضي الكويتية فيظل في حالة صمت قاتل خلال مشاهدته لعملية اجتياح الكويت؛ فاستثماراته في دولة الكويت خلال الثلاث سنوات الماضية تخطت كل ثروته حيث شارك مع بعض الكويتين في الحصول على ترخيص إقامة مجمعات سكنية في العاصمة الكويتية بجانب شركة امتياز صيد ومصنع تعبئة الأسماك. وبعد بضعه ساعات من القلق والتوتر يقرر عفيفي الذهاب إلى منزل شقيقته حكمت التي جاءت هي وابنتها شرين منذ بضعة أيام في أجازة سنوية من الكويت؛ فزوجها جابر الشموتي وابنها علي متواجدين في مدينة الكويت ضمن فريق الإدارة المسئول عن إدارة المشروعات التجارية هناك. وفي الطريق من شارع الثورة حتى ميدان السبع عمارات، حيث يقع منزل جابر الشموتي، كان عفيفي يستمع إلى نشرة الأخبار في حالة ذهول صامت وكادت تعبيرات وجهه أن تنفجر من شدة الضغط العصبي والنفسي عندما كان يتحسس فقدانه لثروته، استفاق على صوت حسانين السائق وهو يقول: يا معالي الباشا تليفون السيارة يرن.

عفيفي بصوت خافت حزين: رد يا حسانين وأخبر المتصل أنني غير موجود معك. أنا لا أريد التحدث مع أحد.

فيسارع حسانين بالرد بصوت متأدب: اهلاً معالي الباشا. عفيفي باشا غير موجود بالسيارة. لقد أمرني أن أعود إلى القصر حيث سيتوجه إلى مشوار خاص به ولن يحتاج إلى السيارة. حاضر يا افندم. وعليكم السلام

ورحمة الله وبركاته.. ثم ينظر في عيون عفيفي الشاردة الحزينة ويقول: يا افندم. فريد باشا النجار قال لي «ابحث عنه في أي مكان واخبره انني اريده على وجه السرعة في شيء لا يحتمل التأخير».

عفيفي يهز رأسه غير مبالي بما سمعه ثم يقول عقب وصول السيارة إلى منزل شقيقته: لو اتصل أحد غير زوجتي أو ابني لا تخبره بمكاني.

فيسارع حسانين بالنزول من السيارة ليفتح الباب الخلفي وهو يقول بصوت طاعة: حاضر يا افندم.

❑❑❑

وبعدما يصعد عفيفي إلى منزل شقيقته يجدها هي وابنتها في حالة نفسية صعبة حيث فشلا بالاتصال - بمنزلهما في مدينة الكويت فيُهدأ من روعيهما ثم يتوجهوا ليجلسوا في صالة الاستقبال ليخيم على المكان الصمت لبضع دقائق حتى يرن جرس التليفون فتتوجه شرين بخطوات يائسة لترد على الهاتف حتى أن سمعت صوت المتصل تدب الروح في ملامحها وهي تصرخ قائلة: بابا. أنت بخير. احمدك يا رب. علي بخير.

فتهرع حكمت لتنقض على سماعة التليفون وهي تصرخ وتعبيرات وجهها تكاد تنفطر قلقاً على ولدها: علي فين؟

علي: الحمد لله نحن بخير. لا تقلقي يا أمي.

فتنخرط حكمت في بكاء شديد من شدة الفرحة وهي تقول بصوت أمومة حانية حمل نغمات عتاب صارخ: لماذا لم تتصل بي؟

علي: اعذرينا يا أمي الأمور صعبة هنا وكنا ندبر أمر الشركة. هل خالي هنا؟

حكمت: نعم عفيفي موجود. اعطني أباك أريد الاطمئنان عليه. ثم تجفف دموعها قائلة: كنت سأجن من قلقي عليكما. متى ستعودان إلى القاهرة؟.

جابر: نحن بخير يا حكمت. أريد التحدث إلى عفيفي. سأتحدث إليكِ مرة أخرى.

حكمت: الحمد لله أنكما بخير.. ثم تنظر إلى شقيقها وتقول: جابر يريد التحدث معك.

عفيفي يتوجه نحو التليفون ويلتقطه من شقيقته ليقول بصوت لهفة ونبرة قلقة: الحمد لله أنكما بخير. اخبرني عن الأحوال عندك؟

جابر: الحمد لله على كل حال. الأحوال هنا غير مطمئنة والقوات العراقية في طريقها لإحكام قبضتها على كل مداخل ومخارج البلاد، والأمور تسير نحو المجهول. لقد استطعت أخذ الأموال السائلة من خزينة المصنع والشركة صباح اليوم تقريباً (مليون دولار وربع مليون دينار) عندما علمت بخبر الغزو وقبل تدمير المصنع بساعات قليلة حيث استخدمته قوات الدفاع الوطني الكويتية لصد الهجوم.

عفيفي بصوت استغاثة متوتر: افعل أي شيء حتى تستطيع إحضار تلك الأموال. خسارتنا كبيرة وتلك الأموال قد تكون طوق النجاة من الإفلاس.

جابر: اطمئن سأبذل كل جهدي حتى أحضر تلك الأموال. آه هناك خبر حزين. الشيخ صالح وأولاده ماتوا جميعاً أثناء اجتياح القوات العراقية للمدينة.

عفيفي بصوت مزج بين اللامبالاة والحزن: الله يرحمهم. الحمد لله أنك بخير وعلي بخير. خذ كل احتياطاتك وحاول الإسراع بالحضور.

جابر: في فجر الغد سنتوجه أنا وعلي إلى الحدود السعودية ثم إلى مدينة الرياض، ومن هناك سنرسل لك الأموال عن طريق البنك قبل عودتنا إلى القاهرة.

عفيفي بصوت مهموم وملامح حزينة: اشكرك يا جابر واتمنى لك التوفيق. ارجوك اتصل بنا عندما تستطيع.

جابر: الله المستعان. لو حدث لي مكروه اهتم بأمر شرين وحكمت.

عفيفي: بإذن الله ستعود لنا سالماً أنت وعلي. لا تشغل بالك على حكمت وشرين. في رعاية الله. حكمت معك.

وبعد حديث استمر بضعة دقائق يتبادل خلالها كل من علي وجابر الكلمات الحانية الودودة مع كل من حكمت وشرين تنتهي المحادثة بدعاء الزوجة والابنة لله بعودة الأب والابن والأخ سالمين. ويظل عفيفي خلال فترة وجوده بمنزل شقيقته يطمئنها ويشد من أزرها حتى ينصرف عائداً إلى قصره في وقت متأخر من الليل وقد أنهكه التفكير في المصيبة التي أحلت به والتي قد تعرضه لخطر الإفلاس وضياع كل الأموال التي

جمعها خلال الثلاثين عام بجانب الأموال التي ورثتها زوجته عن أبوها ودخلت في رأسمال مجموعة الشركات التي يديرها.

❏❏❏

الحفل الذي أقيم في قصر النجار وحضرته فريال السباعي ومصطفى عفيفي كان يضم العديد من أهل الفن والسياسة ورجال الأعمال ومشاهير المجتمع المصري الذي وصل الكثير منهم إلى هذه المكانة بالتسلق على مقدرات الوطن واستغلال جهل بسطائه وعوز فقرائه غير مبالين بشيء سوى تحقيق ثرائهم وسلطانهم حتى لو على أنقاض قيم المجتمع وأحلام المواطن البسيط.. وعلى أنغام موسيقى الطرب الأصيل لسيدة الغناء الشرقي «أم كلثوم» تراقصت الراقصة فيفي عبده ومن حولها تراقص الحضور وهم في حالة من السكر الأخلاقي وعربدة للتذوق الفني عكست حالة الانحطاط الثقافي والفني والأخلاقي للمجتمع في ظل غياب المُثل والقيم وتهدم الأحلام القومية وتشرزم العقائد والزمم.. مصطفى الشاب الذي تجاوز العشرين عام ببضعة أيام وتربى على أنه يستطيع شراء أي شيء بالمال، ويستطيع أن يكون فوق القانون بسلطان أبيه ونفوذه وقف يصور النساء وهن يتراقصن مع فيفي عبده بكاميرا الفيديو المحمول التي أهدتها له أمه في عيد ميلاده العشرين. وأثناء تصويره للسيدة نهال عاصم وهي تتراقص وتتمايل في حالة سكر ينفتق فستانها ويسقط ليظهر جسدها عارياً فيسلط الكاميرا عليها حتى تستعيد وعيها وتستر جسدها وتتوجه إلى الطابق العلوي لتصلح ملابسها.. وتحت تأثير الخمر والمخدرات وأمام منظر جسد نهال عاصم الذي يشع بالأنوثة والإغراء

والفجور تاه عقل الشاب في دوامة وساوس الشيطان فاتجه يتلصص خلفها فيجدها وحدها في إحدى غرف النوم والطرقات خالية من الخدم وأهل المنزل وقد تمددت على السرير في حالة شبه فقدان للوعي فيضع الكاميرا أمام المنضدة المقابلة للسرير وينقض عليها كالأسد الجائع فيفتك بها ويوقعها في فراش الزنا.. وبعدما تستفيق من لذة الخطيئة تجد نهال نفسها مسترخية في أحضان مصطفى بعدما أسلمت له نفسها ووصلت لحالة من نشوة الأنثى جعلتها تُلملِم ملابسها في صمت وهي في حالة ذهول غير مصدقة ما حدث. وبنظرة رمادية وملامح سعادة مكبلة بذهول الموقف تقول بصوت هامس مصدوم:

ماذا فعلت؟!

مصطفى بعيون فاحصة ترصد تعبيرات النشوة المكبلة بالكبرياء التي تعلو وجهها يقول بصوت ترقب علته النشوة: أنا أسف. لم أعي ماذا حدث.

نهال تتحسس جبينه بيدها لتقول بصوت هامس: اذهب الآن حتى لا يأتي أحد ويرانا.

مصطفى يقبل يدها قائلاً: ارجوكي سامحيني لم استطع تمالك نفسي.

نهال بنظرة صامتة حائرة وصوت هامس: هيا أسرع. لا وقت لهذا الكلام.

فينهض مصطفى ويتوجه إلى خارج الغرفة ليظل يترقب خطوات وتحركات نهال التي بدت عليها البهجة والسعادة وكأن شيئًا لم يحدث

لتستمر في الرقص والغناء والشرب فتطمئن سَريرته ويهدأ باله ويشعر بنشوة وزهو إشباع الغريزة مع امرأة يتهافت عليها الرجال وتلاحقها الأعين أينما تذهب. وبعدما تستقر الطمأنينة في قلبه يتذكر كاميرا الفيديو التي نساها في الغرفة يصعد متلصصاً إلى الطابق العلوي ويحضرها ليكمل بعدها السهرة التي استمرت حتى شقشق الصبح فيغادر المدعوين كل إلى حال سبيله، ويصطحب مصطفى أمه إلى قصر جده لتحضر منه التحف الأثرية ويعودا بعدها إلى قصر المرعشلي.

❑❑❑

وفي اليوم التالي كان عفيفي قد توجه في الصباح إلى مقر مجموعة شركاته بحي مدينة نصر حيث استدعى المدير المالي للمجموعة وطلب منه تقريرًا مفصلًا عن الوضع المالي حتى يتثنى اتخاذ ما يلزم لتجنب الإفلاس. وبعد مراجعة الوضع المالي وجد عفيفي أن أصول رأس المال والأموال السائلة التي في حوزة جابر سوف تغطي الديون المستحقة وسيتبقى بضعة ملايين يمكنه الارتكاز عليها في دفع عجلة الاستثمار من جديد. وأثناء ترقبه لأي اتصال من جابر - الذي من المفترض وصوله إلى الرياض في ذلك التوقيت - تلقى عفيفي مكالمة من السكرتيرة الخاصة به تخبره أن فريد باشا النجار موجود بالخارج ويطلب مقابلته فيتوجه إلى خارج المكتب، ويستقبله بحفاوه وترحاب شديد ليجلس الاثنان في صالون المكتب. وبعد حديث مطول عن الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط والأضرار التي لحقت برؤوس الأموال في دولة الكويت تطرق فريد للأزمة المالية التي ستتعرض لها مجموعة الشركات التي يمتلكها مع

زوجته إذا لم يتم دعمها بالسيولة اللازمة فيجول في خاطر عفيفي أنه يمهد لشيء ما فيستوقف حديثه قائلاً بصوت هادئ وملامح صامتة:

هل تفصح عن ما تريده يا فريد؟

فريد يبتسم ابتسامة كاشفة قائلاً: هكذا أنت دائماً يا عفيفي تكشف عما بداخلي قبل أن أفصح عنه. أنت تعلم أن وضعي المادي في الأشهر الماضية في منحنى هبوط بعد خسائر صفقة اللحوم الأخيرة التي تم إعدامها.

فيقاطعه عفيفي قائلاً: ادخل في الموضوع مباشرة يا فريد. ماذا أستطيع أن أقدمه لك؟

فريد: ليس أمامنا خيار. لو أتممنا صفقة من الصفقات التي كنا نقوم بها في الماضي ستنفرج أزمتنا المالية.

فينظر إليه عفيفي نظرة تعجب قائلاً بصوت غلفه التساؤل: هل تعرف المدة التي تركنا فيها تلك التجارة؟! لقد مر علينا ما يقرب من عشر سنوات، وقد تغيرت ظروف السوق وأصبحت أمور هذه التجارة في أيدي أشخاص لهم أتباعهم.

فيلاحقه فريد قائلاً: لقد استطعت الوصول إلى كبيرهم «توفيق العاصي»، وقد أعطاني الآمان وطلب مني إبلاغك السلام ووافق على القيام بصفقة ستجعلني أهرب من شبح الإفلاس.

فيقول عفيفي بصوت تعجب وملامح متفاجأة: توفيق العاصي! العضو البارز في الحزب الوطني. وزعيم الأغلبية في مجلس الشعب. ماذا تقول؟!

فيقول فريد بملامح جامدة وصوت تأكيد وتحفز: خلال العشر سنوات السابقة سيطر على سوق تجارة المخدرات جنرالات وأشخاص لهم سطوة ونفوذ في الحكومة جعلت سوق تلك التجارة مثل القواعد العسكرية الأجنبية في الدول النامية؛ قلعة لا يجوز الاقتراب منها وتحقق لأصحاب تلك النفوذ مئات الملايين من الدولارات. ولولا العلاقة القوية التي تربط إحسان زوجتي بالسيدة نهال عاصم زوجته لما استطاعت التقرب إليه والحصول على ثقته.

عفيفي يقول بصوت تساؤول وملامح المفأجاة والتعجب ما زالت تسيطر عليه: هل تعلم زوجته وزوجتك بالأمر؟!

فريد: بالطبع لا. السيدة نهال في الآونة الأخيرة أصبحت من المقربين إلى زوجتي، ومن خلال ذلك استطعت التقرب من توفيق. لا تتردد يا عفيفي هذه الفرصة لن تأتي مرة أخرى. الدخول في مافيا المخدرات هو السبيل الوحيد حتى نخرج من أزمتنا المالية والحفاظ على مكانتنا في المجتمع.

عفيفي بصوت تسأل وهو ينظره نظرة تأملية: لماذا تريد أن أكون معك وأنت تستطيع القيام بهذه الصفقة بدوني؟

فريد بعد لحظات من الصمت الحائر يقول بصوت هادئ: في الحقيقة أنا كنت أنتوي القيام بتلك الصفقة وحدي لكن ظروفي المالية لن تسعفني ولم يعد أمامي متسعًا من الوقت. هذا بجانب أن توفيق العاصي يريدك معنا.

عفيفي بصوت علت به نبرة التعجب والتساؤول: ماذا تقول؟! توفيق العاصي يريد أن أقوم له بصفقة مخدرات! هل كان يعلم بتجارتنا السابقة؟ وكيف كشفت له أنك تعلم بأمره وعن رغبتك في القيام بصفقة مخدرات من خلاله؟

فريد وقد ارتسمت على وجهه ملامح طمأنة: أنت تعرف أن علاقتي بـ «كمال الجارحي» لم تنقطع وهو أحد أهم اتباع توفيق وذراعه الأيمن، وقد كان همزة الوصل في تلك الصفقة ومهد لي الطريق.

فيهز عفيفي رأسه وملامح الفضول تسيطر على وجهه قائلاً: اخبرني لماذا فهمت أنه يريدني معك في تلك الصفقة؟

فريد: «كمال الجارحي» طرح علي الفكرة ليلة أمس قبل مقابلتي لتوفيق. أنت كما تعلم هو يحبك ويقدر جميلك عليه منذ أن جعلته يدك اليمنى في تجارة المخدرات؛ ولولا ذلك كان سيظل موظف بسيط في مصلحة الجمارك.

عفيفي بعد لحظات من الصمت قال بصوت حائر: دعني أفكر في الأمر وسأرد عليك.

فريد بصوت تمني وهو ينظره نظرة رجاء: أنا واثق أنك ستوافق. الدخول في صفقات مع توفيق العاصي شيء مربح وآمن وسيجعلك تعوض أي خسارة. لا تتردد سأحضر هنا غداً في نفس الميعاد وأنا واثق أننا سنتفق على كل شيء.

عفيفي بملامح صامتة يقول: اتركني يومين حتى أتصل بك وأخبرك بردي.

فريد ينهض ليغادر المكتب وملامح التمني والرجاء ما زالت تخط وجهه قائلاً: أنا في انتظار اتصالك. أراك على خير يا عفيفي.

عفيفي يتوجه معه إلى خارج المكتب مودعاً بكلمات ودودة ثم يظل بعدها يفكر لبضع ساعات خلال تواجده بالمكتب في هذا العرض وهو في حالة ذهول وتعجب غير مصدق أن الغطاء السياسي والنفوذ الحكومي تزاوج سراً مع الفساد؛ فكيف يكون حامي الشيء حراميه؟! وكيف يكون مانع الشيء مجيزه؟!. الذهول والتخبط النفسي الذي أصاب عفيفي لم يستمر طويلاً بل على العكس تحول إلى شعور بالراحة السلبية وإحساس بأن المجتمع تحول إلى غابة، الفقراء والبسطاء فيها ليس لهم أي حق في العيش بكرامة وحرية وهم دائماً طعام لأسود السلطة وأصحاب النفوذ ورأس المال لذلك فلابد أن يحافظ على مكانته في مجتمع الغابة مهما كانت الوسيلة، فبدأت فكرة العودة إلى تجارة المخدرات تحت مظلة النفوذ السياسي والحكومي تستقر في وجدانه وتسيطر على أطماعه في ظل أوضاعه المادية المتخبطة.

❑❑❑

وفي عصر ذلك اليوم استيقظ مصطفى وهو في حالة نشوة وسعادة ليتناول طعام الإفطار ثم يتوجه إلى شرفة غرفة نومه ليجلس على الأريكة المرجحة ويحتثي زجاجة من البيرة ويشعل السيجارة المخلوطة بمادة الحشيش التي اعتاد على تدخينها في الصباح وهو يتذكر ما حدث مع نهال بالأمس وكيف أسلمت له نفسها وكيف كانت في قمة أنوثتها ورغبتها الجامحة، وعندما يتذكر مشهد تصويره لها عندما سقط منها

الفستان يتوجه ويحضر الكاميرا و يستعيد المشهد ليفأجأ بأن ما حدث مع نهال في غرفة النوم تم تسجيله على الكاميرا.. المفأجاة أصابت مصطفى بالذهول ودفعته ليتصل بصديقه كريم الفرماوي (شاب في العشرين من عمره يسكن في الفيلا الملاصقة للقصر. زامل مصطفى في الدراسة منذ أن كانا في المدرسة الابتدائية. والده عبد الرحمن يترأس مجلس إدارة أحد البنوك الأهلية. مثل صاحبه اعتاد على شرب الخمر والمخدرات ويثبت في مخيلته أنه بنفوذ وسلطة ومال أبيه يستطيع أن يكون فوق القانون) ويخبره بما حدث فيحضر بعد دقائق معدودة ويشاهدا الشريط المسجل على الكاميرا بعيون شيطانية ونفسية ذئاب جامحة. وبعدما انتهيا من المشاهدة جلس الاثنان يدخنان السجائر الملفوفة بالحشيش ونظرات كريم تجاه مصطفى كادت أن تصرخ من شدة الغيرة حتى قال له بصوت وسواس:

أنت معاك الشيء الذي سيجعل نهال تفعل كل شيء نريده.

فينظره مصطفى نظرة تأملية صامتة قائلاً بصوت تساؤول خافت: ماذا تقصد؟

كريم بعدما يَزفِر دخان السيجارة بقوة يقول بصوت خشن متحشرج وملامح الشر تكسو وجهه: هذه الأنثى فاتنة الجمال لابد أن تكون طوع أيدينا. بعد حذف الجزء الأول من الشريط وتسجيل الجزء الذي تظهر خلاله هذه الوزة وهي في حالة النشوة والمتعة سيبدو أن هناك علاقة بينكما وستستطيع طلب أي شيء منها ولن يكون في مقدرتها الرفض.

فيبتسم مصطفى ابتسامة خبيثة ليقول بصوت هادئ من تأثير المخدر:

فكرة نميسة.. ثم يتنهد بعدما يطفئ السيجارة قائلاً بصوت غلفه نشوة التملك: سوف نستخدم هذه الكاميرا في إخضاع الكثير من النساء. أنا أقوم بتصويرك وأنت مع خليلاتك وأنت تفعل ذلك وأنا مع خليلاتي. وسنبدأ أولاً بـ هالة فريد صاحبة الصون والعفاف.

كريم ينظر إليه نظرة ثاقبة قائلاً: هل تريد معاشرة هالة؟

مصطفى يهز رأسه ويضحك قائلاً: أنت تريد معاشرة نهال. تخيل نفسك في أحضان هذه الفرسة الثائرة.

فتلمع عيون كريم ويشعل سيجارة أخرى ويتنهد نفس عميق ويزفره بشدة قائلاً: لو استطعت إخضاع نهال وسلمتها لي سأجعلك تحصل على هالة.

مصطفى يضحك ضحكة شيطانية قائلاً: لا. نهال في مقابل هالة فريد ونهلة مشرقي.

فتحتد عيون كريم قائلاً بصوت استنكار وتعجب: هل تريد أن أسلمك الفتاة التي أحبها! أنت مجنون.

مصطفى بصوت غلفه الغيرة والحقد: أنت أخذت مني نهلة. لا تنسى أنني كنت أول من أقام علاقة غرامية معها.

كريم بصوت لامبالاة وهو ينظره نظرة صماء: أنت تتحدث وكأنك تستطيع إخضاع نهال لتكون طوع أيدينا. افعل ذلك أولاً ثم نتحدث في مسألة هالة.

مصطفى بنظرة تحدي و إصرار: اعتبر نفسك حصلت على نهال. وأنا سأحصل على نهلة.

كريم بنظرة داهنة مراوغة: احصل أولاً على نهال ثم تحصل أنت على ما تريد.

مصطفى بصوت تأكيد: اتفقنا.. ثم يتنهد نفس عميق قائلاً بصوت شغف المدمن: هل أحضرت تموين الأسبوع من البانجو.

كريم: سأذهب إلى ضياء وسأحضر ما يكفينا من بانجو وحشيش وسأراك بالليل عندي. اتركك الآن. أتمنى أن تبدأ في مهمتك البطولية يا قاهر النساء.

مصطفى وهو يبتسم ابتسامة تفاخر وغرور وملامح الشيطان تظلل وجهه: لا تتعجل الأمر. أنا وعدتك. أراك بالليل يا ثعلب النساء.

وبعدما ينصرف كريم يظل مصطفى طوال نهار ذلك اليوم يفكر ويبحث عن الحيلة التي يستطيع بها الإيقاع بـ نهال في فخ الخثة والندالة ويتحسس بقلب حاقد أسود لا يعرف أية قيم أو مبادئ وسيلة الانتقام من نهلة مشرقي التي تركته بعد علاقة عاطفية لم تدم سوى بضعة أشهر لتقيم علاقة عاطفية مع صديقه كريم. وقد دفعته جرأة الندالة والخسة ونفسية الشر التي تربى عليها أن يعقد العزم على ملاحقة نهال وإيهامها بغرامه لها حتى يوقعها في فخ الشيطان ويحقق مآربه الحيوانية المنحطة.

❑❑❑

نهال عاصم السيدة التي جاوزت الأربعين عام ببضعة أشهر وما زالت تحتفظ بحيوية وشباب العشرين وتمتلك جمال وأنوثة طاغية وتنتمي عائلتها إلى الطبقة الأرسطوقراطية التي كانت تحكم قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢م (أبوها عاصم باشا شاهين كان أحد كبار العاملين في القصر الملكي واحتفظ بمنصبه كأحد كبار العاملين برئاسة الجمهورية حتى وفاته) وتزوجت من توفيق العاصي منذ عشرين عامًا عندما كان يشغل منصبًا مرموقًا في الاتحاد الاشتراكي ولم تنجب منه أولاد. بعد ما حدث لها مع مصطفى عفيفي اشتهت الإحساس بلذة الخطيئة؛ فالفراغ العاطفي والتوتر التي تعيشه نتيجة لعدم قدراتها على الإنجاب وقيام زوجها بالزواج بزوجة ثانية أنجبت له الولد جعلها في حالة عدم اتزان خاصة بعدما أصبح توفيق يقضي معظم وقته مع زوجته الثانية وولده. لذلك؛ ونتيجة لهذا الاضطراب النفسي والخلخل العاطفي فقد كانت نهال مؤهلة للوقوع في براثن الخطيئة مع شاب يصغرها بأكثر من عشرين عامًا وضعه الشيطان في طريقها فلم تبال بقيم أخلاقية أو تقاليد مجتمع أو تعاليم دين ولم تنصت إلى لغة العقل والمنطق.

مع غروب شمس اليوم التالي كانت نهال تجلس أمام حمام السباحة في قصرها بشارع الثورة بحي مصر الجديدة تصغي إلى وساوس الشيطان وتتذكر ما حدث لها بالأمس فيرن جرس التليفون فتفاجأ بمصطفى يقدم اعتذاره ويبدي أسفه عما بدر منه ويلح في طلب مقابلتها فتوافق وتطلب منه الحضور إلى فيلاتها فهي لن تخرج اليوم وزوجها سيقضي ليلته في بيته الثاني. وبعدما تغلق نهال المكالمة التليفونية يحضر مصطفى ويجلس معها

أمام حمام السباحة ويدور بينهما حديث طويل عن الحياة الشخصية لكل منهما استطاع خلاله مصطفى أن يحطم كل القيود ويهدم كل الضوابط والحدود التي كانت تقف بينه وبينها، وتنجرف نهال نحو سراب السعادة وهي لا تشعر أنها تنجرف إلى مستنقع الخطيئة لتكون فريسة لشيطان الأنس الذي سيفتك بها بدون رحمة أو شفقة. وهكذا تُسلم نهال نفسها طواعية لفراش الخطيئة وتتكرر اللقاءات بينهما حتى يتأكد مصطفى أنه أخضعها تماماً في قبضته الحيوانية الدنيئة فيبدأ في التفكير نحو تسليمها فريسة لصاحب السوء ليبث سمه في نهلة وينتقم منها لتركها له.

❑❑❑

وتمضي أربعة أشهر بعد الغزو العراقي على الكويت يحصل خلالها عفيفي على الأموال السائلة التي استطاع جابر الشموطي أن يهربها، ويعود عفيفي من جديد إلى تجارة المخدرات ويقوم بمساعدة توفيق العاصي ومشاركة فريد النجار بجلب صفقة من الهيروين إلى داخل مصر يستطيع من عائدها أن يسدد ديون البنوك المستحقة والمحافظة على مكانته الاقتصادية، ومن خلال توطيد علاقته مع توفيق العاصي بدأ الأخير في الدفع به ليصبح عضواً ناشطاً في الحزب الوطني ويفوز بمقعد في البرلمان ليتحلى بالحصانة البرلمانية التي كانت تمنح حاملها في مصر خلال تلك الآونة الكثير من الامتيازات التي يستطيع استغلالها ليكون فوق القانون.

الأوضاع الاقتصادية في مصر التي تزامنت مع الغزو العراقي تراجعت بمعدلات سلبية نتيجة لنقص عائد قناة السويس والسياحة وتحويلات

المصريين العاملين بالخارج بجانب تزايد معدلات البطالة كنتيجة لعودة عدد كبير من العاملين بدول الخليج والذي قُدر تعدادهم بمئات الألوف. هذا الوضع الاقتصادي التراكمي السيئ الذي كان له تأثير مباشر في تحطيم الكثير من القيم الاجتماعية التي سادت في المجتمع المصري خلال عقود طويلة؛ فبعدما تسيدت مجموعة من مرتزقة الاقتصاد وعابدي البراجماتية المجتمع المصري وتوغلوا داخل الهيكل السياسي والحكومي وأصبحوا رموزًا ومُثل عليا تاهت قيم العمل الشريف ومبادئ الأخلاق وعادات الترابط الاجتماعي لتحل محلها قيم الوجودية المادية التي لا يقيدها دين أو مبادئ أخلاقية، وعادات شيطانية لا تصغي إلى مشاعر روحية أو أحاسيس إنسانية. لذلك لم يجد غالبية الشباب من هذا الجيل سوى المصلحة أي كانت مآربها وأسلوبها لكي يتسلقون عليها لتخرجهم من مستنقعات الفقر والقهر والتخلف والاستبداد التي يقبع فيها الغالبية العظمى من المصريين وهم يصارعون من أجل البقاء على قيد الحياة حتى لو باعوا أنفسهم أو تنازلوا عن إنسانيتهم.. الطبقة البرجوازية المتسلطة التي تشيطنت مشاعر الكثير منها وتحيونت أحساسيهم لم يبالوا بالأمراض الاجتماعية التي تفشت بالمجتمع وظنوا أنهم في عزلة عن مستنقعات الجهل والفقر والتخلف بل وتاجر الكثير منهم بحرمان وأوجاع وأمراض المصريين ظناً أنهم آمنين في كانتوناتهم التي عزلتهم عن باقي المجتمع فزادوا في طغيانهم لكنه سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل.

مصطفى عفيفي، أحد أبناء هذه الطبقة المتسلقة المهيمنة التحق بكلية التجارة جامعة عين شمس ليزامل الكثير من طبقة المهمشين

والفقراء الذي تودد الكثير منهم ليحصل على متعة مصاحبته والفوز بفوتات الإحسان الذي كان يلقيها عليهم ليصطاد بها مصلحته. وقد تعرف مصطفى على إحدى الفتيات التي تنتمي إلى الطبقة الوسطى التي سقطت في فخ الانفتاح الاقتصادي والتحول الأيديولوجي العشوائي الذي شهدته مصر في منتصف العقد الثامن من القرن الماضي لتصارع لقمة العيش وتلهث على متطلبات الحياة.. سلوى الفتاة ذات الثمانية عشر عاما وتتمتع بالخلقة الحسنة والأخلاق الحميدة تسكن بأحد شوارع حي عابدين وتنتمي لأسرة مكونة من أربعة أشخاص: هي وشقيقها محمد الذي يبلغ من العمر ١٠ سنوات ويدرس في المرحلة الابتدائية، ووالدها مجاهد عبده المصري ٤٩ عامًا وينتمي إلى جيل يوليو ١٩٥٢م وشارك في حربي ٦٧م و٧٣م حاصل على بكالوريوس خدمة اجتماعية ويعمل أخصائي اجتماعي بإحدى المدارس الحكومية بجانب سيارة أجرة يعمل عليها في الفترة المسائية حتى يستطيع مواجهة متطلبات الحياة، وأمها عايدة عبد السميع ٤٢ عامًا التي تنتمي أيضًا إلى جيل يوليو ١٩٥٢م حاصلة على نفس المؤهل ولا تعمل وتمتلك نفسية أم مصرية مكافحة وما زالت تحتفظ بقيم وأخلاق مجتمع ما قبل الانفتاح.. لم تكن سلوى مثل الكثير من زميلتها في الكلية تحاول التقرب إلى مصطفى عفيفي ولم تنجرف نحو مظهر ثرائه وحافظت على اتزانها ووقارها، وقد لفت ذلك اهتمامه بجانب إعجابه بأنوثتها البريئة وجمالها الصافي فحاول بشتى الطرق أن يوقعها في شباكه الخبيثة باسم الحب لكنه فشل فاتجه بشخصيته الإبليسية إلى حيلة الخطبة حتى يوقعها في براثن الخطيئة.

في ليلة الخامس من ديسمبر وبمناسبة نجاح والده في انتخابات مجلس الشعب كان مصطفى يجلس في كافيتريا الجامعة يقدم المشروبات والوجبات إلى زملائه احتفالاً بهذه المناسبة فشهد سلوى وهي تتوجه نحو قاعة المحاضرات فسارع نحوها ليستوقفها قائلاً بصوت هامس راجي وقد ارتسمت على عيونه تعبيرات تصنعت الحياء والخجل:

سلوى أرجوكي امنحيني الفرصة لكي اعتذر لكِ عن أسلوبي معكِ فأنا طلبت الخروج معكِ لكي أعرض عليكِ أهم شيء في حياتي ولم أكن أتخيل رد فعلك.

سلوى بعد نظرة تأملية صامتة تقول بصوت تساؤول: ماذا كنت تريد مني؟

عفيفي بصوت لهفة وملامح ترقب: كنت أريد أن أعرف رأيك قبل أن أحضر إلى بيتكم وأطلبك للزواج.

سلوى بملامح خجل جعلت وجهها الأبيض يحمر بشدة وهي تقول بصوت متعلثم: ماذا تقول؟ هل تريد الزواج مني.

مصطفى بعيون تمني وصوت رجاء: أنا لم أقابل إنسانة مثلك يا سلوى، وأتمنى أن أعرف رأيك قبل أن أتحدث مع أهلك.

سلوى وقد اشتدت حمرة وجهها، وهي تتجنب النظر إلى عيون مصطفى التي كانت تشع بمشاعر الحب والرغبة، تقول بصوت خافت من شدة الخجل: أنت تفاجئني بهذا الطلب.

مصطفى: أرجوكي فكري في الأمر ولا تتسرعي في الإجابة. خذي وقتك في التفكير واعلمي أنني سأحترم رأيك في جميع الأحوال.

سلوى بصوت تساؤول وملامح تعجب بعد ثوان من الصمت استعادت خلاله الكثير من ذهنها الذي أوقفته المفاجئة: أنت شاب تنتمي إلى الطبقة العليا وتمتلك كل شيء تتمناه أي فتاة. لماذا اخترتني أنا وهناك الكثير من الفتيات الأكثر مني جمالاً والأرقى مني في المستوى الاجتماعي تتمنين الزواج بك؟

مصطفى بعيون ترقب وملاح مصطنعة: والدي رجل عصامي استطاع أن يصنع ثروته بمجهوده ولم يساعده أحد وكان جدي إنسان فقير. أما عن الفتيات التي تتحدثين عنها فأنا لا أشعر بأي منهن.

سلوى بصوت تساؤول خجول: لو وافقتك على طلبك هل سيوافق أهلك على ارتباطك بي؟ أنا فتاة تنتمي إلى الطبقة المتوسطة الكادحة. والدي مجاهد المصري يعمل أخصائي اجتماعي ويمتلك تاكسي يعمل عليه في الفترة المسائية ليُحسن من دخل الأسرة.

مصطفى بصوت يقين: أبي وأمي ليس لهما غيري ويتمنوا أن اكون سعيد واعتقد أنهما لن يمنعا في طلبي.

سلوى بصوت هادئ وهي تنظره بنظرة خجولة باسمة: أخبر والديك برغبتك و إطلعهم على ظروفي الاجتماعية ولو وافقوا سأعرض الأمر على والدي ووالدتي.

مصطفى وقد صبغ وجهه بتعبيرات بريئة حانية: أتمنى أن أقابل والدك في أقرب وقت. هل تقبلي دعوتي لتناول مشروب ووجبة إفطار في الكافيتريا؟ فأنا احتفل مع زملائنا بنجاح والدي في انتخابات مجلس الشعب.

سلوى وهي تنظره بنظرة اعتزاز: ألف مبروك. اعذرني فمحاضرة المحاسبة بعد خمس دقائق.

مصطفى بملامح تمني وصوت رجاء: هل يمكن أن أراكي بعد المحاضرات؟

سلوى بصوت غلفه الخجل: أعذرني فأبي سينتظرني بعد المحاضرات. ثم تهم بالرحيل قائلة: السلام عليكم. أراك على خير.

فيلقي عليها مصطفى السلام وهو ينظرها بنظرة حانية وإيحاء بالعشق والحب ليتوجه بعدها إلى الكافيتريا ليكمل توزيع المشروبات والوجبات على زملائه وقد عقد العزم على التحدث مع والديه في موضوع خطبته من سلوى.

❑❑❑

العلاقة بين مصطفى عفيفي ونهال عاصم تطورت بصورة دراماتيكية سريعة بعدما سقطت نهلة في بئر الشراهة الجنسية التي تصيب السيدات اللاتي تعاني من خلل نفسي بعد سن الأربعين. هذا السقوط جعل مصطفى يفعل بها ما يشاء وهي مسلوبة الإرادة لاهية غير مبالية بوضعها الاجتماعي كزوجة لشخص صاحب سطوة ونفوذ يعتلي أعلى درجات السلم السياسي والحكومي في الدولة، ولا بفارق السن الذي بينها وبين شريكها في الخطيئة والخيانة. ونتيجة لما وصلت إليه هذه المرأة من ضعف واستسلام بدأ مصطفى في التفكير بتنفيذ ما خططه من أفكار شيطانية خبيثة ليسلمها إلى نظيره السوء لينتقم من نهلة مشرقي ويوقعها

في مستنقع الرزيلة.. فبعد عودته من الكلية في نفس اليوم الذي عرض فيه الخطبة على سلوى وبعد حديث طويل مع والدته عن رغبته في خطبة زميلته استطاع هذا الفتى المدلل من إقناع والدته بالموافقة على طلبه بالارتباط بفتاة من طبقة البولوريتاريا وترك لها أن تقنع والده بالموافقة. وبعد حصوله على قسط من الراحة توجه إلى منزل كريم الفرماوي ليعرض عليه وسيلته الشيطانية في تنفيذه لمخطط النذالة والخسة الذي تم بينهما وبمجرد جلوسهما في الحجرة التي اعتاد الجلوس بها أخرج مصطفى كاميرا الفيديو الخاص به وهو ينظر إلى صاحبه نظرة ترقب ثاقبة قائلاً بصوت تحفز: اشعل لنا سيجارتين حشيش وشاهد هذا التسجيل ثم نتحدث بعدها.

كريم بعد نظرة تساؤل وملامح فضول يقول مستفسراً وهو يأخذ منه الشريط ويعطيه سيجارة حشيش بعدما أشعلها له: ماذا يحتوي هذا الشريط؟

مصطفى: شاهد. ثم نتحدث.

كريم بعدما يهز رأسه وهو يزفر دخان سيجارة الحشيش بقوة وملاحه تزداد فضول يقوم بتشغيل شريط الفيديو ليفاجئ بأنه يحتوي على مشاهد عارية لنهال وهي شبه فاقدة للوعي. فيقول بصوت تعجب وملامح صماء: ما هذا؟!

مصطفى بعيون شيطانية وملامح ظللتها الخسة والنذالة يقول بصوت وسواس: لقد أعطيت نهال قرص قشطة (قرص نيترازيبام المخدر الذي يستخدم في علاج الصرع والقلق النفسي) وظلت لأكثر من ساعتين

فاقدة للوعي ولم تتذكر شيء بعد استعادتها لوعيها. اخبرني متى تريد أن تحصل عليها يا فاتن النساء ولا تنسى الاتفاق الذي اتفقنا عليه.

كريم بعد نظرة تأملية حائرة يقول بصوت متردد: أنت تريد نهلة مشرقي. وهذا شيء صعب. نهلة تحبني كيف أسلمها لك؟!

مصطفى وقد ازدادت حدة لمعة عيونه يقول بصوت تكعبت فيه نبرة الإقناع والتحفيز: أنت تعلم أنك الفائز في هذه الصفقة؛ ستحصل على نهال صاروخ الإغراء والأنوثة وفي نفس الوقت سيكون لديك السلاح الذي تستطيع به التخلص من نهلة في الوقت الذي تريده أنت.

كريم وتعبيرات الحيرة والتردد تسيطران على ملامحه وصوته: اكتفي بـ هالة واترك نهلة.

مصطفى بصوت إقناع: لا تتردد. أنت الرابح.

كريم بعدما سيطرت عليه وساوس صاحبه يقول بصوت تساؤل وهو يشعل سيجارة: متى ستجعلني احصل على نهال؟

مصطفى بعد نظرة تأملية خبيثة يقول بصوت اعتلت نبرته المساومة: قبل أن تحصل عليها ستقوم بتصوير نهلة مشرقي كما فعلت مع نهال حتى يدخل الاتفاق مرحلة التنفيذ.

كريم بعدما سيطرت عليه أهوائه الدنيئة يقول بصوت تساؤول وملامح الندالة تظلل وجهه: أنت لا تثق بي؟ أنت تعرفني جيداً كلمتي لا تتغير.

مصطفى يضحك ساخراً لبضع ثوان ثم يقول: أنا أعرفك جيداً لكنني اتبع المثل القائل «حرص ولا تُخون». أنا انتظر منك التسجيل الذي سيجعلك تحصل على صاروخ الإنوثة والجمال.

كريم يبادله نفس الضحكة الساخرة وهو يقول: هكذا يا قاهر النساء؟ فعلاً الطيور على أشكالها تقع. سأنفذ طلبك وسأنتظر عطيتك.

وبعدما بذرا صاحبي السوء بذورهما الخبيثة في أنفس خطّاءه باتفاقهما الشيطاني، الذي نزع من قلوبهما كل القييم الإنسانية وجعلهما كالحيوانات الدنيئة التي لا تعطي بال لغير غرائزها، يتوجه مصطفى ليعود إلى منزله ليجد أبيه في انتظاره ويدور بينهما حديث طويل استمر لبضع ساعات استطاع خلاله مصطفى من إقناع عفيفي بالموافقة على خطبته من سلوى مجاهد بعدما تعهد له أنه سيكون شخص آخر مجتهد ملتزم بدراسته وسيبتعد عن مصاحبة شباب السوء.. وهكذا يمضي قطار الشر على قضبان الخطيئة يسوقه شيطان الأنس ليخدع كثير من البشر وينقلهم من واقعهم إلى محطات سراب حياة اللذة والمتعة والتملك وحب الذات التي لا تعرف حدود ولا ضوابط.

❏❏❏

سلوى الفتاة البسيطة التي تربت على الأخلاق والفضيلة وعزة النفس استحوذ على تفكيرها طلب الشاب ذو المظهر الحسن الذي ينتمي إلى طبقة الرأسماليين أصحاب النفوذ والسلطة والجاه؛ فمثل كل الفتيات اللاتي في عمرها ووضعها الاجتماعي فهي تحلم بالارتباط بشاب يحررها من حياة المعاناة وقلة الإمكانيات وينقلها إلى حياة الرفاهية والاستقرار. وكعادتها

التي تربت عليها لم تخف سلوى ما حدث عن أمها وقصت عليها ما دار بينها وبين مصطفى منذ تعارفها عليه كزميل حتى طلبه خطبتها اليوم، وقد رحبت أمها بالفكرة بعدما علمت بمستوى مصطفى المادي والاجتماعي وطلبت منها أن تتريس في مشاعرها وأحاسيسها حتى تتأكد من أنه جاد في طلبه للزواج منها بعدما استشفت أن مشاعر ابنتها تميل نحو هذا الشاب.. لقاء مصطفى بسلوى في اليوم التالي حطم القيود التي كانت تقيد مشاعرها وأحاسيسها بعدما طلب منها تحديد ميعاد ليحضر مع والديه ليطلبها للزواج.. وفي اليوم المتفق عليه لذهاب «عفيفي مرزوق» وفريال السباعي إلى منزل مجاهد المصري جلس عفيفي في حديقة القصر ينتظر حضور فريال ومصطفى وقد سبح في ذاكرة الماضي عندما كان في العشرين من عمره وجاء إلى هذا المكان ليسمع بخبر خطبة نازلي المرعشلي التي ظل يعشقها منذ صباه ولم يستطع أن يبوح لها بمشاعره؛ فكيف لابن أحد صغار موظفي القصر أن يتزوج ابنة الباشا صاحبة الحسب والنسب والجاه. تعبيرات الأسى والحزن من قسوة ذكريات الماضي التي ارتسمت على وجه عفيفي جذبت انتباه فريال التي وقفت تلاحظه وهو لا يشعر بها حتى قالت له بصوت يقين وقد ارتسمت على ملامحها تعبيرات استنكار:

أنا اعلم أنك غير مقتنع بهذا الارتباط. لكننا لا نستطيع غير الموافقة. هل يمكن أن تتخيل ابنك الوحيد يتزوج بفتاة أبوها يعمل سائق على سيارة أجرة؟!

عفيفي ينظر إليها نظرة صماء قائلاً بصوت هادئ وتعبيرات الأسى والحزن من ذكريات الماضي ما زالت عالقة بملامحه: أنا لا أمانع من

ارتباطه بهذه الفتاة بل على العكس؛ فربما يكون ارتباطه بها حافز ليبتعد عن مصاحبة أهل السوء.

فريال بصوت يقين وملامح استنكار: هذا الارتباط لن يتخطى مرحلة الخطبة. أنا اعلم نفسية ولدي سيرتبط بهذه الفتاة لفترة ثم سيكتشف أنها لا تصلح له؛ فهو صاحب الحسب والنسب والسلطة والجاه وهي من تكون؟! ورغم هذا لن اعترض لأننا لو رفضنا طلبه قد يندفع ويتزوجها بغير موافقتنا.

عفيفي بعد ثوان من الصمت وهو ينظر لزوجته نظرة تأملية كاشفة يقول بصوت تعجب: هل نسيتي أصل عائلتي وماذا كان يعمل والدي؟! هل نسيتي أن والدك كان تاجر بسيط ولم يكن من الطبقة الأرستقراطية؟.. ثم يتنهد ويقول بصوت لامبالاة: الذي يريده الله سيكون.

فريال بصوت حدة وملامح بدا عليها الغضب: لا تتحدث عن ماض لن يعود. أنت الآن «عفيفي مرزوق» رجل الأعمال وعضو مجلس الشعب وأنا فريال النجار بنت فايز النجار الرأسمالي الوطني. الطبقة الأرستقراطية التي تتحدث عنها قد اندثرت ولم يعد لها وجود. نحن أسياد في وطننا ونتمتع بامتيازات أكثر مما كان يتمتع بها الباشوات في العهد السابق.

عفيفي بصوت لامبالاة وهو يترقب خطوات مصطفى قادماً نحوهما: نعم. نعم. لقد حضر ولدك المدلل.

فريال تتوجه بنظرها نحو مصطفى وقد تخلصت من ملامح الغضب قائلة بصوت فرحة مصطنعة: أنت مثل القمر في يوم البدر. ألف مبروك يا حبيبي. هل سنذهب بسيارتك أم سنذهب بسيارة والدك؟

مصطفى يبتسم ابتسامة عريضة قائلاً: أشكرك يا أمي. سنذهب بسيارة أبي فمن الأفضل أن يكون السائق معنا. هيا لقد وصل حسانين بالسيارة.

فينهض عفيفي وهو ممسك بيد زوجته ويستقلا السيارة بصحبة مصطفى ليتوجه الثلاثة إلى منزل العروس.. وخلال الطريق من قصر المرعشلي الواقع بأرقى شوارع حي مصر الجديدة حتى مسكن مجاهد المصري الواقع بشارع الكرداسي المتفرع من شارع حسن الأكبر بحي عابدين ظل الصمت يخيم داخل السيارة ليسبح كل منهم بمخيلته نحو غايته من هذا الارتباط: الأب «عفيفي مرزوق» الرجل الذي لفظ ضميره وتخلص من القيم والمبادئ والأخلاق ليتسلق على أجنحة الشيطان إلى وضعه الاجتماعي والمادي الحالي كان يحبذ هذا الارتباط؛ فإحساسه بتشابه الوضع الاجتماعي لمجاهد المصري مع الوضع الاجتماعي لـ«مرزوق شاكر» جعله يحبذ هذه الزيجة ويتمنى استمرارها. الأم فريال السباعي السيدة المدللة التي تربت في وسط برجوازي متسلط لم يشعر بمعاناة الآخرين وزرعت في وجدان ابنها حب الذات والحصول على ما يريده دون النظر إلى مشاعر وأحاسيس بشر كانت على يقين أن هذا الارتباط سينتهي بعد بضعة أشهر ولن يتعدى مرحلة الخطبة، وكانت على اتم استعداد لعمل أي شيء في سبيل عدم إتمام هذه الزيجة.

الابن المدلل الذي زُرع في وجدانه قيم التسلط والتجبر والأنانية لم يكن له بال سوى الإيقاع بهذه الفتاة ليحصل على غرائزه الشيطانية منها تحت ظلال الخطبة والإيهام بالزواج.. ومع وصولهم إلى العقار رقم ٨ بشارع الكرداسي توجه الثلاثة ليدخلوا من بوابة العقار وهم ينظرون نظرات تأملية صامتة إلى جدرانه المتهلكة وشرفه الخشبية القديمة الرثة ليصلوا إلى مسكن العروس بالدور الثاني ليستقبلهم بحفاوة وترحاب شديد مجاهد المصري وعايدة عبد السميع بعدما تبادل كل من مصطفى وسلوى تعريف عائلته إلى عائلة الآخر. بعدها يتوجه الجميع ليجلسوا في حجرة استقبال الضيوف «الصالون» وتعبيرات الفرحة والبهجة والسرور مطبوعة على وجه مجاهد وعايدة وهما يرحبان بالضيوف بكلمات مجاملة ودوده.. وبينما كانت نظرات فريال الاستكشافية الصامتة تحلق في المكان وهي تصبغ وجهها بتعبيرات فرحة مصطنعة تحدث عفيفي قائلاً بأسلوب هادئ وتعبيرات السرور والفرحة مرسومة على ملامحه موجهاً كلامه إلى مجاهد:

يشرفنا أن يتقدم ولدي مصطفى ليطلب الزواج من ابنتنا الجميلة سلوى. العروس تختار شبكتها مهما كانت ثمنها. وكل شيء خاص بالزواج أنا سأتكفل به. أنا أعلم أن مصطفى ما زال طالب يدرس لكنه والحمد لله يمتلك كل مقومات الزواج والعروس زميلته في نفس الكلية ويمكنهما تكملة دراستهما بعد الزواج.

مجاهد وتعبيرات الفرحة تسيطر على كل جوارحه يقول: معالي الباشا هذا شرف لنا وأتمنى أن يتمم الله عليهما بالخير.

فريال تنظر إلى عايدة وسلوى بالتتابع وهي تحتفظ بتعبيرات الفرحة المصطنعة تقول: لم أكن أتخيل أن تكون العروسة بهذا الجمال. أنا زوق ولدي دائماً راقي في اختياره لكل شيء.

عايدة وملامحها تشع بالسعادة والفرحة تقول موجهة كلامها إلى فريال: يا فريال هانم شرف لنا أن نصاهركم وإن شاء الله يتمم الزواج ويرزقهما بالذرية الصالحة.. ثم تنظر إلى سلوى قائلة: قدمي الحلوى والشاي إلى الضيوف.

سلوى بوجهها البشوش الجميل المشرق من شدة الفرحة وحمرة الخجل تقول بصوت هادئ وهي تنظر إلى فريال نظرة تساؤلية ودودة: حضرتك تُفضلي قطعة الجاتو بالشكولاتة أم بالفواكه، وكم معلقة سكر على فنجان الشاي؟

فريال بأسلوب متعالي متغطرس وهي تشعل سيجارة بعدما وضعت قدمها اليسرى على رجلها اليمنى بطريقة تكبر واستعلاء: لا. أنا لا أكل الحلويات المملوءة بالدسم حتى لا أُفسد النظام الغذائي الخاص بي. سأكتفي بفنجان شاي قطعة سكر واحدة.

فتقول عايدة بأسلوبها البسيط وهي تنظر إلى فريال نظرة رجاء: لا تخافي يا فريال هانم قطعة واحدة لن تفسد نظامك الغذائي. لقد اشترينا تلك الحلويات من محل حلو الصمدي.

مجاهد بصوت هادئ متأدب موجهاً كلامه إلى عايدة بعد نظرة تأملية استكشافية تحسس منها أسلوب تعالي وغطرسة فريال: لا تثقلي على

فريال هانم يا عايدة. في المرة القادمة إن شاء الله سأحضر قطع جاتوه مخصص للنظام الغذائي الخفيف « دايت «.. ثم يقول موجهاً كلامه إلى سلوى: قدمي الجاتوه والشاي إلى حضرة النائب والأستاذ مصطفى.. فتتوجه سلوى بالتتابع نحو عفيفي ثم مصطفى وتعبيرات الخجل تسيطر على ملامحها وجوارحها فتقدم لهما الجاتوه والشاي لتجلس بعدها في الاتجاه المقابل لمصطفى الذي ظل يرصدها بنظراته الكاشفة التي تصنعت الحياء وتجملت بالأدب.

عفيفي موجهاً كلامه إلى مجاهد بأسلوب أبناء الأحياء الشعبية التي نشأ فيها: ضع يدك في يدي لنقرأ الفاتحة وحدد اليوم الذي يناسبكم لإتمام الخطبة. أنا سأرسل لكم الجواهرجي لتختار العروسة ما تريده من شبكة.

مجاهد بملامح ترقب وهو يمسك بيد عفيفي يقول بصوت تساؤل: قبل قراءة الفاتحة هل نسمع ما يخطط له الأستاذ مصطفى للمستقبل.

مصطفى بتعبيرات خادعة يقول بصوت هادئ: يا عمي (قالها بأسلوب تخاطب الأوساط الراقية التي تستخدم كثير من مفردات اللغة الانجليزية والفرنسية في الحديث «uncle») أنا سأكمل دراستي وسأتجه بعدها للعمل مع أبي في التجارة وأتمنى أن تشاركني سلوى مستقبلي. أنا لم ولن أقابل فتاة في أخلاق وتربية سلوى.

مجاهد وهو ما زال ممسكًا بيد عفيفي وتعبيرات الثناء والرضا تزين ملامحه بعد سماعه كلام مصطفى يقول بصوت غلفه الفرحة والسرور: على بركة الله. نقرأ جميعاً الفاتحة ولو يناسب معالي الباشا وفريال هانم

تكون الخطبة يوم الخميس الأخير من هذا الشهر، وربنا يتمم الزواج على خير.

عفيفي موجهاً كلامه إلى فريال ومصطفى: أنا موافق على الميعاد. هل لديكما أي ارتباطات في هذا اليوم.

فريال بعد لحظات من الصمت وهي تنظر إلى ابنها تتحسس موافقته على الميعاد لتقول بعدها: الميعاد مناسب.

مجاهد: على بركة الله نقرأ الفاتحة.

وبعدما قرأ الحضور الفاتحة أطلقت فريال الزعاريد لتخيم الفرحة على المكان ويدور بينهم أحاديث استمرت لبضعة ساعات تطرق خلالها عفيفي إلى تاريخ حياته ونشأته وكفاحه وصراعه في عالم التجارة، وتحدث مجاهد بفخر واعتزاز وهو يعرض على ضيوفه وسام نجمة سيناء الذي حصل عليه مع عدد قليل من الجنود نتيجة لبطولاتهم الاستثنائية في حرب ٧٣، وتحدثت عايدة عن مولد سلوى في أيام الحرب وما كانت تعانيه في غياب زوجها أثناء الحرب، بينما تفاخرت فريال بحياتها الاجتماعية والأعمال الخيرية التي تقدمها للفقراء، وتحدث مصطفى بأسلوب خادع جذب تعاطف ومحبة سلوى ووالديها عن خططه المستقبلية وأمله أن يصبح مثل والده، وتحدثت سلوى عن دراستها في الكلية وأملها في التفوق والحصول على الدكتوراه لتعمل أستاذة اقتصاد، كما تحدث محمد بأسلوبه الطفولي وسط بسمات وضحكات الحضور عن أمله في أن يصبح ضابط ليدافع عن الوطن ويحميه من المعتدين.

وهكذا ينجح مصطفى في نصب شباك الخداع ويعقد خطبته على سلوى ويستحوذ خلال أسابيع قليلة بأسلوبه الشيطاني الناعم على ثقة مجاهد وعايدة ويسيطر على مشاعر وأحاسيس سلوى. وفي سبيل ذلك كرس كل وقته ولم تسنح له الفرصة ليقوم بعمله المنحط الدنيئ بمشاركة صاحبه ونظير خبثه وانحطاطه بالإيقاع بـ نهلة مشرقي ونهال عاصم في قفص الخسة والندالة وعدم الإنسانية حتى بدأ تحت إلحاح كريم الفرماوي الذي قام بتصوير نهلة مشرقي وهي تمارس الرزيلة معه بالشروع في تنفيذ هذا المخطط الإجرامي السافل.

❑❑❑

في يوم الخميس الموافق ٢٤ يناير ١٩٩١م كانت سلوى ومصطفى قد توجها إلى منزل مجاهد بعد انتهاء أخر يوم في النصف الأول من العام الدراسي حيث تم دعوة مصطفى لتناول وجبة الغداء. وبعد تناول الطعام الشهي اللذيذ الذي طهته عايدة بمساعدة سلوى جلس مصطفى مع مجاهد في غرفة المعيشة يستمعان إلى خطاب الرئيس محمد حسني مبارك وتعبيرات اللامبالاة تغطي ملامح وجه مصطفى وهو غير مكترث بما يحتويه الخطاب بينما سيطرت على ملامح مجاهد تعبيرات الحنقة والغضب وحمية العروبة حتى إن انتهى الخطاب قال مجاهد بصوت حدة وغضب وهو ينظر إلى مصطفى نظرة تأملية حانقة:

لم أكن أتخيل أن يأتي اليوم الذي يحارب فيه الجيش المصري ضد الجيش العراقي. دخول قوات أجنبية إلى منطقة الخليج سيأتي بالدمار والوبال على المنطقة العربية بأسرها.

مصطفى يقول بصوت حسرة: بعد لحظات من الصمت يحاول استيعاب ما قاله مجاهد معك حق يا عمي. لقد خسرنا أموالًا طائلة بعدما قام هذا الخنزير بغزو الكويت.

مجاهد بصوت استنكار وتعبيرات الغضب ما زالت عالقة بملامحه: بكل تأكيد خسارة أموال العاملين المصريين هناك فجيعة كبرى؛ فهناك عشرات الألوف من العاملين فقدوا أموالهم وعادوا صفر اليدين وكثيرًا منهم لم يجد عملًا يحصل منه على قوته اليومي. لكن المشكلة لا تقف عند هذا الحد المشكلة أعمق من ذلك بكثير؛ المنطقة العربية في خطر داهم. ولو وضع الأمريكان أقدامهم في تلك المنطقة لن يتركوها إلا بعد الفتك بها واغتصاب مقدراتها.

مصطفى وقد تملكه الملل والزهق يقول بصوت هادئ والابتسامة الناعمة تعلو جبهته: فعلاً يا عمي الأمور لا تبشر بالخير.. ثم يصمت لحظة ليقول بصوت رجاء وملامح تمني: عمي. هل تسمح لي أن نذهب أنا وسلوى مع أصدقائنا إلى نادي الجزيرة؛ فغداً صباحاً هناك حفلة في النادي بمناسبة حصول فريق اليد على بطولة أفريقيا؟

مجاهد بعد لحظات من الصمت يقول مستفهماً: هل تحدثت في هذا الطلب مع سلوى؟ لو كانت هذه رغبتها يمكنكما الذهاب ومعكما محمد.

مصطفى بتعبيرات ناعمة وصوت تمني أكمن ما بداخله من مكر وخبث: لا يا عمي. لقد فضلت أن أستأذنك أولاً.

مجاهد: سأذهب إلى صلاة العصر في الجامع. تحدث مع خطيبتك في هذا الشأن. أنا موافق بشرط أن تعودوا قبل المغرب.. ثم ينهض قائلاً وهو يمزح: سأحرر سلوى من غسيل الصحون والأواني حماتك ستقوم بهذه المهمة وحدها.

مصطفى يقول بصوت شكر بعدما أضحكه كلام مجاهد: أشكرك يا عمي ربنا يخلي لنا حماتي.

بعد بضع دقائق تحضر سلوى وعلى وجهها تعبيرات رضاء وفرحة وهي تقول بصوتها الرقيق الحنون وعيونها مفعومة بالحب: لقد وافق أبي على ذهابنا إلى النادي. لو كنت أخبرتني قبل أن تستأذن أبي كنت سأوافق.. ثم تجلس قائلة بصوت تساؤل: لكن أخبرني من سيأتي معنا من أصدقائك؟

مصطفى وتعبيرات العشق والهُيّام تصبغ ملامحه وهو ممسك بيد سلوى قائلاً بأسلوب ناعم خادع: أتمنى أن أفعل أي شيء يجعلك سعيدة يا حبيبتي.. ثم يصمت لحظات بعيون ترقب ليقول بعدها: كريم الفرماوي وخطيبته سيأتوا معنا.

سلوى وقد شابت ملامحها تعبيرات عدم ارتياح تقول بصوت غلفه الضيق: حبيبي أنا لا أرتاح إلى هذا الشخص.

مصطفى باسلوبه المراوغ المقنع يقول: حبيبتي أنتِ عندي أهم شيء في حياتي. أنتِ صديقتي وحبيتي وزوجتي وكل شيء. أنا أعلم أنكِ تخوفتي منه عندما أشعل سيجارة الحشيش وهو معنا في الكلية. صدقيني أنا عنفته بشدة وهددته أني سأقاطعه لو فعل ذلك مرة أخرى.

سلوى وتعبيرات ملامحها تكاد تُقبل جبينه وشعاع عينيها تحضن نظرته تقول: مصطفى. أوعدني أن تحافظ على نفسك ولا تفعل أي شيء يضرك جسمانياً أو يجعلك تُغضب الله منك.

مصطفى بعدما يقبل جبينها برقة وحنان يقول: حبيتي. أنتِ الآن كل شيء في حياتي أنا أعتبرك زوجتي. لو كان الأمر بيدي لطلبت من أبيكِ أن نتزوج اليوم. لا تخافي عليّ وأنتِ معي.

سلوى تقول بصوت توتر مكبوت وتعبيرات ملامحها تكاد تصرخ من قيود عاداتها وتقاليدها التي تقف حائلاً من تقبيل خطيبها وحبيبها: وأنا كذلك.. وبعد ثوان قليلة تستفيق من غفلتها العاطفية فتنهض مسرعة تحاول الذهاب إلى خارج الغرفة وهي تقول بصوت هامس متحشرج: سأحضر لك الحلوة التي تحبها. أنا صنعتها لك.

فينهض مصطفى وهو متلصص بنظره تجاه باب غرف المعيشة ويمسك سلوى بحنان ويقبلها قبلة غرامية ساخنة استمرت بضع ثوان حتى تخلصت سلوى من يده لتتجه مسرعة إلى خارج الغرفة وهي في حالة نشوة عاطفية ونفسية لتقول بصوت مبحوح من شدة الانفعال العاطفي: سأحضر الحلوى.

بعد خروج سلوى من الحجرة يتنهد مصطفى نفساً عميقاً وهو يخاطب نفسه تفاخراً: لقد وقع العصفور في الفخ. في الغد سأكل لحمكِ الطري اللذيذ يا يمامتي. ثم يتذكر محمد شقيق سلوى الذي سيكون بصحبتهما فيتجه تفكيره الشيطاني في البحث عن حيلة تلهيه عنهما.

وبينما كان مصطفى يقدح وساوسه الخبيثة جاء محمد وهو ممسكًا بكرة قدم ليقول له بصوت استفهام وتعبيرات الفرحة مرسومة على ملامحه: هل سأذهب معكم إلى النادي غداً؟

فيلتقط مصطفى منه الكرة وهو يتأمله بنظرة استكشافية قائلاً بصوت تساؤل وتحفيز: كابتن فريق الكرة صديقي ويمكن أن أجعله يقبلك في فريق الكرة. هل تريد أن تلعب مع فريق الكرة بالنادي وتصبح لاعب كرة؟

محمد بتعبيرات أظهرت رغبته الطفولية الجامحة ليكون لاعب كرة يقول بصوت فرحة صارخة: نعم. نعم. أنا لاعب موهوب والكل يشيد بي. هل تصدقني القول؟

مصطفى بصوت أكثر تحفيزًا: لقد ساعدت شقيق صديقي علاء وأصبح الآن كابتن فريق الناشئين تحت ١٥ سنة. سأجعلك تتمرن مع فريق الناشئين تحت ١٢ سنة غداً.. ثم يصمت للحظات ليقول بصوت آمر: لكن لا تخبر أحد بهذا الاختبار حتى نعرف إذا كنت ستقبل في الفريق أم لا.

محمد بصيغة إيجاب يقول بصوت غلفه الفرحة: لن أخبر أحد حتى تظهر نتيجة الاختبار. أنا بحبك يا مصطفى. أنت أطيب وأحسن زوج أخت في الوجود.

مصطفى ضاحكاً يقول: أنا كذلك أحبك يا محمد.

وفي تلك اللحظة تدخل سلوى وعايدة وهما يحملان أطباق الحلوى وفناجين الشاي لتقول عايدة بصوت استفهام وهي تنظر إلى محمد نظرة شغف وفضول: ما الذي يفرحك هكذا؟

محمد وهو ينظر إلى مصطفى نظرة طفولية شقية يقول بصوت تمني: أنا فرحان بالذهاب إلى النادي مع مصطفى وسلوى. آه لو يوافق أبي على أننا نذهب إلى النادي كل يوم في أجازة نصف السنة.

عايدة بصوت غلفه الإحراج وهي تنظر إلى مصطفى: لا تأخذ على كلامه يا مصطفى.

مصطفى وهو يأخذ الأطباق من سلوى ليضعها على المائدة يقول بصوت يقين: لو وافق عمي أنا على استعداد لأن أذهب مع محمد إلى النادي في الوقت الذي يريده. يا حماتي أنا اعتبر نفسي شقيق محمد الأكبر.

عايدة بصوت أمومة حنون وتعبيرات وجهها تشرق من البهجة والسرور: ربنا يخليكم لبعض. لقد حضر مجاهد. أعطي لخطيبك الحلوى والشاي وأنا سأعطي مجاهد ومحمد.

فيضحك مجاهد وهو يقول بأسلوب دعابة: الحمد لله أني لحقت بكم قبل الفتك بالحلوى.

فيضحك جميع أسرة مجاهد من القلب وهم جالسين مع مصطفى في جو أسري حنون ودود احتفاءً به حتى ينصرف وهو غير مبالي بمشاعر العشق والحب الطاهر البريء الذي ينبض في قلب سلوى ولا مشاعر البنوة الصادقة التي تدب في قلوب عايدة ومجاهد، ولا إلى أحاسيس محمد التي تشع بالمحبة الطفولية الصافية ليتوجه يدبر أمر السوء مع نظيره حتى ينفذ مخططه الشيطاني الدنيء.

❑❑❑

وفي صباح اليوم التالي اصطحب مصطفى سلوى وشقيقها إلى نادي الجزيرة ليتقابل مع كريم الفرماوي ونهلة مشرقي التي استقبلت سلوى بأسلوب لطيف ليدور بينهما حديث ودي أَلَّفَ بين مشاعرهما رغم اختلاف الطباع والتفكير والمستوى المعيشي. بينما يتوجه مصطفى وكريم ومعهما محمد إلى ملعب الكرة ليشاهده مدرب الناشئين الذي كان مصطفى قد اتفق معه بالأمس ليضع محمد تحت الاختبار وتدريبه مع فريق الكرة طوال فترة الصبح حتى ينفرد بسلوى ويوقع بها في الخطيئة حيث دبر مع نظيره السوء أن يستأجرا كابينتين على حمام السباحة لينفرد كريم بنهلة مشرقي وينفرد هو بسلوى. وبالفعل وتحت مظلة الحب ورباط الزوجية استطاع مصطفى الإيقاع بسلوى ليمارس معها الرذيلة وهي في غفلة من ضميرها الذي خدره سراب السعادة التي نسجها الشيطان.. الفكر الشيطاني والرغبة الحيوانية السادية التي تملكت من مصطفى لم تقف عند إشباع الرغبة الحيوانية بل جعلته يسجل مشاهد الخطيئة على كاميرا الفيديو الخاصة به دون علمها.. سلوى الفتاة البريئة التي تربت على القيم والمبادئ والأخلاق انخرطت في بكاء شديد بعدما استفاقت من غفلتها وهي تستمع إلى آذان العصر وأخذت تردد بكل جوارحها ومشاعرها بصوت متهدج متوسل نادم: يا رب سامحني واغفر لي ما فعلته من خطيئة.. ثم تنظر إلى مصطفى نظرة نادمة راجية بعدما سترت نفسها بالمنشفة قائلة بصوت تساؤل نادم منكسر: لقد ارتكبنا إحدى الكبائر. كيف نستطيع أن نكفر عن خطيئتنا؟

فينظر إليها مصطفى نظرة لامبالاة قائلاً بصوت استنكار هادئ: لماذا تبكي بهذه الطريقة. أنتِ بِكْرٌ ولم تفقدي عذريتك.

سلوى وقد توجست مشاعرها قلقاً من تعبيرات مصطفى غير المكترثة بما حدث تقول بصوت مهموم امتزجت نبرته بنغمات الهم والندم والتوسل: حبي لك دفعني لارتكاب الخطيئة. أنا أشعر بعذاب ضمير ولن أفعل ذلك مرة أخرى حتى نتزوج. أرجوك يا مصطفى لا تجعل الشيطان يدفعنا نحو ارتكاب الكبائر.

مصطفى بصوت استنكار وتعبيرات صماء: أنتِ تهولي الأمر. لا تعطي هذا الأمر أكبر من قدره. أنا اعتبرك زوجتي.

سلوى بصوت يقين وهي تنظر إليه نظرة رجاء وتمني: تكلم مع والديك وأنا سأتحدث مع أبي وأمي لنسرع في الزواج.

مصطفى بتعبيرات ناعمة خادعة وهو يضمها إليه بحنان خادع يقول: يا حبيبتي. أبي سيسافر إلى تركيا الأسبوع القادم وسيعود بعد انتهاء الأجازة سأتحدث معه فور عودته.

سلوى بعدما تخلصت من أحضانه برفق وهي ترفض معاودة ارتكاب الخطيئة تنظر إليه نظرة توتر قائلة بصوت قلق منكسر: لقد مر أكثر من ساعتين وبالتأكيد محمد انتهى من التمرين. أرجوك يا مصطفى نذهب إليه.

مصطفى بتعبيراته الرومانسية الخادعة وأسلوبه الناعم الخبيث يضمها إليه بحنان وهو يقول بصوت يثير العاطفة: حبيبتي. محمد لن ينتهي من

التمرين قبل الساعة الواحدة ظهراً. ما زال هناك ساعتين.. ثم يمسك رأسها و يرفعها نحوه وهو ينظرها نظرات شيطانية ساحرة ليقبلها قبلة ساخنة وهو يغرد بكلمات معسولة بالعشق والغرام موهماً أنها زوجته أمام الله فيُخدر ضميرها و يدفعها لمعاودة الخطيئة مرة أخرى.

وهكذا سقطت البراءة في فخ سراب الحب والعلاقة الزوجية الذي حفره لها حليف الشيطان وصنيع الأسرة التي دفنت القيم والأخلاق وروت الضمير من بئر حب الـذات وتغذت على مبادئ الوصولية والانتهازية وعدم الاكتراث وجعلت إلاههم هواهم.. انغرست سلوى الفتاة البريئة الطيبة ذات الخلق الحسنة والتربية الصحيحه التي تتمسك بقيم الدين والأخلاق في الخطيئة وتناست تحت فحيح الغرام الخادع تلك القيم والمبادئ، ولم تفطن أنها وقعت في فخ الشيطان لتعود مع شقيقها إلى بيتها وتظل طوال ذلك اليوم في صراع نفسي بين ضميرها الذي استفاق ومشاعرها التي استسلمت لسراب رباط العلاقة الزوجية وخداع الغرام حتى يستقر في عقلها أن الحل الوحيد هو التعجيل بالزواج بأي وسيلة.

❏❏❏

وفي مساء اليوم التالي اتصل كريم بمصطفى تليفونياً ودعاه لقضاء السهرة بمنزله حيث سافرت عائلته إلى مدينة شرم الشيخ وطلب منه إحضار ما يلزم من مشروبات روحية ومخدرات في مقابل ذلك سيتكفل هو بإيجاد الساقطات لتكتمل أركان السهرة الحمراء. وبالفعل حضر مصطفى بعد غروب الشمس وهو يحمل زجاجة من الخمر الفاخر وقطعة من الحشيش ليقابله كريم ويخبره بأن الساقطاتين اللتين اتفقا

معهما لن يتمكنا من الحضور فيغضب مصطفى ويعاتبه بحدة قائلاً بصوت غضب:

لقد وفيت بما طلبته مني. لو لم تحضر فتاة اقضي معها السهرة سأدفعك ثمن الخمرة والحشيش.

كريم بصوت تحفز وهو ينظر إلى نظيرة السوء نظره ترقب: لف لنا سيجارتين وجهز الخمرة. لا تغضب يا قاهر النساء لن تخرج من هنا وأنت خالي الوفاض.

مصطفى وقد سكنت تعبيرات وجهه يقول بصوت استفهام: ماذا ستفعل يا ثعلب النساء؟

كريم: هالة فريد تنتظر مني تليفون لتقضي معي سهرة حمراء.

مصطفى بصوت تساؤل ساخر: وأنا سأقوم بالرقص والطبل لكما؟

كريم بعد ثوان من الضحك يقول بصوت يقين: سأتركها لك.. ثم يقول بصوت ترقب: لعلك تنفذ وعدك لي وتجعلني التهمَ صاروخ الأنوثة.

مصطفى بصوت رفض وملامح استنكار: وعدي لك كان نهلة وهالة في مقابل نهال. لا تنسى ما اتفقنا عليه.

كريم ضاحكاً مقهقهاً يقول: هالة فريد في مقابل الحشيش والخمرة. أنت طلبت فتاة في مقابل الحشيش والخمرة وأنا سأمنحك فتاة. لو رفضت لن أدفع شيء.

مصطفى بعد لحظات من الصمت الباسم يقول بصوت غلفه التساؤل: كيف ستجعل هالة تسلم نفسها لي؟

كريم وقد تظلل وجهه بملامح شيطانية يقول بصوت موسوس: هل نسيت حبوب القشطة يا صديقي. سنجعل نهلة تجربة إذا نجحت سننفذ اتفاقنا السابق مع نهلة ونهال.

مصطفى يبتسم لنظيره السوء ابتسامة قناعة وهو يعطيه سيجارة ملفوفة بالحشيش قائلاً بصوت قناعة: خذ مني يا سفاح وأسرع لتتصل بالذبيحة.. ثم يشعل السيجارة لنفسه ثم لكريم وهو يقول بصوت استفهام: لكن أخبرني يا سليل الأبالسة أين سأقضي وقتي حتى تجهز الذبيحة.

كريم يبتسم متفاخراً وتعبيرات الزهو تكسو وجهه قائلاً بصوت يقين: لن يأخذ تنفيذ الخطة أكثر من نصف ساعة. يمكنك الجلوس في مكتب والدي حتى أجهزها لك يا سليل الشياطين.

مصطفى يزفر دخان الحشيش وملامح الذئب الجامح تظلل وجهه وهو يقول بصوت متحشرج: الطيور على أشكالها تقع يا عفريت النذالة والخسة.

كريم وقد ازدادت ملامحه تفاخراً وزهو بالنفس يقول ضاحكاً وهو يسلم بحرارة على نظير الخسة والنذالة وقد لعبت الخمر والحشيش بعقولهما الملوثة: فعلاً يا صديقي. سأتصل بها. جهز مخالبك يا سفاح. الغزال في طريقه إلى عرين الأسد.

بعدها يتوجه كريم ليتصل بـ هالة لتحضر وينفذ كريم مخططه القبيح الخسيس ويسلمها إلى نظير الخسه والندالة ليغتصبها تحت تأثير المخدر، كما يقوم بتصوير شريط فيديو لهما دون أن يعلم مصطفى بذلك. وبعدما ينتهي أصحاب الشيطان من ليلتهم الدنيئة تعود الضحية إلى حال سبيلها بعدما أوقعتها خطيئتها في شباك شياطين الأنس التي لا تعرف حدود ولا ضوابط لقيم أو أخلاق. ترجع هالة فريد إلى فيلا أبيها فريد النجار وقد اكتشفت مدى خسة وندالة الشخص الذي أسلمت له نفسها تحت ظلال الحب والغرام؛ هل يمكن أن تصدق وتستوعب بعدما وثقت به ومنحته جسدها وهي تظن نفسها معشوقة له أنها كانت مثل البهيمة التي يمكن أن يمتطيها من يأذن له بركوبها. تزداد صدمة هالة وينتابها حالة من الغضب والشعور بالانتقام بعدما تتذكر أن الشخص الذي تسلمها ذبيحة واغتصبها وعاملها معاملة البهائم كانت تلعب معه في طفولتها؛ فكيف يفعل ابن أقرب أصدقاء والديها بها ذلك؟! هل نسى هذان الوغدان من تكون؟ هل بلغ الاستهانة بها وبمقام عائلتها إلى هذه الدرجة؟.. هذه الصدمة والصراع النفسي والعصبي الذي عاشته هالة ظل يسيطر عليها على مدار بضعة أيام ودفعها إلى البحث عن أي وسيلة لتنتقم حتى استقر تفكيرها إلى البحث عن بلطجية تستأجرهم ليحدثوا بكريم عاهة مستديمة تفقده رجولته، كما استقر تفكيرها الوشاية بـ مصطفى عند توفيق العاصي؛ فعلاقته بـ نهال عاصم علمت بها مصادفة عندما اصطحبها كريم إلى فيلا عفيفي بمدينة السادس من أكتوبر حيث لم يكن يتوقع أن يكون مصطفى ونهال هناك واضطر أن يخبرها بحقيقة العلاقة بينهما.

❑❑❑

الوضع السياسي والأمني الذي عاصرته مصر خلال فترة حرب تحرير الكويت وما تلاها شهد موجات من الجزر والمد صاحبه فرص التربح غير المشروع ومضاعفت رؤوس الأموال لمنظمات مافيا السلاح والمخدرات وتجارة العملة وغسيل الأموال؛ فعلى المستوى الأمني ركزت الدولة كل طاقتها الأمنية لمواجهة موجات التطرف الديني الذي كان يهدد كيان الدولة واستقرارها مما كان له تأثير سلبي على الأمن الجنائي وسمح بطريقة غير مباشرة في المساهمة في تزايد كميات المخدرات التي يتم جلبها. وعلى المستوى السياسي تزايد الجو المهيئ لخلق نظام ديكتاتوري استبدادي بعدما استطاع مبارك تفزيع الشعب المصري وتخويفه من خطر الإرهاب والتطرف والذي تزامن مع نجاحه في تخفيض ديون مصر وإعادة جدولتها. هذا المناخ هيأ لتبلور مجموعة من متسلقي السلطة حول رأسها استطاعت استقطاب كثير من رجال المال والأعـمال لتجعلهم الأسفنجية التي تمتص مقدرات الشعب المطحون الذي وقع بين فكي رحى الإرهاب والتطرف والتخلف والفقر من جهة وقوى الاستبداد والقهر والاستغلال من جهة أخرى.

العلاقة بين توفيق العاصي وكل من «عفيفي مرزوق» وفريد النجار توطدت أركانها البرجماتية بعدما نجح الأخيرين في مهام جلب صفقات الهيروين تحت غطاء تجارة استيراد إطارات السيارات ومواد البناء لمجموعة شركاتهما، وحصول عفيفي على مقعد في البرلمان وتبوؤهما مرتبة حزبية ضمن رجال الصف الثاني للحزب الوطني.

في يوم الثلاثاء الموافق ٢٩ يناير عام ١٩٩١م تم دعوة عائلة «عفيفي مرزوق» وعائلة فريد النجار لحضور عيد ميلاد نهال عاصم بقصر العاصي بشارع العروبة حيث اصطحب عفيفي زوجته نهال وابنه مصطفى وخطيبته سلوى وأخوها محمد، واصطحب فريد النجار زوجته هدى وابنتيه هالة وصافيناز.. الحفل الصاخب الذي حضره عشرات الشخصيات العامة من رجال السلطة والفن والسياسة ومختلف مناحي الحياة ازدادت وتيرته رفاهية وترف وصخب عن السنوات السابقة في مؤشر يعكس مدى إسفاف ما وصلت إليه الحياة الاجتماعية لعائلات متسلقي السلطة ومصاصي مقدرات المصريين الذين أسرفوا في حياة اللذة والمتعة، ولم يبالوا بمعاناة الفقراء ولا صرخات المقهورين من بني وطنهم.. سلوى الفتاة المصرية البسيطة التي تعيش على الجانب الآخر من الحياة مع الغالبية العظمى من المصريين جلست هي وشقيقها الصغير - الذي أصابته مشاهد الحضور وجو الحفلة بحالة من الذهول الصامت - على الطاولة التي يجلس عليها عائلة «عفيفي مرزوق» وعائلة فريد النجار وقد أصابها الذهول والتعجب من مظاهر وتجهيزات الحفلة وأسلوب الحضور في حديثهم وتعبيرهم عن مشاعر الاحتفال والفرح، وظلت منذ حضورها في حالة صمت استنكاري تعجبي حتى جذبتها النظرات الحاقدة الناقمة التي كانت تطلقها هالة إلى خطيبها ولغة الجسد التي كانت تعبر عن مشاعر كراهية وبغض فهمست في أذن خطيبها تسأله بصوت تعجب:

لماذا تنظر إليك الفتاة التي تجلس أمامنا وترتدي الفستان الأحمر بهذه النظرات الغاضبة؟

مصطفى يهمس في أذنها قائلاً بعدما يتأمل تعبيرات ملامح هالة التي فطنت إلى نظرة سلوى وحديثها معه فأَدَارَت نظرها في اتجاه آخر: هالة. اعتقد أنها كانت تفكر في شيء يغضبها.

فريال بأسلوب تهكمي موجهة كلامها إلى مصطفى بعدما نظرت إلى سلوى نظرة دونية تقول: هل نسيت قواعد الاتيكيت والزوق؟ دعك من حديث الهمز واللمز هذا.

مصطفى بصوت محتد بعدما تحسس أسلوب التهكم والإهانة في حق خطيبته: لا داعي لذلك يا أمي.

سلوى وقد احمر وجهها من الإحراج بعدما استشعرت أنها المقصودة بهذا الكلام تقول بصوت غلفه الضيق: معذرة يا طنط كنا نتحدث في شيء خاص.

فريال بعد نظرة تملكها الغضب تدير وجهها عن سلوى لتقول موجهة كلامها إلى هالة بصوت ساخر وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة ملونة: الحفلة هذه السنة غير كل سنة يا هالة.

هالة بأسلوب ناقم بعد لحظات من الصمت: فعلاً. الحياة كلها تغيرت يا طنط. لم يعد هناك شيء له قيمة.

فريال بصوت تعجب: ما هذا الكلام؟ هالة بنت هدى وجدي وفريد النجار تتحدث بهذه الطريقة اليائسة!

هدى بصوت استفهام: لا أعرف سبب هذه النظرة التشاؤمية التي أصابتك منذ عودتك من حفلة عيد ميلاد صديقتك شهيرة.. ثم تنظر إلى مصطفى قائلة: لقد كنت هناك أنت وكريم. ما الذي حدث؟

مصطفى بعد نظرة صامتة يقول بصوت هادئ: لم يحدث شيء يا طنط؟.. ثم يوجه كلامه إلى هالة قائلاً بصوت استفهام اصطنعت نبرته الاهتمام: لقد تركتك مع كريم الفرماوي وكانت الحفلة جميلة وهادئة. هل حدث شي بعد انصرافي.

هالة بصوت مكبوت وملامح حسرة: لقد تقابلت مع صديقة لي قصت علي ما حدث لها مع شخص ندل حقير حيوان أوهمها بالحب فأسلمت له نفسها وكان جزاءها أنه أسلمها إلى حيوان مثله اغتصبها تحت تأثير المخدر.

مصطفى بعد نظرة تأملية صامتة أخفت ورائها شعورًا بالقلق والتوتر يقول بصوت تظاهر بالصدمة والفضول: هل يوجد بشر بهذا السلوك! من تكون هذه الفتاة المظلومة؟

هالة وهي تنظر إلى سلوى نظرة تساؤلية حادة تقول بصوت تحفز: ما الذي ستفعليه لو أسلمك مصطفى إلى شخص آخر لينال منكِ؟

سلوى وتعبيرات الاستنكار تملكت من ملامحها تقول بصوت رفض: اعتقد أن سؤالك غريب ولا يمكن أن يكون له إجابة عندي؛ فأنا أرفض مجرد ذكر مصطفى كمثال لهذا الشخص الذي نُزعت منه الإنسانية.

هالة تقول بصوت غلفه اليقين موجهة كلامها إلى مصطفى بعدما وجهت إلى سلوى تعبيرات إيحائية ساخرة لردها الساذج: ربما.

هدى بصوت رجاء وتعبيرات أظهرت الملل من الحديث: كفاكي يا هالة واتركي أمر صاحبتك المذبوحة إلى وقت آخر لقد جئنا لنستمتع

بالحفل.. ثم تنظر إلى فريال وتقول بصوت تشويق: لقد أخبرتني نهال أن عمرو دياب ومحمد فؤاد سيغنيان وسترقص دينا وفيفي عبده بجانب الفرقة الاستعراضية الروسية والمونولوجست عادل الفار.

فريال بصوت اشتياق وملامح حالمة: أنا اعشق عمرو دياب. ألبومه الجديد متخافيش أكثر من رائع.

هدى بصوت ساخر ضاحك: أنا أصدقك في الجملة الأولى. أين زوجك ليسمع هذا الكلام.

فريال وهي تنظر تجاه زوجها الذي كان يجلس بصحبة فريد النجار على الطاولة الخاصة بـ توفيق العاصي تقول: زوجي وزوجك لن يشغلا بالهما بنا طالما أنهما يجلسان في حضرة توفيق باشا العاصي. هيا نذهب إلى نهال داخل الڤيلا لنكون أول من يشاهد فستانها الجديد الذي صممه لها اللبناني يوسف كمون.

هدى بصوت تشويق موجهة كلامها إلى سلوى وهالة وصافيناز وهي تنهض من على كرسيها: هيا يا بنات معنا.

فتنهض صافيناز مع فريال وهدى وتعتذر كل من سلوى وهالة ليجلس الاثنان بصحبة محمد ومصطفى ويخيم على الطاولة الصمت حتى يهمس محمد في أذن شقيقته ليطلب منها الذهاب إلى الحمام لتصطحبه وتترك مصطفى مع هالة. وبمجرد انصراف سلوى يقول مصطفى بصوت أسف وتعبيرات ندم مصطنعة: أنا في غاية الأسف لما حدث. لقد لعبت الخمر والمخدرات برؤوسنا ولم أكن في وعي.

فتنظر إليه هالة نظرة قاتمة كارهة بغيضة وهي تقول بصوت مغلول والدموع حبيسة في عينيها: لقد وضعتما لي المخدر في كوب الليمون قبل أن تفعل معي ما فعلت.

مصطفى وقد تظلل وجهه بملامح الشر يقول بصوت عدم اكتراث: لقد قدمت لكِ اعتذاري وأكرر لكِ أسفي. لا تعطي الأمر قدر أكبر من قدره.

هالة ودموع الغل والآسى تتساقط من عينيها تقول بصوت مكبوت: معك حق. لقد جاءت خطيبتك المخدوعة.

تجلس سلوى وقد استشعرت الغيرة والشك بعدما شهدت دموع هالة وتعبيراتها لتقول بصوت غلفه السخرية: هل حضرت في وقت غير مناسب.

مصطفى بصوت حدة وملامح استنكارية استفهامية: ماذا تقصدي بهذه الجملة؟

سلوى وملامح الغيرة والشك مطبوعة على وجهها تقول: اعتقد أن وجودنا قطع عليكما حديث خاص لا ترغبان في معرفتي به. لو كان وجودنا يزعجكما سأغادر الحفل.

هالة بصوت انفعالي ساخر: لقد كنا نتحدث عن شيء لا يهمك هل نسيتي أن خطيبك الوفي تربى معي وهو في مقام أخي. لا تظلميه فهو مثل الملاك.

مصطفى ينهض قائلاً بصوت حدة وتعبيرات الغضب تسيطر على ملامحه: كما تريدي سأجعل عم حسانين يوصلك إلى المنزل.

محمد بملامح رافضة يقول بصوته الطفولي: ما زالت الساعة ٨ وأمامنا حتى الساعة ١١.

سلوى تنهض مسرعة وتمسك بيد محمد قائلة بصوت توتر وإحراج والدموع عالقة في عينيها: أنا مرهقة وتعبانة ولابد أن نعود إلى المنزل.. ثم تنظر إلى مصطفى نظرة رافضة: لا داعي سأستقل تاكسي من أمام الفيلا.

مصطفى يمسك يدها بقوة ويتوجه إلى خارج الفيلا بعدما أمر حسانين بتجهيز السيارة ليجبر سلوى على استقلالها فتعود مع شقيقها إلى البيت وتظل طوال تلك الليلة تعيش في حالة غضب وحزن مما حدث خاصة أن مصطفى لم يحاول الاتصال بها وتنصل من وجوده بمنزله عندما اتصل به مجاهد في ساعة متأخرة من الليل.

بعد مغادرة سلوى الحفلة يستكمل مصطفى الحفلة ولم يلتفت إلى التهديدات الإيحائية التي أطلقتها هالة ولا إلى الحالة النفسية التي أصابت سلوى لينغمس في الشرب والرقص واللهو حتى ساعة متأخرة من الليل ليعود إلى منزله وقد استقر في نفسه الخبيثة التخلص من سلوى بعدما أوقعها في براثن الخطيئة وتذوق منها كأس اللذة والمتعة.

❒❒❒

وتمر عشرة أيام بعد يوم الحفلة يتهرب مصطفى خلالها من اتصالات سلوى ومجاهد وتنتهي فترة أجازة نصف العام وتعود سلوى إلى الكلية في صباح هذا اليوم وقد أصابها حالة من عدم الاتزان النفسي والتوتر

العصبي بعدما شعرت أن أحاسيس ومشاعر خطيبها نحوها لم تعد كما كانت، وربما تكون قد تبدلت نتيجة لما حدث منها في الحفلة. هذا التوتر وعدم الاتزان دفعها إلى التنازل عن كبريائها واعتزازها بنفسها بعدما أقنعت نفسها أنها أخطأت في حق خطيبها لتعتذر له، وتطلب منه أن يسامحها عنما بدر منها من عصبية وغيرة يوم الحفلة. النفس الحيوانية الخبيثة التي تسيطر على مصطفى دفعته إلى استغلال ضعف سلوى وتعلقها بسراب عش الزوجية الذي نسجه لها ليدفعها بأسلوبه الملتوي الناعم بعدما خدعها بكلماته الماكرة وأسلوبه الشيطاني إلى معاودة الخطيئة والاستسلام والخنوع لشهواته وغرائزه ويتكرر لقاءتهما المحرمة في ڤيلا ٦ أكتوبر وتنجرف سلوى خلف سراب الأوهام وتدور في فلك أهواء الشيطان غير مدركة أنها تسبح ضد المبادئ والقيم التي تربت عليها غير مستوعبة أنها خلعت رداء الفضيلة والشرف والأخلاق وارتدت رداء ظاهره نور الحب والغرام وباطنه نار الخطيئة والخديعة.

وخلال تلك الفترة استطاعت هالة فريد التواصل مع «كمال الجارحي» (رجل في بداية العقد الخامس من العمر استقطبه «عفيفي مرزوق» ليعمل معه في التهريب وتجارة المخدرات في بداية حياته العملية واستطاع بعد سنوات قليلة من الدخول في علاقة عمل مع توفيق العاصي ليصبح بعدها أحد أهم رجال شبكة المافيا التي يديرها وذراعه الإيمن وكاتم أسراره) ليتطور بينهما الأمر ويتفق الاثنان على أن تسلم هالة نفسها له في مقابل تنفيذ كمال عملية الانتقام من أشخاص قاما بإيذائها ستفصح عنهما في يوم لقاء الخطيئة بينهما.. وفي الموعد المحدد للقاء

حضرت هالة إلى ڤيلا «كمال الجارحي» لتقدم له نفسها وتنفذ التزامها معه. وبعد لقاء الخطيئة يتوجه الاثنان ليجلسا على حمام السباحة وبعد ثوان من الترقب والانتظار يقول كمال بصوت ثقة وهو ينظر إلى هالة نظرة تأملية ثاقبة:

لقد نفذتِ التزامك وأتمنى أن يكون بيننا لقاءات أخرى. يمكنك الآن الإفصاح عن طلبك وأنا سأنفذه مهما كان صعب.

هالة وقد لمعت عينيها وارتسمت على ملامحها تعبيرات آسى وحزن تقص عليه ما حدث لها دون أن تسمي الشخصان اللذان قاما بذلك.

كمال وقد ارتسم على وجهه تعبيرات غضب واشمئزاز بعدما استمع لما حدث لها يقول بصوت يقين: هذان الشخصان سأجعلهما يندما على فعلتهما الخسيسة.. ثم يصمت لحظات ليقول مستفهماً: أخبريني من هذين الوغدين؟

هالة بعدما اشعلت سيجارة وزفرت نفس بشدة تقول بصوت آسى وعيون ترقب لرد فعل كمال: الشخص الذي كنت على علاقة معه وخدعني ووضع المخدر أنت تعرف أبوه «عبد الرحمن الفرماوي» الكاتب المشهور. أما الثاني فأنت تعرفه شخصياً وهو على علاقة محرمة مع نهال عاصم.

كمال بعد لحظات من صمت المفأجاة يقول بصوت تعجب استفهامي وتعبيرات وجهه تترقب الإجابة: هل أنتِ متأكدة من هذا الكلام؟! من يكون هذا العاشق؟

هالة بصوت حزين غاضب: لقد شهدتهما سوياً بالمصادفة في ڤيلا والده بمدينة ٦ اكتوبر. هذا الوغد لم يعمل حساب إلى الصداقة التي بين والده ووالدي ولا إلى أيام الطفولة التي جمعتنا سوياً. أنه مصطفى «عفيفي مرزوق».

كمال بصوت غلفه التعجب والصدمة والتحفز: مصطفى عفيفي! لو صح كلامك لن يكتفي معالي الباشا بقتله.

هالة بصوت يقين: تستطيع التأكد من صحة كلامي. أنا أعلم أنك تنفذ وعودك وتلتزم بها. لقد لجأت لك وأنا على ثقة أنك ستنتقم لي من هذين الوغدين.

كمال بعد ثوان من صمت التأمل يقول مستفهماً: أخبريني ماذا تريدي مني أن أفعل مع الشخص الذي يُدعى كريم؛ هل تريدي قتله، أم إحداث به عاهة مستديمة، أم تلفيق له تهمة تدخله السجن؟

هالة بصوت غل وتعبيرات تكاد تصرخ من شدة الرغبة في الانتقام والتشفي: يقضي شبابه في السجن. هذا عقاب يستحقه على فعلته الحيوانية الخثيثة.. ثم تصمت ثواني لتقول بعدها مستفهمة بأسلوب ترقب وتحفز: ماذا عن مصطفى عفيفي؟

كمال بتعبيرات صامتة يقول بصوت يقين: سأتحرى عن صحة روايتك الخاصة بالسيدة نهال. وإذا صدقتني سيكون مصيره مثل مصير صاحبه.. ثم ينظر إليها نظرة تحذيرية قائلاً بصوت آمر: لا تتحدثي مع أحد في هذا الموضوع مهما حدث.

هالة بصوت خضوع: أنا لم أتحدث مع أحد غيرك وكنت على ثقة أنك ستنتقم لي منهما.

كمال بصوت مطمئن: عظيم. اطمئني ستسمعي خلال أيام خبر يشفي غليلك. كوني على اتصال بي. اليوم كان يوم جميل واستمتعت معكِ في كل شيء.

هالة وقد تأهبت للرحيل تقول بصوت إيجاب: بكل تأكيد هذا يسعدني وأتمنى أن يكون لقائنا في القريب.

كمال يصطحب هالة إلى سيارتها ويودعها ليعود يسترخي أمام حمام السباحة وهو يستعيد ما قالته هالة ويتخيل رد فعل توفيق العاصي لو صح رواية خيانة زوجته له، ويظل يحسب السيناريوهات المتوقعة لكل الاحتمالات حتى يستقر في نفسه أنه من الأفضل إبلاغ توفيق العاصي برواية هالة ليتخذ بنفسه ما يراه.

❑❑❑

وفي صباح اليوم التالي يتوجه كمال إلى مكتب توفيق العاصي ويتقابل معه وبعدما يعرض عليه ما تم إنجازه من أعمال يجلس على غير عادته صامتاً صمت الحائر وتعبيرات وجهه تفصح عن رغبة الحديث في شيء هام يخشى من إبلاغه فيفطن توفيق إلى ما بداخله فيقول مستفهماً:

ماذا بك يا كمال؟ هل تخشى أن تخبرني بشيء؟

كمال وهو يتجنب النظر في عيون توفيق الثاقبة يقول بصوت مرتبك: لقد وصلتني أخبار تخصك قد تغضبك. وقد فضلت أن أخبرك بها ولا اتصرف قبل أن تأمرني.

توفيق بصوت فضول وملامح ترقب: ما هي تلك الأخبار؟

كمال: هالة بنت فريد النجار طلبت مني أن انتقم لها من شخص كانت على علاقة غرامية معه وقد خدعها وجعل مصطفى ابن «عفيفي مرزوق» يستعملها تحت تأثير مخدر وضعه لها في مشروب قدمه لها. وقد ذكرت في روايتها أن نهال هانم على علاقة مع ابن «عفيفي مرزوق».

توفيق وقد تبدلت ملامح الترقب إلى ملامح غضب عند سماعه الإدعاء بأن زوجته على علاقة بشخص آخر فيقطع حديث كمال قائلاً بصوت استنكار غلفه التعجب الغاضب: نهال مع ابن «عفيفي مرزوق»! احكي لي ما قالته بالتفصيل.

كمال بصوت رهبة وملامح يكسوها الإحراج والخجل يقص عليه بالتفصيل ما دار بينه وبين هالة، وتوفيق ينصت إليه بشغف وتعبيرات وجهه تمزج بين ملامح النمر الثائر والثعلب الماكر حتى إن انتهى من روايته يقول توفيق بصوت كاظم للغيظ: ضع الولد ابن «عبد الرحمن الفرماوي» وبنت فريد النجار تحت المراقبة واجمع عنهما كل تفاصيل حياتهم ويكون هذا التقرير أمامي في أقرب وقت. أما ابن «عفيفي مرزوق» سأهتم أنا بأمره.

كمال بصوت خنوع: تعليماتك يا معالي الباشا.

توفيق بصوت توعد وملامح طيور جارحة: لو صحت رواية بنت فريد النجار لن يكفيني موت ابن عفيفي ولا موت الخائنة سأجعلهما يتمنيان الموت. أما لو كانت هذه البنت تكذب بشأن زوجتي سأجعلها تعيش حياة العاهرات طوال عمرها.

كمال بصوت غلفه التبعية وملامح تطلب الرضا: سننفذ كل ما تأمرنا به سعادتك. هل هناك تعليمات أخرى؟

توفيق بعد لحظات من الصمت يقول بصيغة أمر: أوقف العملية التي سيقوم بها عفيفي وفريد حتى أخبرك بميعاد آخر للتنفيذ.

كمال وهو يستعد لمغادرة المكتب: حاضر يا معالي الباشا. سأرسل فاكس إلى ألياهو بهذا الشأن. اسمح لي بالانصراف.

توفيق يهز رأسه بالإيجاب وهو يشعل السيجار فيغادر كمال المكتب ليظل توفيق يدبر أمر مراقبة زوجته بنفسه، وهو يتوعد لها لو صحت رواية خيانتها له مع ابن عفيفي.

❑❑❑

الوسط المتشيطن الذي يعيشه كل من مصطفى عفيفي وكريم الفرماوي، ودفعهما إلى إشباع رغباتهما الحيوانية دون التقيد بأدنى قواعد أو قيم إنسانية وأصابهما بمرض البلادة وتعفن الأخلاق وغابية الإدراك والسلوك، جعلهما مخلوقات بلا شعور أو إحساس بالخطيئة والذنب فانجرفوا نحو إشباع سلوكهما الأسود المنحط بتنفيذ خطتهما القذرة، وبالفعل قام كريم بتكرار واقعة هالة فريد مع نهلة مشرقي بنفس الكيفية والأسلوب لكن الضحية في هذه الواقعة الخسيسة لم تدري ماذا أوصلتها الخطيئة مع شيطان الأنس. ارتكب مصطفى وكريم فعلتهما الدنيئة الشنعاء وهما لا يدركان أنهما تحت أعين تنين الشر الذي يعصف بكل من يقف في طريقه بلا رحمة أو هوادة. وشاءت الأقدار أن تفلت

نهال عاصم من فخ الندالة والخسة بعدما تعرض كريم إلى حادث مروري بسيط وهو في طريقه إلى ڤيلا عفيفي بـمدينة السادس من أكتوبر، جعله يرقد في المستشفى بضعة أيام. أفلتت نهال من فخ الخسة والندالة لتقع في فخ انتقام توفيق العاصي الذي كشف بنفسه تفاصيل خيانتها له وترك لها الحبل الذي لفته حول رقبتها دون أن تدرك أنها وقعت في شراك العناكب.

وفي مساء يوم الخامس والعشرين من فبراير عام ١٩٩١م حضر كل من «عفيفي مرزوق» وفريد النجار إلى مكتب توفيق العاصي بعد استدعائهما لمناقشة تفاصيل عملية جلب الهيروين ضمن صفقة استيراد إطارات سيارات من تركيا لحساب مجموعة شركات عفيفي وفريد، وقد استقبلهما توفيق كعادته بالحفاوة والترحاب ليجلسوا بعدها يستمعون إلى خطاب الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب وهو يعلن تحرير الكويت وهزيمة الجيش العراقي. كلمات الخطاب التي أطلقها جورج بوش استوقفت انتباه فريد النجار فقال مستفهماً موجهاً كلامه إلى توفيق:

ما رأي معالي الباشا في مسألة تحرير الكويت على يد القوات الأمريكية؟ وهل كانت مشاركة القوات المصرية في الحرب سيعود بالنفع على الاقتصاد المصري؟

توفيق بصوت كاشف ونظرة ساكنة: وجود القوات الأمريكية في منطقة الخليج سيحقق لها مكاسب استراتيجية كبيرة وقد كان قرار الرئيس مبارك في تلك الأزمة في منتهى الحكمة وسيعود بكل تأكيد بالنفع على الاقتصاد المصري بصفة عامة، وعلى مصالحنا بصفة خاصة..

ثم يصمت للحظات ليقول بعدها بصيغة ناصحة: المهم. صفقة إطارات السيارات من الأفضل أن تتم خارج تعاملات مجموعة شركاتكم؛ فهناك دواعي أمنية وسياسية تفرض علينا أن تتم لحساب غيركم.

عفيفي مستفهماً وتعبيرات وجهه شابها الفضول القلق: ما هي تلك الدواعي الأمنية والسياسية؟

توفيق بتعبيرات صماء وصوت غلفه الحزم: لا تسألني عن أشياء لا شأن لك بها. الصفقة ستتم لحسابكم لكن الأوراق ستكون باسم شخص آخر.

فريد بصوت قلوق وهو ينظر إلى توفيق نظرة تأملية استفهامية: من يكون هذا الشخص الذي يمكن أن نثق فيه ونسلمه أموالنا؟

توفيق: الشخص الوحيد الذي يمكن أن تثقوا فيه هو ابن عفيفي؛ فهو أنسب من يؤدي هذا الدور.

عفيفي بعد لحظات من صمت المفاجئة يقول بصوت رافض: مصطفى! أنه شاب متهور ولا يمكن أن نثق به.

توفيق بصوت طمأنة: لن يعرف ولدك أي شيء سوى أن الصفقة هي صفقة استيراد إطارات السيارات. لا تخشى شيء يا عفيفي. لو لم تثق في كلامي اترك الصفقة سأجعلها تمر بواسطة شخص آخر.

فريد بصوت طمأنة ورجاء موجهاً كلامه إلى عفيفي بعدما استشعر أن الصفقة ستذهب إلى غيرهما: لا تتردد يا عفيفي. الباشا يدير الأمور بمنظور يرى من خلاله ما لا نراه نحن.

عفيفي بعد عدة ثوان من الصمت يقول بصوت قلوق موجهاً كلامه إلى توفيق: يا معالي الباشا. ابني شاب مستهتر طائش وأخشى أن يسبب لنا مشاكل نحن في غنى عنها.

توفيق بصوت يقين وحزم: لا تخشى شيء يا عفيفي. ابنك إن عاجلاً أو أجلاً سيدخل معك في عالم التجارة والمال، ومن الأفضل أن تؤهله لذلك.

فريد بصوت يقين وطمأنة: لا ترد بعد كلام توفيق باشا. اطمئن ومصطفى سيكون تحت ملاحظة ورعاية الباشا.

توفيق وهو ينظر إلى عفيفي نظرة تأملية استكشافية يقول بصيغة أمر: استخرج بطاقة ضريبية وسجل تجاري لشركة استيراد جديدة باسم ابنك والسفر سيكون بعد أسبوع.

عفيفي وهو ينظر إلى توفيق نظرة استكانة يقول: من الذي سيدبر أمر الصفقة هناك.

توفيق: كمال سيرتب أمر الصفقة. واطمئن سأكون مع زوجتي نهال هناك ولن أترك ابنك حتى يصل إلى القاهرة.

عفيفي يقول بصوت غلفه التفاؤل بعدما خفت حدة القلق الذي كانت تسيطر على ملامحه: وجودك مع مصطفى سيجعل الأمور تسير كما ينبغي.. ثم يصمت لبضع لحظات ليقول بأسلوب فضولي متأدب: هل ستذهب إلى تركيا للسياحة؟

توفيق بعد ابتسامة صماء يقول مقتضباً: احتاج بعض الوقت للاسترخاء. جهز الدولارات المطلوبة واحضرها قبل السفر. سأنتظر منك تليفون تخبرني بأنك أنجزت المطلوب.

عفيفي: سأجهز الأوراق والـدولارات خلال يومين وسأحضر أنا وفريد لنودعك قبل السفر.

فريد: أتمنى أن تكون رحلتك موفقة يا معالي الباشا. بكل تأكيد ستحضر هدى لتودع صاحبتها قبل السفر. لو تسمح سعادتك نقيم حفلة صغيرة قبل السفر.

توفيق بملامح استحسان يقول موجهاً كلامه إلى فريد: اترك مسألة تنظيم الحفل إلى هدى ونهال. بكل تأكيد ستكون حفلة ممتعة. ثم يتوجه بنظره إلى عفيفي ليقول: لا تنسى دعوة خطيبة ابنك لتحضر الحفلة. أراكما على خير.

بعدها ينصرف كل من عفيفي وفريد وقد تبدلت مخاوف عفيفي واطمئن قلبه نحو إشراك مصطفى في الصفقة، وقام خلال يومين بإنشاء شركة استيراد وتصدير باسم ابنه وانهى جميع الأوراق المطلوبة لإتمام الصفقة القادمة من تركيا. وقد استقبل مصطفى عطية والده بترحاب وفرحة واحتفل مع نهال على فراش الخطيئة في اليوم التالي وهما لا يعلمان أنهما وقعا في شراك الانتقام الذي نسجها لهما توفيق العاصي بخطة ماكرة أُحكمت تفاصيلها.

❑❑❑

وفي اليوم السابق على السفر أعد «عفيفي مرزوق» احتفالاً كبيراً، بمناسبة حصول ابنه على تصريح الدخول إلى عالم التجارة والمال والأعـمال، حضره لفيف من رجال المال والأعمال والسياسة والفن

الذين جاءوا متهافتين ليكونوا في دائرة قبول ورضا توفيق العاصي رجل السلطة القوي الذي استطاع أن يحكم قبضته بمشاركة ومساندة مجموعة من مماليك السلطة على مقاليد الدولة ليسيطر على عالم المال والتجارة والصناعة والإعلام لتعمل وفقاً لمنهجه الذي استحسنته وباركته القيادة السياسية التي تركت علامات استفهام وتعجب نحو منح مجموعة من الأشخاص امتيازات التحكم في مقدرات الوطن بغير ضابط ولا رابط.

الاحتفال الذي قارب في بزخه تلك الاحتفالات التي يطلقها مليارديرات مافيا المخدرات والسلاح في أوروبا والأمريكتين حضره الخاطئات ضحايا فحيح فجور شيطان الأنس: سلوى مجاهد، التي أصبحت في خضوع تام لجميع رغبات مصطفى بعدما أسلمت له نفسها تحت وهم ورقة عرفية حررها الاثنين، حضرت مع والدها ووالدتها وأخوها حيث قام عفيفي بدعوتهم بنفسه. هالة فريد التي انسعرت مشاعرها نحو الفتك بكل من كريم ومصطفى جاءت مع عائلة النجار وقلبها ما زال يترقب الانتقام الذي وعدها به «كمال الجارحي». نهلة مشرقي التي جاءت بصحبة كريم الفرماوي وهي ما زالت تجهل ما حدث لها وما زالت تعيش في سراب الغرام والعشق مع كريم.

جلست سلوى وعائلتها حول طاولة ملاصقة للطاولتين التي جلس حول أحدهما نهلة مشرقي وكريم الفرماوي وحول الأخرى جلست هالة فريد وعائلتها بصحبة فريال السباعي ونهال عاصم، وكانت نظرات مجاهد عبده وعايدة عبد السميع ترمقان مظاهر البذخ والإسفاف والسلوك المفتقد للقيم والأخلاق لغالبية المدعوين بنظرات تعجبية

أخفت ورائها شعورهما بالنقمة والبغض، وقد تجاهلتهما فريال السباعي وجلست على الطاولة الملاصقة لهم. بينما ظلت سلوى تتبع بنظرها خطيبها وهو يجلس على الطاولة التي جمعت كل من توفيق العاصي و«عفيفي مرزوق» وفريد النجار و«كمال الجارحي» حتى غادر الطاولة ليتوجه نحوها ويستأذن والديها ليصطحبها ثم يتوجه الاثنان نحو طاولة كريم ونهلة ليجلسا معهما وتستقبل نهلة سلوى بترحاب وقبول شديد. بعدها ببضع دقائق تأتي هالة فريد لتلقي السلام على الحضور وتجلس بجوار نهلة مرحبة بها وهي تقول بصوت اصطنعت نبرته السعادة:

مبروك يا مصطفى. أنا على ثقة بأنك ستكون رجل أعمال ناجح.. ثم تنظر إلى سلوى نظرة متلونة قائلة بأسلوب ساخر: لابد أن تشعلي له البخور لتحميه من الحسد.

سلوى وهي تنظر إليها نظرة استفزازية تقول: بالطبع سأفعل ذلك. فمصطفى بكل تأكيد يمتلك كل المقومات التي تجعله موضع حسد من أصحاب النفوس الضعيفة خاصة الفتيات.. ثم تبتسم وهي تنظر إلى نهلة قائلة: أتمنى أن تفعلي ذلك مع خطيبك فهو أيضاً منظور من الحاقدين والحاقدات.

نهلة وهي تطلق النظرات التأملية نحو الحضور تقول مداعبة: ممكن نعمل زار نبخر الجميع ونخرج الأرواح الشريرة التي تعشش بداخلنا.

هالة وقد زادتها جملة «خطيبك» التي وجهتها سلوى إلى نهلة غضباً ونقماً تقول بصوت استفهام صادم وهي تنظر إلى نهلة وكريم نظرة قاتمة: هل تم خطبتكما؟

نهلة وقد استشعرت تعبيرات الغيرة والحقد في نفس هالة تقول بصوت تساؤل: حتى الآن لم يتم إعلان الخطبة. اعتقد أن هذا الخبر سيسعدك يا هالة؟ فنحن زملاء دراسة وأصدقاء طفولة.

هالة وقد ازدادت تعبيراتها شططاً ودموع الحقد حبيسة عيونها تقول بصوت انفعالي متوتر: اسألي خطيبك هذا السؤال؟.. ثم تلتفت إلى سلوى وهي تنظر إليها نظرة دونية قائلة: وأنتِ يا سيدة القصر. اسألي خطيبك هذا السؤال؟

مصطفى يقول مازحاً وقد ارتسم على وجهه تعبيرات ساخرة مصطنعة أخفت ورائها شعور توتر وقلق: اعتقد أن هالة قد أفرطت في شرب الخمر.

هالة بصوت أكثر انفعالًا وحدة تقاطع مصطفى قائلة: آه بالفعل لقد أثملتني الأيام. استمتعوا بوقتكم.. ثم تنظر إلى نهلة وهي تستعد للمغادرة قائلة: معذرة يا نهلة لقد أفرط في الشرب. سأتصل بكِ. أراكي على خير.

كريم بعد مغادرة هالة يقول بصوت استهجان وتعبيرات وجهه تحاول إخفاء شعور التوتر الذي تملكه: هل تفعل الخمر بها ذلك؟ لم أكن أتخيل هذا منها.

سلوى بعدما نظرت إلى مصطفى وكريم نظرة تأملية كاشفة تقول: هذا الكلام ليس كلام إنسانة سكرانة. حديثها وطريقتها يحتويان على شعور حقد وكراهية وقد شعرت بذلك في حفل عيد ميلاد نهال عاصم عندما علمت بخطوبتي أنا ومصطفى. لقد صُدمت في مشاعرها بعد معرفتها بخبر خطوبة نهلة وكريم.

مصطفى يقول بصوت حدة: أنتِ لا تعرفي أسلوب حياة العائلات المرفهة. لا تطلقي استنتاجاتك على أسلوب حياة لا تعرفيها.

نهلة تقول بصوت استنكار موجهة كلامها إلى مصطفى بعدما تحسست بشعور الحزن والخجل الذي أصاب سلوى: أنا أؤيد كلام سلوى واتفق معها؛ ألم تلاحظ تعبيراتها عندما علمت بخبر خطوبتي من كريم؟

كريم بعد ضحكة ساخرة يقول: هل الحديث سيقتصر اليوم على كريم؟ دعونا نتحدث عن شخص غير كريم.

نهلة بعدما رأت الدموع في عيون سلوى تمسك بيدها قائلة بأسلوب لطيف حنون: تعالي معي نبعد عن رخامة هذين الشابين ونصلح من مكياجنا.

تهز سلوى رأسها وهي تكتم دموعها قائلة بصوت مجروح: هيا بنا فأنا في حاجة إلى ذلك.. بعدها تتوجه الاثنتان إلى داخل القصر وتحاول نهلة التخفيف عن سلوى، ويدور بينهما حديث أفصحت خلاله سلوى عن حزنها وقلقها من معاملة مصطفى وتعمده إحرجها والتقليل من شأنها أمام الآخرين. وقد استطاعت نهلة بأسلوبها اللطيف من الزود عن سلوى والتخفيف من معاناتها النفسية لتزداد أواصل المحبة والمودة بينهما، ويستقر في وجدان الاثنتين بأن الأخرى صارت صديقة لها. بعدها تعودان إلى الخارج في الوقت الذي يتم فيه افتتاح البوفيه ليتناول الحضور طعام العشاء وتجلس نهلة مع سلوى حول الطاولة التي يجلس عليها مجاهد وعائلته وتجذب خلال تناول الطعام معهم بأسلوبها اللطيف الودود محبتهم جميعاً وتقبل دعوة عايدة على الغذاء يوم الجمعة القادمة.

وهكذا تنتهي الحفل و يغادر الحضور كل إلى حال سبيله و يظل مصطفى طوال تلك الليلة يعيش في نشوة تأهل الوصول إلى عالم المال والسلطة متوهماً أنه دخلهما من أوسع الأبواب غير فاطن أنه وقع في فخ تنين الانتقام التي ستلتهم نيرانه حتى من تصادف مروره بجوار هذا الفخ.

❒❒❒

في مدينة اسطنبول، الواقعة على مضيق البوسفور وتمتد أراضيها بين قارتي أوربا وآسيا، وقف توفيق العاصي يشاهد من خلف زجاج شرفة غرفته بفندق «سلطانأحمت - Sultanahmet» جمال الطبيعة الخلابة والمناظر التاريخية الأثرية وهو يدخن السيجار الكوبي و يشرب كأس من أفخر أنواع النبيذ «شاتو لافيت ١٧٨٧» وهو يستعيد ذكريات احتفاله مع نهال في تلك الغرفة بعيد زواجهما الرابع منذ ما يقرب من ستة عشر عاماً حتى يستوقفه مكالمة تليفونية من كمال تضمنت كلمات معدودة: «معالي الباشا. السيدة نهال تعرضت لحادث سرقة واللصوص اعتدوا عليها ونحن الآن بمركز الأناضول الطبي». ينهي توفيق المكالمة دون رد و يتوجه على الفور إلى المركز الطبي ليجد كمال في استقباله أمام البوابه بملامح راضية قائلاً بصوت غلفه الطمأنينة:

لقد تم تنفيذ تعليمات سيادتكم. لقد خرجت من غرفة العمليات منذ ساعتين بعد إجراء الجراحة، وهي الآن في الغرفة رقم ٥٦ بقسم جراحة العظام.

توفيق بملامح ساكنة يقول بصوت استفهام هادئ: هل أخبرك الطبيب المعالج بالنتيجة؟

كمال بصوت يقين: نعم. الأشعة التي تم إجراءها أظهرت وجود كسر بالفقرة الثالثة والرابعة من العمود الفقري وقطع بالنخاع الشوكي سينتج عنه شلل في الأطراف السفلية.

توفيق بعد نظرة مزجت خيوطها بين ألوان الطيف يقول: هل انهى مصطفى إجراءات الشحن؟

كمال: نعم وسيعود مساء اليوم من أنطاكيا ليسافر إلى القاهرة فجر غداً على طائرة مصر للطيران.

توفيق: تأكد بنفسك أن زجاجات الخمر التي طلبها كريم من مصطفى قد تم استبدالها بالزجاجات التي وُضع بها الهيروين وأنها وُضعت في الحقيبة التي ستحملها ريتا لتسلمها إلى كازنوفا. وكذلك تأكد أن حقيبة مصطفى قد تم استبدالها بالحقيبة التي بها الهيروين داخل الجيوب السحرية.

كمال: كن مطمئن يا معالي الباشا. لقد اتصلت برجالنا في مطار القاهرة ودبرت معهما الأمر حيث سيتم تسهيل خروج ريتا بالحقيبة التي بها زجاجات الخمر لتسلمها له وقبل وصوله إلى مسكنه سيكون في قبضة الشرطة متهم بالإتجار بالمخدرات.

توفيق: أكد على ريتا وصوفيا أن ينفذا دورهما بكل دقة.

كمال: نعم يا باشا سأوكد عليهما مرة أخرى. وكن مطمئن؛ عيوننا في إدارة مكافحة المخدرات والجمارك والأمن العام ستتابع الأمر وسيقع الاثنان معاً في الفخ وسيعاقبا بجريمة جلب و إتجار بالمخدرات.

توفيق بملامح حازمة وصوت آمر متشدد يقول: نبه على صوفيا ترافقه ولا تفارقه مطلقاً بمجرد وصوله إلى اسطنبول حتى يغادر إلى المطار. وشدد على ريتا أن تغادر إلى طابا فور تسليمها الحقيبة.

كمال بملامح خاضعة وصوت طاعة: نعم سأفعل يا معالي الباشا.

توفيق وهو يتأهب للدخول إلى المستشفى يقول: سوف أنزل في الغرف الفندقية بالمركز حتى نغادر إلى القاهرة. اذهب أنت الآن وأحضر لي أمتعتي من الفندق؛ لقد أخبرتهم بذلك.

كمال يهز رأسه قائلاً بصيغة طاعة: سأتوجه فوراً. ليغادر متوجهاً إلى الفندق بعد دخول توفيق المركز.

❑❑❑

في فجر اليوم التالي غادر مصطفى مدينة اسطنبول عائداً إلى القاهرة بصحبة ريتا - التي اتفقت تليفونياً مع كريم على قضاء أسبوع معه في مصر - ليصل إلى المطار ظهراً فيجد صديقه في انتظاره داخل صالة وصول الركاب حتى لا يراه عفيفي وفريال وهو يصطحب ريتا بعدما استطاع التسلل إلى هناك بالتصريح الخاص بوالده. وبعد لقاء لم يدم سوى دقائق معدودة بين صاحبي الشر أخذ كريم من مصطفى الحقيبة التي يوجد بها زجاجات الخمر وغادر الصالة بعدما أنهى إجراءات خروج ريتا من الجوزات ليذهبا إلى حال سبيلهما. ووفقاً للخطة التي وضعها توفيق العاصي قام أعوانه في المطار بتأخير حقائب مصطفى حتى يغادر كريم وريتا الجوازات. ومع دخول مصطفى منطقة الجمارك يتم

استيقافه وتفتيش الحقائب ويُكتشف الجيب السحري ويُضبط كيس الهيروين ليصطحبه رجال الشرطة ويتم تحرير محضر بالواقعة ويُرسل مصطفى إلى قسم شرطة النزهة، ويتم احتجازه هناك لحين عرضه على النيابة بعدما فشلت جميع المحاولات التي قام بها «عفيفي مرزوق» لدى كبار المسؤولين في الدولة لتُحفظ القضية وتُمنع من العرض على النيابة؛ حيث كان توفيق العاصي قد أعد حملة صحفية وإعلامية ممنهجة تمنع أي محاولة تعوق تحويل القضية إلى النيابة والقضاء.

منذ لحظة القبض على مصطفى ظل في حالة ذهول وصدمة غير مصدق أو مستوعب ما حدث له؛ فمنذ لحظة القبض عليه حتى احتجازه في قسم الشرطة ظل يصرخ بأنه مظلوم وأن هذه الأشياء لا يعلم عنها شيء، وخلال التحقيقات التي تمت في مكتب رئيس مباحث مطار القاهرة والتي حضرها عفيفي بصحبة أحد كبار المحامين المشهورين انتابته حالة بكاء هستيري وهو يستغيث بوالده أن يفعل أي شيء ليُخرجه من هذا الكابوث. ومع فشل كل محاولات الوساطة في إخلاء سبيل مصطفى يتم ترحيله إلى قسم شرطة النزهة، ولم تنجح مساعي عفيفي لدى مأمور ورئيس مباحث القسم بقضائه الليل في مكتب ضابط المباحث حتى يُرحل إلى النيابة المختصة في صباح اليوم التالي لتنهار معنوياته تماماً مع دخوله حجرة الحجز مع الرعاع والسوقة والخارجين على القانون. بينما كان مصطفى يجلس في زاوية حجز قسم شرطة النزهة في وقت متأخر من الليل يحاول إيجاد تفسير للغز وجود الهيروين في حقيبته انفتح باب الحجز ليتسلل الضوء إلى

الحجرة و يستقر على وجهه الذي بدى عليه الوهن والانكسار يُسمع صوت رقيب الحجز ينادي قائلاً:

مصطفى «عفيفي مرزوق».

فينهض مصطفى وهو يرفع يده قائلاً: أنا مصطفى.

رقيب الحجز: السيد المقدم أشرف لاشين رئيس المباحث يطلبك في مكتبه. أسرع.

فيُسرع مصطفى إلى خارج الحجز مصحوباً إلى مكتب رئيس المباحث ليفاجأ بوجود كريم جالساً باكياً وملامح وجهه تشع بالهم ينظره نظرة استغاثة وزجاجات الخمر التي أهداها له موضوعه أمامه فينظر إلى المقدم أشرف نظرة تساؤلية قائلاً:

هل جاء كريم لزيارتي؟

فينظر المقدم أشرف إليهما نظرة فاحصة ماحصة ليقول موجهاً كلامه إلى مصطفى بعدما أجلسه في الجهة المقابلة إلى كريم: لقد جاء كريم ليرد إليك زجاجات الخمر التي أحضرتها له.

فينظر مصطفى إلى كريم نظرة تأملية ثاقبة ليقول متعجباً: يرد لي زجاجات الخمر!

كريم بصوت استغاثة وتعبيرات وجهه تكاد تصرخ من شدة القلق: أرجوك يا مصطفى أخبرهم بالحقيقة. أنا لا أعرف شيء عنها.

مصطفى وقد أفطن إلى أن الزجاجات بها شيء يمثل حيازته جريمة يقول بصيغة تساؤل وهو يمعن النظر في تعبيرات كريم المفزوعة: هذه

الزجاجات طلبها كريم من ريتا وهي التي أحضرتها له. لماذا هذه الأسئلة؟ ما الذي حدث؟

المقدم أشرف يوجه بلوكامين المباحث المكلف بكتابة المحضر بتدوين الحديث ثم يقول موجهاً كلامه إلى كريم: من تكون ريتا؟

كريم بصوت متهدج: ريتا. أنا لا أعرفها. لقد جاءت مع مصطفى، وقد طلب مني أن أسهل لها إجراءات دخولها من الجوازات وتوصيلها إلى الفندق.

المقدم أشرف يقاطع مصطفى الذي انفعل من جواب كريم ليقول بصيغة آمرة: لا يتحدث أحد منكما إلا عندما أوجه له الحديث.. ثم ينظر إلى كريم قائلاً: لن أسألك عن كيفية دخولك إلى طالة الوصول هذا شيء لا يهمني الآن. المهم هو أن تخبرني باسم ريتا الثلاثي وجنسيتها والفندق الذي تقيم به.

كريم وهو يمسح الدموع التي انسابت من عينيه يقول: اسمها ريتا ريمون وتحمل جواز سفر أمريكي. لقد أوصلتها إلى فندق البارون.

المقدم أشرف يرفع سماعة التليفون ويجري اتصال بالسيد وكيل نيابة النزهة ويحصل على إذن بضبط و إحضار ريتا وتفتيش حجرتها بالفندق. ثم يستدعي الضابط معاون مباحث القسم و يكلفه بتنفيذ قرار النيابة. بعدها يقول موجهاً كلامه إلى مصطفى: ما هي علاقتك بريتا؟

مصطفى يقول بصوت حسرة منكسر: أنا لا أعرف شيء عنها. لقد تعرفت على فتاة اسمها صوفيا في اسطنبول أقامت معي فترة أسبوعين قبل

عودتي، وهي صديقة ريتا التي تعرف عليها كريم عن طريق التليفون واتفقت مع كريم على حضورها إلى القاهرة.

المقدم أشرف: هل طلب منك كريم إحضار خمور معك؟

مصطفى: لا. هو طلب من ريتا وهي التي اشترتها وأحضرتها معها.

كريم بصوت انفعالي يقول موجهاً كلامه إلى مصطفى: لماذا تكذب؟ لقد طلبت الخمر منك، ولم يكن بيني وبين ريتا أي اتفاق.

المقدم أشرف: هل ريتا وكريم اشتركما معك في العملية التي تم ضبطها بالمطار؟

مصطفى بتعبيرات استنكار يصرخ قائلاً: أنا لا أعرف عن الأشياء التي ضُبطت أي شيء، ولا أعرف أي شيء عن تلك الخمور. أنا بريئ.

كريم يصرخ في وجه مصطفى بصورة هستيرية قائلاً: أنت كاذب. أنت الذي اشتريت لي الخمور وأنت الذي أحضرتها معك وبكل تأكيد ريتا هي شريكتك.

المقدم أشرف يقول موجهاً كلامه إلى كريم: الإنكار لن يفيدك ولن يفيد شريكك. لقد تم ضبطكما وفي حيازتكما المخدرات وتقرير المعمل الجنائي سيكون هو الدليل القاطع الذي سيدفع بكما إلى حبل المشنقة.

مصطفى وهو يصرخ باكياً يقول بصوت توسل: أرجوك يا حضرة الضابط أنا بريء والله بريء أنا لا أعرف شيء عن المخدرات. بكل تأكيد هناك شخص وضع الهيروين في حقيبتي بدون علمي.

كريم يقول بصوت مرتعش مخنوق من شدة البكاء والعويل: يا حضرة الضابط اقسم بالله أنني لم أكن أعلم أن زجاجات الخمر بها هيروين.. ثم ينظر إلى مصطفى نظرة توسلية قائلاً: أرجوك يا مصطفى اخبر حضرة الضابط بالحقيقية. أخبره أنني لم أعلم شيء عن تلك المخدرات.

مصطفى يصرخ في وجهه قائلاً: أنا لا أعرف شيء عن تلك الخمور. أنت التي طلبتها من ريتا.. ثم يقول بصوت غلفه الرجاء موجهاً كلامه إلى المقدم أشرف: أرجوك يا افندم ابحثوا عن ريتا. فبكل تأكيد هي التي ستكشف لكم من جلب المخدرات التي كانت في حقيبة يدي.

المقدم أشرف يبتسم ابتسامة ساخرة ويقول: بكل تأكيد سنبحث عن ريتا. وأنا على يقين لن يكون لها وجود. هذه القصص المختلقة سمعناها كثيراً من قبل. القانون لا يعرف سوى الدليل. وقد تم ضبطكما في ظروف يصعب التشكيك في صحتها. على كل حال وقع على أقوالك في المحضر يا مصطفى واترك صديقك معنا.

مصطفى بملامح انكسار يقول بصوت استغاثة وهو يوقع على أقواله بالمحضر: والله العظيم أنا بريء. أنا لا أعرف شيء عن الهيروين.

المقدم أشرف بعدما يستدعى الحارس يقول موجهاً كلامه إلى مصطفى: لو أنت بريء سيظهر ذلك خلال التحقيقات. ثم ينظر إلى الحارس ويقول: ارجع المتهم إلى الحجز.

مصطفى يتوجه مع الحارس إلى خارج مكتب رئيس المباحث وهو يردد بصوت حسرة وألم «والله العظيم أنا بريء. أنا لا أعلم شيء عن المخدرات».

بعد انصراف مصطفى إلى الحجز يستمر المقدم أشرف في التحقيق مع كريم الذي ظل ينكر وجود أي علاقة أو اتفاق مع ريتا أو علمه بوجود هيروين داخل زجاجات الخمر. وبعدما يقرب من ساعة يحضر معاون مباحث القسم ليخبر المقدم أشرف بأن ريتا غادرت الفندق بعد وصولها بفترة قليلة وأنه وجد في حجرتها شريط كاسيت مدون به مكالماتها التليفونية مع كريم، والتي تثبت اتفاقه معها على قضاء اسبوع معه في مصر كما أنها تؤكد أنها أحضرت زجاجات الخمر لحسابه. وبمواجهة كريم بهذه المكالمات انهار واعترف أنه تعرف عليها عن طريق مصطفى عبر التليفون واتفق معها على قضاء أسبوع معها، وزجاجات الخمر التي طلبها كان سيشربها خلال ذلك الأسبوع، وأصر أنه لا يعرف شيء عن الهيروين. وبعد الانتهاء من التحقيق يوقع كريم على أقواله ويتم إيداعه الحجز مع شقشقة الصباح ليمكث مع نظيره السوء ما يقرب من ساعة حتى يتم ترحيلهما إلى النيابة العامة المختصة. وفي خلال تلك الساعة التي قضاها الاثنان معاً في الحجز تطور العتاب والنقاش بينهما إلى شجار وتعدي بالأيدي لينشأ بينهما عداوة ويتحسس كل واحد منهما أن الآخر يريد أن يضحي به في سبيل إثبات براءته.

وتمضي الأحداث الدراماتيكية ويأتي تقرير المعمل الجنائي بأن المادة المضبوطة في الواقعتين هي مادة مخدر الهيروين لتقرر النيابة بعد مباشرتها للتحقيق حبس كل من مصطفى وكريم أربعة أيام على ذمة التحقيق، وتكلف المباحث بسرعة القبض على المدعوة ريتا، ويتم وضع المتهمان في سجن القاهرة للمحبوسين احتياطياً بمنطقة سجون طرة.

❑❑❑

منذ اليوم التالي للقبض على مصطفى وكريم نشرت الصحف اليومية خبر تفاصيل القضية، وفردت مساحة كبيرة لنشر عدد من التحقيقات الصحفية حول ثروة والديهما المتضخمة وتشكك في شرعية تلك الأموال وتؤهل رأي عام ضدهما وتقطع أي محاولة لوأد القضية. ونتيجة لذلك، وبدعم من توفيق العاصي بدأت الأجهزة الرقابية في إجراء تحرياتها حول مصادر ثروة «عفيفي مرزوق» و«عبد الرحمن الفرماوي» فيمثل كل منهما أمام المدعي العام الاشتراكي ويتم صدور قرار من وزير الداخلية بموجب السلطات المفوض بها من رئيس الجمهورية باعتقالهما إدارياً[١]

(1) الاعتقال الإداري هو إجراء تتخذه السلطة التنفيذية للتحفظ على الأشخاص الذي يشكل تواجدها طلقاء خطورة على الأمن والنظام العام في أماكن تعزلهم عن المجتمع. ويتم ذلك الإجراء بموجب قوانين استثنائية واردة في الدستور تمنح السلطة التنفيذية سلطات استثنائية لمواجهة الأخطار الناجمة عن تعرض البلاد لظروف استثنائية تهدد أمن وسلامة الوطن. ويمثل قانون الطوارئ أكثر الأمثلة تطبيقاً للسلطات الاستثنائية التي يمنحها الدستور للسلطة التنفيذية لمواجهة الظروف الاستثنائية التي تتعرض لها البلاد؛ فوفقاً لقانون الطوارئ المصري رقم 162 لسنة 1958م يمنح رئيس الجمهورية سلطات استثنائية واسعة في حالة إعلان حالة الطوارئ لمواجهة الأخطار التي تتعرض لها البلاد وتعجز القوانين العادية عن مواجهتها (انظر مؤلفنا «حالة الطوارئ وسلطات الضبط الإداري، دراسة مقارنة مع فرنسا»، دار النهضة العربية - 2003). ويُعد الاعتقال الإداري أكثر تلك السلطات خطورة على الحريات الشخصية والذي يمكن بموجبه وضع الأشخاص التي تفيد الجهات الأمنية خطورتها على الأمن والنظام العام في ظل إعلان حالة الطوارئ؛ ويصدر قرار الاعتقال من السلطة التنفيذية ممثلة فى رئيس الجمهورية أو من يفوضه فى ذلك ويكون بسبب الاشتباه أو الخطورة على الأمن والنظام العام وذلك دون التقيد بأحكام قانون الإجراءات الجنائية. ومضمون ذلك أنه ليس من الضرورى وقوع جريمة أو استجواب المتهم وظهور دلائل كافية على اتهامه فى ارتكابها. والجدير بالذكر أن حالة الطوارئ في مصر ظلت مطبقة منذ مقتل الرئيس انور السادات وحتى 30 مايو 2012م ولم يتم سوى استخدام الاعتقال الإداري من تلك السلطات الاستثنائية=

وتُرفع الحصانة البرلمانية عن الأول وتُفرض الحراسة[1] على ثروتهما نتيجة قيامهما بالإتجار في العملة والمخدرات، وينفذ توفيق انتقامه الشرس في عائلة مصطفى بدون شفقة أو رحمة غير مبالي بأن «عفيفي مرزوق» كان أحد معاونيه وتابعيه المخلصين. وكما خطط «كمال الجارحي» يستطيع فريد النجار بدعم من توفيق العاصي من مغادرة البلاد وتهريب الكثير من أمواله بعدما انتحل اسم مستعار ليستقر هو وعائلته في الولايات المتحدة الأمريكية.

القبض على مصطفى وإحالته للمحاكمة في قضية جلب مخدرات من خارج البلاد، واعتقال «عفيفي مرزوق» ووضع أمواله تحت الحراسة بعد تقرير مصلحة الأمن العام الذي أكد قيامه بالإتجار في العملة والمخدرات كان بمثابة الحق الذي تم استخدامه في الباطل لردع كل من يخدم أشخاص النظام ويخرج عن طوعهم أو يصبح عائق في

=لمواجهة التطرف الديني والإرهاب الناتج عنه بجانب مواجهة خطورة تجار المخدرات والعملة وغسيل الأموال الذين لم تستطع سلطات الضبط ملاحقتهم قضائياً بموجب قانون الإجراءات الجنائية.

(1) بموجب قانون الطوارئ 162 لسنة 1958 مادة 3 مكرر(أ) يجوز لمن فرضت الحراسة على أمواله طبقاً للمادة ولكل ذي شأن أن يتظلم من أمر فرض الحراسة أو يتظلم من إجراءات تنفيذه. ويكون التظلم بطلب يرفع بغير رسوم إلى محكمة أمن دولة عليا تشكل وفقاً لأحكام هذا القانون ويجب أن تختصم فيه الجهة الإدارية التي تتولى تنفيذ الأمر الصادر بفرض الحراسة، كما يجب أن يختصم فيه من فرضت الحراسة على أمواله إذا كان الطلب قد رفع من غيره. وتفصل المحكمة في التظلم بتأييد الأمر أو إجراء تعديله. ولا يكون قرار المحكمة بإلغاء أمر فرض الحراسة نافذاً إلا بعد التصديق عليه من رئيس الجمهورية. ويجوز لمن رفض تظلمه أن يتقدم بتظلم جديد كلما انقضت ستة أشهر من تاريخ الرفض.

طريق مصالحهم؛ فالأشخاص الذين استطاعوا التسلق على السلطة وشكلوا طبقة عازلة بين الحاكم والشعب سلكوا سياسة المماليك وقاموا بالتنكيل بكل من يقف في طريق مصالحهم. وحتى يطوي توفيق العاصي صفحة من صفحات أعماله الإجرامية التي لا تعرف حدود يتم قتل عفيفي مجاهد داخل المعتقل وتحرر الواقعة على أنها انتحار ليدفن ويُدفن معه كل ما يعرفه عن مافيا المخدرات التي يحميها ويتربح منها توفيق العاصي.

سلوى التي أسلمت عذريتها تحت ظلال الخطيئة وتغريد إبليس بهيئة إنسان فجعتها صدمة الواقع بعدما زال قناع الخيال وأيقنت أن الجنة التي كانت تعيش فيها وتفترش أرضها وتتعطر بترابها ما هي إلا وحل شيطان وبركة تفوح منها عطر الخطيئة ويتمرمغ بها ساقطات المجتمع. ماذا تفعل هذه الفتاة التي تعيش في وسط اجتماعي يلفظ كل فتاة تفرط في عذريتها؟ كيف ستواجه مستقبلها؟ هل تستسلم لوساوس الشيطان وتتخلص من حياتها؟.. الصراع النفسي الذي عاشته سلوى منذ معرفتها بخبر القبض على مصطفى بتهمة جلب المخدرات وأعتقال عفيفي ووضع أمواله تحت الحراسة جعلها كالريشة في مهب الريح لا تعرف اين ستتلقفها الأقدار خاصة بعدما أصر مجاهد على فسخ الخطبة وأرسل الشبكة بنفسه إلى فريال السباعي ولم تستطع أن تخبر أهلها بأنها أسلمت نفسها لخطيبها بموجب ورقة عرفية كتبتها سراً ولا تعرف عنها شيء. وتمضي بضعة أشهر ويُحكم على كل من مصطفى عفيفي وكريم الفرماوي بعقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة ويتم إيداعهما ليمان طرة

لتنفيذ العقوبة. وفي أول يوم سُمح بالزيارة في ليمان طرة توجهت فريال السباعي إلى ليمان طرة لتجلس في المكان المخصص لزيارة المسجونين وهي تترقب حضور ابنها ودموع الانكسار والقهر والآسى تُغرق وجهها الذي تحولت ملامحه التي كانت بالماضي القريب تنضح بالتعالي والغرور إلى ملامح كستها المذلة والبؤس والإحساس بالمهانة والعار؛ فبعد أن كانت سيدة مجتمع، ويتهافت نحوها السيدات ليحصلن على شرف مصادقتها، تخلى عنها الجميع خاصة بعدما فرضت على أموالها وأموال زوجها الحراسة بموجب قانون الطوارئ، ولم يعد يزورها في البيت المتواضع الذي استأجرته من المبلغ المالي الذي تمنحه لها إدارة فرض الحراسة شهرياً سوى شقيقة زوجها وابنتها وابنها (حكمت، شيرين، علي).. وبعد دقائق من جلوسها في حالة نفور وتوتر من مشاهد السجن والمسجونين دخل عليها مصطفى حليق الرأس يرتدي بدلة السجن الزرقاء مصطفاً في طابور أشبه بطابور أسرى الحروب يسوقهم حارس حُفرت في ملامحه القسوة التي طرحتها السينما في أفلامها.. وعندما يسمح السجان لهم بالجلوس مع زائريهم يهرع مصطفى ومن معه يبحث عن من جاء لزيارته ويلتقي نظره بنظر أمه فتتسمر قدماه وهو يردد بصوت مغلول ودموع القهر والمذلة تنساب من عينيه:

أمي. أمي.

فتنهض فريال وهي تبكي من شدة الحزن على حال ابنها وتتقدم نحوه بخطوات مغلولة من الوهن والمرض لترتمي في أحضانه قائلة بصوت أم مكلومة: ولدي. ولدي. وينخرط الاثنان في بكاء وعويل لبضع دقائق

يجلسا بعدها على المصطبة التي كانت تنتظره أمامها ليقول مصطفى وهو يمسح دموعه: كيف حالك يا أمي؟ افتقدتك كثيراً.

فريال بعدما قبلت يده ورأسه تقول بصوت مخنوق من شدة البكاء: أنا بخير يا ولدي. لا تشغل بالك. على حالك.

مصطفى بصوت أكله الغضب وملامح بائسة يائسة: الكل تخلى عنا يا أمي. حالي؛ مسجون فقد كل شيء ولم يعد لي شيء أبكي عليه. الحياة هنا في السجن شيء لم أكن أتخيله حتى في الكوابيس المزعجة.

فريال: لولا المصيبة التي حدثت إلى نهال كانت الأمور ستتغير.

مصطفى وقد تضخمت ملامح اليأس المطبوعة على وجهه يقول: لقد تم ضبطي متلبساً رغم أنني لا أعرف شيء عن الهيروين. لو كان يريد توفيق العاصي مساعدتنا لكان وقف بجوار والدي وتدخل بنفوذه ليحميه.

فريال: حادث نهال المفاجئ وإصابتها بالشلل جعله يقيم هناك لفترة طويلة. منذ شهرين تقابلت معه عند زيارتي لنهال بعد عودتهما من ألمانيا وقد وعدني بأنه سيحاول فتح قضيتي من جديد، وسوف أقوم بزياراته قريباً ليجد لك وسيلة تريحك في السجن.

مصطفى بصوت حسرة وألم وقد انخرط في البكاء: أمي. أنا بريء. أنا لا أعلم شيء عن الهيروين الذي تم ضبطه معي بالمطار. هل يمكن أن أصدق أن يفعل بي أبي ذلك؛ يتاجر في المخدرات ويخاطر بحياتي؟!

فريال وهي تمسح دموع ابنها وتقبل رأسه ويده بمشاعر أم مكلومة تشعر بضياع ولدها الوحيد تقول بصوت باكي مخنوق: الله يرحم والدك

لن تجد أحد يحبك مثل ما كان يحبك. لقد أخبرني الأستاذ مرسي عطا المحامي أن في القضية لغز، وكأن هناك من يريد أن يجعلك تُضبط متلبساً؛ فالقضية بُنيت على وشاية وهذا ما حدث لوالدك أيضاً.

مصطفى بصوت مغلول ومشاعر حقد دفين يتأوه قائلاً: آه يا أمي لو أعرف من الشخص الذي فعل ذلك سأحطم جدران السجن حتى انتقم منه.

فريال: هون عليك يا ولدي سأفعل كل ما في وسعي حتى أخرجك من هنا. لقد تقابلت مع زينب محفوظ والدة كريم وأخبرتني أنها كلفت أحد أقاربها الذي كان يعمل قبل خروجه إلى المعاش مدير شرطة الانتربول المصري لنبحث عن ريتا؛ فلو عثرنا على ريتا سنتمكن من إعادة فتح القضية من جديد وستحصل أنت وهو على البراءة.

مصطفى وهو يهز رأسه بأسلوب لامبالاة يقول: أنتما تبحثان عن نملة غرقت في المحيط.

فريال: لن أترك أي وسيلة يمكن أن تخرجك من هنا مهما كانت.

مصطفى بعد ثوان من الصمت يحول مجرى الحديث قائلاً بصوت غلفه الفضول: ماذا فعلتي بمتعلقاتي بعد وضع قصر جدي تحت الحراسة؟

فريال: لقد أخذتها معي. فبعد انتحار والدك في المعتقل ورفع الحراسة عن أموالنا، الديون المستحقة للبنوك حجزت على كل التركة وباعتها في المزاد. والحمد لله فقد تبقى لي بعض الأموال التي ورثتها عن والدي. سأضع لك ما يكفيك من أموال في كانتين السجن ليعنيك على مواجهة الحياة هنا.

مصطفى بملامح رجاء مقهورة يقول: أرجوكي يا أمي احتفظي بهذه المتعلقات، ولا تدعي أحد يراها حتى أنتِ. هذه وصيتي لكِ. ولو حدث لي مكروه احرقيها. ولو حدث لكِ شيء سلميها إلى شيرين أو عمتي بعد أن تخبريهما بوصيتي.

فريال بصوت إيجاب تقول: سأفعل ما تطلبه مني يا ولدي. بالمناسبة عمتك وشيرين كانا يريدان الحضور معي لكني فضلت أن أخبرك قبل أن يحضرا معي.

مصطفى: احضريهما معكِ في الزيارة القادمة لو أرادا الحضور. بعدها يخيم بينهما الصمت لبضع ثوان وسط ضجيج وصيحات زائري المسجونين ليتفاجأ بقدوم سلوى ونهلة أمام المصطبة التي يجلسا عليها لتقول سلوى بصوت مكتوم حزين موجهة كلامها إلى مصطفى والدموع تنهمر من عينيها:

لم أكن أتوقع أن أراك هكذا.

مصطفى بعد نظرة حدة وغضب يقول بصيغة تعجب: هل جئتي لتشمتي بي.

نهلة تجذب أطراف الحديث قائلة في محاولة تلطيف جو المقابلة والتخفيف من توتر وحدة مصطفى: لقد جاءت سلوى لكي تراك. هل نسيت ما كان بينكما؟

فريال بصوت مبحوح مقهور بعدما ارتدت نظرتها السوداء لتخفي دموعها: ماذا تريدي منا بعد كل ما قاله أبوكِ عنا؟ لم يعد هناك ما يقال.

سلوى تنهمر في بكاء شديد وهي تجلس في الاتجاه المقابل لمصطفى ونظرتها تجاهه تكاد تصرخ من شدة ما أصابها من ظلم لتقول بصوت غلفه الرجاء: لقد ترددت كثيراً قبل مجيئي إلى هنا.

نهلة تقول موجهة كلامها إلى فريال بصوت رجاء: لو تسمحي يا طنط أريد التحدث معكِ في أمر هام. لقد استأذنت مأمور السجن ليسمح لنا بالحديث داخل مكتبه.

فريال تقول بصيغة تساؤل متعجب: هل جئت إلى هنا لأتحدث معكِ؟!

مصطفى بعد نظرة تأملية فاحصة يقول موجهاً كلامه إلى نهلة: من المفروض أن تكون زيارتك إلى ليمان أبو زعبل. فصديقي العزيز موجود هناك.

نهلة بعد نظرة جوفاء تقول موجهة كلامها إلى مصطفى: لم يعد بيني وبين صديقك أي علاقة.. ثم توجه كلامها إلى فريال قائلة: لا تخافي يا طنط ستكملي الزيارة في مكتب مأمور السجن بعد حديثنا. فقد حصلت لكما على إذن من المأمور بأن تستكملا الميعاد المخصص للزيارة في مكتبه فهو أحد أقاربي وكان من تلاميذ والدي.

مصطفى: اذهبي يا أمي حتى نعرف ما الذي يريداه.

فتنهض فريال وتذهب بصحبة نهلة تجاه مكتب مأمور السجن ومعهما أحد الحراس الذي كان يلازم سلوى ونهال بناءً على تكليف من المأمور، ويظل الصمت يخيم بين سلوى ومصطفى ونظرات الاستفهام

والفضول التي يطلقها مصطفى تزداد حدتها حتى قالت سلوى بصوت مجروح وملامح مقهورة بائسة مهمومة: لماذا فعلت ذلك يا مصطفى؟

مصطفى يحتد قائلاً وتعبيرات القهر واليأس محفورة على وجهه: أنا بريء. هذه التهم ملفقة. أنا لم ارتكب هذه الجريمة. ماذا تريدي مني؟

سلوى: هل نسيت ما الذي كان بيننا؟ هل نسيت أنني ما زلت زوجتك؟

مصطفى بصوت تعجب وملامح باهتة: زوجتي!

سلوى بملامح توسل: طلقني. وأرجوك اعطني الورقة واكتب عليها أنك طلقتني.

مصطفى وقد نسي أنه قد حرر ورقة عرفية بزواجه منها يقول: ماذا تقصدي بالورقة؟

سلوى بصوت مذعور وملامح ترقب مصدومة: ورقة زوجنا التي حررناها وشهد عليها الشخصان اللذان أحضرتهما.

مصطفى بعدما يهز رأسه يقول بصوت تعجب رافض: هل تتخيلي أن الورقة معي هنا! الورقة في القصر الذي وُضع تحت الحراسة. أنتِ طالق. هذا كل ما أستطيع أن أفعله لكِ.

سلوى وقد انهمرت الدموع من عينيها تمسك بيد مصطفى وتقبلها وتتوسل إليه قائلة: أرجوك يا مصطفى. أنا لم أوذيك في شيء، وكنت صادقة معك في حبي وكنت على استعداد أن أضحي بأي شيء حتى أكون

معك. لكن القدر أقوى مني ومنك. أرجوك اكتب لي ورقة بنفس الصيغة والتاريخ وطلقني بها.

مصطفى بعد نظرة عدم اكتراث يقول بصوت غلفه الحقد والغل: هل تريدي أن أقف معكِ وقد تخليتي عني؟! لقد تخلى عني كل الأصحاب والمعارف.

سلوى وقد زادت حدة تعبيراتها توسل تقول بصوت متهدج: أنا لم أتخل عنك. ماذا أستطيع أن أفعل؟ لو كان في استطاعتي عمل أي شيء من أجلك لما ترددت في فعله.

مصطفى بعد لحظات من الصمت يقول بصوت فضول: هل أخبرتي أهلك بأنكِ تزوجتيني عرفي وفي السر؟

سلوى: لا.

مصطفى: لماذا إذاً تصري عليها؟ ماذا ستفعلي بها؟

سلوى بعدما تمسح دموعها تقول: ساحتفظ بها للمستقبل.

مصطفى بملامح تعجب يقول: تحتفظي بها! لماذا؟

سلوى: لو شاء الله وتقدم لي أحد ليتزوجني سأطلعه عليها.

مصطفى يضحك ساخراً وهو يقول بصوت غلفه التعجب: هل أنتِ ساذجة إلى هذا الحد. الحل الوحيد لمشكلتك هذه هي العملية التي ستعيد لك عذريتك.

سلوى بملامح صماء تقول: أنا لا استطيع خداع الشخص الذي سأتزوجه.

مصطفى: أنا لن اكتب لكِ شيء. ونصيحة مني اعملي العملية فهي الحل الوحيد لكِ. المثالية في حالتك لن تنفع بل ستضرك وستضر أهلك.. ثم ينهض و يستدعي الحارس الذي كلفه المأمور باصطحابه إلى مكتبه ويقول له: يا حضرة الصول. لو تسمح تصطحبني إلى مكتب السيد المأمور.. ثم يلتفت لها و ينظرها نظرة وداع قائلاً بصوت يقين: لا تترددي. افعلي ما نصحتك به. الوداع يا سلوى.

سلوى ودموع الفراق في عينيها وملامح الاستسلام إلى الواقع تملكت من وجهها بعدما استشعرت واقعية ما يقوله مصطفى تقول: الوداع يا مصطفى.

الحارس يقول موجهاً كلامه إلى سلوى: إذا لم تأتي معنا إلى مكتب المأمور يجب عليكِ مغادرة مكان الزيارة.

سلوى: سأتي معكم.

بعدها يتوجه مصطفى وسلوى بصحبة الحارس إلى مكتب المأمور ويجلس مصطفى مع فريال في الاستراحة الملحقة بالمكتب بينما تغادر نهلة وسلوى السجن، وقد أيقنت الأخيرة بعد هذا اللقاء بأن الحل الوحيد للخروج من أزمتها هو ما قاله لها مصطفى وما طرحته عليها نهلة من قبل.

❑❑❑

العلاقة بين نهلة وسلوى توطدت وأصبحت الاثنتان صديقتين حميمتين رغم اختلاف الوسط الاجتماعي بينهما؛ فبعد مساعدة نهال

ووقفها بجوار سلوى في استعادة بكارتها بعملية جراحية وقيام نهلة بتحويل دراستها من كلية التجارة بجامعة حلوان إلى كلية التجارة بجامعة عين شمس أصبحا لا يفترقان، وقد ساعدت سلوى صديقتها الحميمة في الدراسة لتحصل نهلة على تقدير جيد وتحصل هي على تقدير جيد جداً والترتيب الأول بين طلبة الكلية. العلاقة الحميمة بين الصديقتين كان مثار مباركة أسرتيهما لتنشأ بين الأسرتين علاقة صداقة رغم التفاوت في طريقة وأسلوب الحياة بينهما؛ فوالد نهلة الدكتور سليم منصور مشرقي أستاذ القانون الجنائي بجامعة عين شمس وأحد فقهاء القانون الجنائي في مصر والعالم العربي وأشهر المحامين العرب جذبته شخصية سلوى وأحبها وأسعده علاقة الصداقة التي جمعتها مع ابنته؛ خاصة بعدما تعرف على مجاهد واكتشف شخصيته الصلبة النقية المعتزة بنفسها التي لم تتأثر بالأمراض الاجتماعية التي أصابت غالبية المجتمع المصري. وكذلك الحال بالنسبة إلى بهية سعيد التي تترأس مجلس إدارة أحد البنوك القومية فقد أحبت سلوى وأسعدها الصداقة الحميمة التي جمعتها بابنتها خاصة بعدما ألتقت بأسرتها، وأُعجبت بشخصية عايدة وطريقة وأسلوب تربيتها لأولادها.. وبعد انتهاء العام الدراسي الثاني وحصول سلوى على الترتيب الأول بين دفعتها قامت بهية بإدراج اسمها مع نهلة للتدريب خلال شهور الصيف بالبنك ليبتسم لها الحظ وتتقابل مع رفعت رشدي الشاب الوسيم البالغ من العمر ٢٤ عام الذي يعمل بقسم الاعتمادات بالبنك وينتمي إلى أسرة ميسورة الحال من الطبقة البرجوازية البسيطة لتنشأ بينهما علاقة عاطفية تنتهي بالزواج مع نهاية عام ١٩٩٢م. وتمضي الأيام والشهور والسنين وتُرزق سلوى بولد في أكتوبر ١٩٩٣م

تسميه رشدي وبنت في يوليو ١٩٩٥م تسميها نهلة وتحصل سلوى - رغم مسئولية بيتها وزوجها وبعد مساعدة والدتها لترتيب شئون بيتها وأولادها - على درجة البكالوريوس بتقدير جيد جداً وتلتحق للعمل بالبنك الذي يعمل به زوجها، وتتدرج في الوظائف البنكية بعد حصولها على درجة الدكتوراه في الاقتصاد السياسي حتى تصل في عام ٢٠١٠م إلى منصب مدير عام لأحد البنوك الاستثمارية، ويتدرج زوجها في وظيفته ليصل إلى منصب مدير عام لأحد البنوك الحكومية.. وهكذا تمحو الأيام الذكريات الأليمة السوداء التي عاشتها سلوى بعدما أوقعها الشيطان في براثن الخطيئة وطريق الضياع ولم تكن تتوقع أنها على موعد مع خطيئتها التي نسخها الشيطان من بستان الشر الذي زرع فيه خطايا فرائسه.



الفصل الثاني

توبة الخطائين

خلال العشرين عامًا التي سبقت أحداث ٢٥ يناير ٢٠١١م كان لتردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مصر تأثير سلبي منحط على السلوك والقيم والأخلاق لغالبية المجتمع المصري؛ فقد أدت التطورات السياسية التي أفرزتها الأوضاع الدولية والإقليمية التي دعمت وباركت النظام الحاكم لمواجهة خطر الإرهاب والتطرف الديني إلى طغيان السلطة الحاكمة واستبدادها بحجة الحفاظ على كيان الدولة. تلك الأوضاع السياسية التي خلفت سلطة حاكمة مستبدة أنشئت نظام اقتصادي رأسمالي بشع انحاز لفئة صغيرة من البرجوازيين الذين استطاعوا السيطرة على السلطة التشريعية وتقلدوا المناصب الوزارية والإدارية العليا في الجهاز التنفيذي للدولة فباعوا القطاع العام وأحدثوا خلل بشع في ميزان العدالة الاجتماعية، وصنعوا انفتاحاً استهلاكياً اختزل الاقتصاد فى اقتصاد ترفى يغزي مصالحهم الشخصية ويعود بالنفع عليهم دون النظر إلى المصلحة الوطنية مما تسبب في معاناة غالبية الشعب من فقر مدقع لتفشل الخطط والتوجهات الاقتصادية في توظيف ثروات

الوطن والمحافظة على نصيب الأجيال القادمة منه، وكان سبب رئيسي ومباشر في تفشي الأمراض الأخلاقية والسلوكية وتشرذم الانتماء الوطني وتحوله إلى انتماء شخصي أو قبلي أو عرقي أو ديني؛ ففي ظل هذه الأوضاع المتردية تفشى لدى الكثير من طبقة المهمشين مرض التطرف والتعصب الديني الذي يوظف المشاعر الروحية في أغراض إرهابية دموية تهدم ولا تبني تُجهل ولا تُثقف تُنفر ولا تُحبب الناس في الدين.

كما تفشى لدى غالبية طبقة المهمشين مرض البراجماتية والارتزاقية والاستغلالية وعدم الانتماء الناتج عن تهدم القيم وتلوث العادات وانحطاط الأخلاق فى ظل نظام تعليمى فاسد ساهم فى انتشار الأمية الثقافية والفكرية ورعاية صحية متدنية ساهمت فى انتشار وتوطن الأمراض خاصة الفيروسية منها، فاجتمع على المصريين مثلث الفقر والجهل والمرض، فشاع الفساد والفسق والكذب والفجور والأنانية والسلوك السلبى المتمثل فى الأنامالية وانهيار الانتماء الوطنى وانتشار البلطجة وزيادة معدل الجريمة.

توفيق العاصي الرجل الداهية الذي تم استبعاده عن دفة الحياة السياسية وإقطاعية السلطة خلال العقد الأخير من القرن العشرين استطاع خلال السنوات الخمس الأخيرة من العقد الأول للقرن العشرين توظيف الدفة السياسية لتصب في إمبراطورية مصالحة الشخصية التي جيشت أعدادًا كبيرة من مرتزقة المال والسياسة وكونت مليشيات من مماليك المنافع لتدافع عن تلك المصالح وتخدم توجهاتها وتنفذ خططتها؛ فمع بزوخ نجم جمال مبارك في سماء الحياة السياسية واتجاه منتفعي

السلطة إلى التخديم على توريث الحكم استطاع توفيق العاصي من الاستحواذ على ثقة جمال ليصبح الذراع الأيمن والمخطط الأول لبرنامج توليه سدة الحكم بعد رحيل والده الذي رغم تاريخه العسكري والوطني الذي لا يقبل التشكيك فقد ترك الفساد يستشري في جميع مناحي الحياة، ولم يتحرك ساكناً لمواجهة هذا الفساد واتخذ بطانة من المرتزقة وأصحاب المصالح كانت السبب الرئيسي في عزله عن القاعدة العريضة من المصريين؛ فلك أن تتخيل أن يتولى توفيق العاصي أحد زعماء مافيا المخدرات في عام ٢٠٠٩م رئاسة مجلس الشورى بعدما كان يتولى إحدى الوزارت الهامة لبضع سنوات، ولك أن تتخيل أن يتعين « كمال الجارحي» زراعه الأيمن رئاسة هيئة الاستعلامات؛ ما الذي يمكن أن يجنيه الشعب المصري من وراء هؤلاء المماليك؟!

ويمر عشرون عامًا على دخول مصطفى عفيفي السجن بتهمة لم يرتكبها ويأتي ميعاد الإفراج عنه بعد انطباق شرط الإفراج الشرطي للمحكوم عليهم بالمؤبد لحسن السير والسلوك وقد تجاوز الأربعين عام ببضعة أشهر. يخرج مصطفى من السجن بعد سنوات من القهر والذل والحرمان أكلت شبابه وضاعفت من قتامة قلبه وقسوة مشاعره وبلادة إحساسه وحيوانية سلوكه بعدما فقد الأب والأم والمال والجاه والشباب. خرج متحفزاً ليفجر مشاعر الحقد والكراهية تجاه المجتمع بدون تمييز. ففي يوم الثامن من شهر مارس استقل مصطفى سيارة الترحيلات التابعة لمديرية أمن القاهرة مع مجموعة من المساجين المفرج عنهم بعد انقضاء فترة العقوبة ليغادر بوابة السجن، وهو يرصد الشارع ويمقت بنظره

السجانين والحراس والضباط بعد عشرين عامًا لم ير فيها سوى وجوهم وأسوار وطرقات السجن. وخلال المسافة من منطقة سجون طرة حتى مديرية أمن القاهرة كان مصطفى يتذكر بحسرة وآسى ما حُرم منه من متاع الحياة بسبب جريمة لم يرتكبها دُبرت له وقضت على مستقبله، وكيف أُطيح بوالده من دائرة السلطة ليقبع في المعتقل ويموت بحسرته، وكيف ماتت أمه بحسرتها منذ بضعة أشهر بعد معاناة مع المرض لفترة قاربت عشر سنوات قبل وفاتها ولم يستطع رؤيتها خلال تلك السنوات. ومع وصول السيارة إلى مديرية الأمن يتم اصطحاب مصطفى إلى إدارة البحث الجنائي لتستكمل إجراءات الإفراج عنه من وحدة المعلومات ليقف أمام الضابط المكلف بالفحص الذي نظره بنظرة تأملية ثاقبة بعد فحص الملف لبضع ثوان يقول بعدها بصوت غلفه الدهشة والتعجب:

مصطفى عفيفي! سبحان المعز المذل.

مصطفى بعد نظرة تأملية استكشافية يقول بصوت استفهام فضولي: سيادتك تعرفني؟

الضابط بملامح شفقة يقول: اجلس يا مصطفى. أنا الرائد محمد مجاهد المصري. هل تتذكر هذا الاسم؟

مصطفى بملامح فضول وترقب لمعرفة من يكون هذا الشخص بعد نظرة ثاقبة لبضع ثواني يقول بصوت حسرة: اعذرني يا باشا لقد قضيت عشرين عامًا في جريمة لم ارتكبها وكانت كفيلة بمحو الكثير من الذكريات.

الضابط: أنا محمد شقيق سلوى مجاهد.

مصطفى بعد ثوان من الصامت يبتسم ابتسامة تعجبية عريضة ويقول: محمد. يا لها من صدفة. لم أكن أتخيل أن أراك. فعلاً «مسير الحي يتلاقى». كيف حالك يا معالي الباشا وكيف حال والديك؟

محمد وهو يبتسم له ابتسامة شفقة وعطف يقول: الحمد لله يا مصطفى. كلنا بخير. لقد مرت سنوات كثيرة. سبحان الله. صدفة جميلة أن أراك يا مصطفى. سوف أنهي إجراءات إفراج الإيراد القادم من السجون وسأتفرغ لك.

مصطفى بتعبيرات صماء يقول بصوت خنوع: اتفضل يا باشا.. ليظل طوال الوقت الذي أنهى فيه محمد إجراءات أوراق الإفراج يتأمله بتعجب غاضب وهو يظهر له ابتسامه صماء حتى قال له محمد: هل ما زلت تحب الشاي بالنعناع؟

مصطفى: هل ما زلت تتذكر؟! نعم يا معالي الباشا.

بعدما يأمر محمد الحارس بإحضار كوبين من الشاي بالنعناع يقول: ما الذي تخطط له يا مصطفى بعد خروجك؟

مصطفى بعدما استأذن محمد بالتدخين يشعل سيجارة ويزفر دخانها بشدة قائلاً بصوت حسرة وألم: هل تصدقني يا باشا لو قلت لك أني مظلوم ولم ارتكب تلك الجريمة التي قضيت بسببها عشرون عامًا في السجن؟

محمد بعيون فاحصة كاشفة استشعرت الظلم في نفس مصطفى يقول: حتى لو صدقتك يا مصطفى هل هذا سيفيدك في شيء؟ حاول التأقلم مع ظروفك الحالية.

مصطفى بصوت حدة وتعبيرات الغضب والقهر مطبوعة على ملامحه: هل تريد أن أمحو من ذاكرتي عشرون عامًا في السجن قضيتها بدون ذنب؟ هل تريد أن أتأقلم مع ظروفي الحالية وأنسى أن هناك من دس لي الهيروين وقضى على حياتي وحياة عائلتي؟

محمد بعدما استشعر ما بداخله من قهر وغضب يقول: لو تستطيع إثبات براءتك لا تتردد. وأنا سأساعدك على قدر المستطاع. أين ستقيم وكيف ستعيش؟

مصطفى: مؤقتاً سأقيم في قصر جدي حتى أعرضه للبيع لأستغل عائده في مشروع تجاري يؤمن لي مستقبلي مع باقي الأموال التي ورثتها عن أمي التي لم يسعفني الحظ بأن أراها فقد توفيت قبل خروجي ببضعة أشهر.

محمد: الله يرحمها ويرحم كل موتنا. ثم يُخرج كارت شخصي من درج مكتبه ويقول له: هذا كارت به جميع تليفوناتي. سأنتظر منك اتصال تطمأني عليك. ولو أردت مساعدتي في أي وقت لا تتردد في الاتصال.

مصطفى يمد يده ويمسك بالكارت ينظره ويتفحصه وقد ارتسمت على ملامحه تعبيرات شكر قائلاً بصوت علت نبرته الاستحسان والشكر: رائد محمد مجاهد المصري. ماجستير في الشرطة. رئيس وحدة المعلومات بإدارة البحث الجنائي بمديرية أمن القاهرة. لقد خدمني الحظ بالتقابل معك يا باشا.

محمد وهو يبتسم له ابتسامة ودودة يقول: أنا سعيد بمقابلتك يا مصطفى.

مصطفى وهو يبادله الابتسامة يقول: هل تتذكر اليوم الذي ذهبنا فيه إلى النادي وقدمتك إلى كابتن إبراهيم مخمير. كان يمكن أن يكون لك مستقبل في كرة القدم.

محمد: لقد لعبت في فرق الناشئين وكنت كابتن الفريق تحت ١٨ سنة وعن طريق لعب الكرة استطعت القبول في كلية الشرطة. وكان يمكن أن أستمر في اللعب مع الفريق الأول لولا الإصابة التي أبعدتني عن الملاعب. لقد كان لك الفضل في أن أصبح ضابطًا.

مصطفى وهو يستطعم مذاق الشاي يقول بصوت يقين: العفو يا معالي الباشا. أنا لم أفعل لك شيئًا. ولو لم تلعب في فريق النادي كنت ستلعب في أي فريق. لقد كنت موهوبًا. وبعدما ينتهي من شرب كوب الشاي يقف قائلاً بصوت شكر و إجلال: أشكرك يا معالي الباشا على مقابلتك و إن شاء الله سأتصل بك.

محمد ينهض بعدما رن جرس المكتب وهو يسلم على مصطفى قائلاً: سأرسل سيارتي معك لتوصلك إلى المكان الذي تريده. ثم يقول موجهاً كلامه إلى العسكري المكلف بخدمة المكتب: اصطحب الأستاذ مصطفى إلى سيارتي وابلغ السائق بأن يوصله إلى المكان الذي يريده.

مصطفى بعد نظرة تعجب صماء وملامح عجزت عن التعبير عما بداخلها من مشاعر يقول: أشكرك يا معالي الباشا. وأتمنى لقائك على خير. بعدها يخرج مصطفى من المكتب ليرافقه المجند حتى يستقل سيارة الشرطة المخصصة لمحمد مجاهد لتوصله إلى بيت عمته الكائن في شارع النزهة بحي السبع عمارت بمصر الجديدة، ويظل خلال الطريق

من باب الخلق حتى هناك يتأمل متعجباً بعيون صادمة ما وصل إليه حال شوارع مصر الجديدة من تلف واتساخ وازدحام ويسبح بذاكرته مع الماضي ليستعيد مواقفه مع تلك الأماكن ويتحسر بقلب يشره الانتقام على سنوات شبابه التي قضاها داخل السجن.

❒❒❒

بعد وصوله إلى منزل عمته يطرق مصطفى الجرس لتفتح له حكمت وتظل تنظره بنظرة تأملية لبضع ثوان لتصرخ بعدها فرحاً وتلقي بالعكاز التي تتعكز عليه لتحتضنه قائلة ودموع الفرحة تندفع من عينيها:

مصطفى. حبيبي. حمد لله على السلامة. ألف مبروك يا ولدي أنك رجعت لنا بالسلامة.. ثم تمسك بيده وتتعكز عليه لتدخل به إلى الداخل ليجلسا سوياً في حجرة الاستقبال وقد انتاب مصطفى حالة ذهول وملامحه في حالة سكون غير مصدق أنه يجلس في بيت عمته التي لم يرها منذ آخر زيارة له في السجن من عدة سنوات لتنظر إليه حكمت نظرة مواساة وآسى والدموع تنساب من عينيها كالسيل الجارف لتقول له بصوت مزجت نبرته بين الندم والأسف والاعتذار:

أنا أسفة يا حبيبي أني لم أحضر لزيارتك منذ سنوات؛ فوفاة جابر المفاجئة أقعدتني شهور طويلة على سرير المرض ولم أجد أحدًا يصطحبني إلى السجن فقد سافر علي وشيرين إلى كندا واستقروا مع أولادهما هناك ليحصلوا على الجنسية الكندية.

مصطفى بعد ابتسامة لامبالاة يقول: البقية في حياتك يا عمتي. هل تقيمي هنا وحدك؟

حكمت وهي تجفف دموعها تقول بصوت واهن متهدج: تقيم معي شريهان؛ بنت أحضرتها من الملجأ بعد وفاة جابر وسفر الأولاد.

مصطفى بصوت غلفه الفضول يقول: وهل تستطيع طفلة أن تقوم برعايتك يا عمتي؟

حكمت: لا. شريهان ليست طفلة فعمرها ٢٢ عامًا. أحضرتها لتعيش معي بعدما خرجت من الملجأ ولم تجد لها مسكن يأويها. هي تدرس في السنة النهائية بكلية الحقوق، وتخدمني وتقوم برعايتي واعتبرها ابنتي.

مصطفى بعد نظرة عدم اكتراث بما تقوله حكمت يقول بصوت فضول: كيف حال علي وشيرين؟

حكمت وما زالت الدموع تتساقط من عينيها تقول بصوت مزجت نبرته بين الآسى والحنين: شيرين تعمل مع زوجها في مجال الطب النفسي في مستشفى بمدينة مونتريال وأولادها كريم ١٠ سنوات وحكيم ٨ سنوات. وعلي يعمل هناك في مجال التسويق العقاري وزوجته تمتلك حضانة لرعاية الأطفال وأولاده محمود ١٥ سنة ووردة ١٢ سنة.

مصطفى وقد ارتسمت على ملامحه تعبيرات ناقمة يقول بصوت حرقة: لو لم أدخل السجن ظلم في جريمة لم أرتكبها لكنت الآن مثلهما يا عمتي.. ثم ينظر إليها نظرة تأمل وترقب قائلاً بصوت غل وملامحه تكاد تصرخ من شدة إحساسه وشعوره بالظلم: هل أنتِ مقتنعة بأني بريء

ولم أرتكب تلك الجريمة؟ هل تتخيلي يا عمتي عشرين سنة قضيتها في السجن ظلم. عشرين سنة فقدت خلالها كل شيء الشباب، الأهل، المال واحترام الناس؟!

حكمت وهي تنظر إليه نظرة آسى وشفقة تقول: يا ولدي اترك أمرك إلى الله هو أعلم بحالك، وكل ظلم وقع عليك سيدخل في ميزان حسناتك.

مصطفى يهز رأسه تعبيراً عن عدم إيمانه بما تقوله حكمت قائلاً: لن يشعر أحد بالظلم الذي عانيته طوال تلك السنوات.. ثم يصمت للحظات ليقول: اخبريني يا عمتي هل كنتِ تري أمي خلال السنوات الماضية؟

حكمت وهي تعيد مسح دموعها تقول بصوت حزين منهك: في أخر أيامها كنت أقيم معها بصفة مستمرة أنا وشريهان في قصر جدك، وكانت شريهان تساعدها في الأكل والاستحمام وتناول الدواء بجانب رعايتها لي، وهي التي قدمت الطلب إلى وزير الداخلية لتخرج لزيارتها ولولا وفاتها قبل التصديق على خروجك لكنت رأيتها.

مصطفى بملامح فضول يقول بصوت لهفة: هل أخبرتكِ بأي شيء قبل وفاتها؟

حكمت: ماذا تقصد؟

مصطفى: هل أوصتكي بشيء قبل وفاتها؟

حكمت: في الشهور الأخيرة قبل وفاتها كانت في شبه غيبوبة ولكنها كانت دائماً تذكر اسمك وتدعو لك. مجوهراتها ومتعلقاتها أحضرتها

معي يا ولدي ومفتاح القصر معي ساعدني حتى أحضرها لك من حجرة النوم.

مصطفى بصوت لهفة وملامح ترقب: هل ما زالت متعلقاتي الشخصية كما هي؟

حكمت: كل المنقولات والأثاث والفرش ومتعلقاتك الشخصية منذ دخولك السجن موجودة بالقصر يا ولدي.

مصطفى وقد خفت حدة الترقب عن ملامحه يقول: اسمح لي أن أخذ المفتاح ومتعلقات والدتي سأذهب وأعود في وقت آخر يا عمتي.

حكمت وقد زادت حدة تعبيرات الأسى والحزن على ملامحها وهي تقول بصوت امتزجت نبرته بين نغمة العتاب ونغمة الرجاء: ألن تمكث معي يا ولدي؟

مصطفى: هناك أمور ستجعلني أقيم بالقصر بعض الوقت حتى أبيعه وسأحضر لرؤيتك بصفة يومية.

حكمت وقد بدى عليها التعب والإرهاق تقول بصوت متقطع منهك: ما زلت كما أنت يا ولدي لا يستطيع أحد إثناءك عما تريد. اجلس حتى تأتي شريهان من الكلية وتجهز لنا طعام الغداء.

مصطفى: سأذهب الآن وسأحضر على الغداء يا عمتي. هيا تعكزي علي حتى تحضري المفتاح ومتعلقات أمي.

بعدها تنهض حكمت وهي تتعكز على ابن أخيها ليذهابا سوياً

إلى حجرة نومها لتعطيه مفتاح القصر ومجوهرات فريال ومتعلقاتها الشخصية ثم ينصرف بعدها متوجهاً إلى قصر جده، ومشاعر الانتقام المغلولة تجاه الشخص المجهول الذي تسبب في إيداعه بالسجن تسيطر على تفكيره وتجعله على استعداد لفعل أي شيء يكشف له هويته ليثأر وينتقم منه شر انتقام.

❑❑❑

بعد عشرين عامًا قضاها في السجن بسبب جريمة لم يرتكبها أوقعه بها مجهول لا يعلم هويته، ولا السبب الذي جعله يلقي به في بئر الظلمات مع أشباح الظلام، يدخل مصطفى إلى ڤيلا السباعي ودموع الحسرة والألم على الماضي الذي مات تدفعه إلى ملامسة الأثاث والمفروشات والجدران لعلها تعيده إلى أيام العزة والجاه والشباب يُبحر بمخيلته داخل براويز الصور المعلقة على الجدران يتحدث مع أمه وأبيه يحكي لهما عن أيام الظلمة التي عاشها بين جدران السجن ويستنجد بهما صارخاً «لماذا حدث لي ذلك؟ من الذي فعل بي ذلك؟ ولماذا يفعل ذلك معي؟». يهرع بعدها نحو الحجرة التي كان يقيم بها بالقصر يتفحص متعلقاته وصوره القديمة ودموع الحسرة تسبح من عينيه نحو تلك الأشياء تشكي لها ما وصل إليه الحال. وبينما كان مصطفى يتفحص ألبوم الصور الخاص به توقف طويلاً أمام الصور التي جمعته مع كريم الفرماوي ليستعيد خلالها ذكرياته معه، ويدفعه حب الفضول والحنين إلى الماضي الذهاب إلى بيت «عبد الرحمن الفرماوي» ليقابل عائلة كريم ويقدم لهم العزاء في وفاته؛ فبعد عشر سنوات قضاها كريم في ليمان أبو زعبل يموت متأثراً

بمضاعفات الإصابة بفيروس سي، وكان أخر كلمات قالها قبل موته والتي أوصلها الضابط الذي رافقه إلى المستشفى لحظة وفاته إلى والدته التي أبلغتها إلى فريال السباعي « كل ما حدث لي أنا ومصطفى عقاب من ربنا على أفعالنا وأعمالنا»، وكانت فريال قد أبلغت مصطفى بها في أخر زيارة له في السجن قبل مرضها.

بعدما يستبدل مصطفى ملابسه القديمة بملابس من أشهر الماركات العالمية قام بشرائها من أفخم المحلات التجارية ويتعطر بأفخر العطور وهو يحمل أحدث أنواع الموبايلات يتوجه إلى منزل «عبد الرحمن الفرماوي» ليطرق الباب وهو يتأمل اليافطة الموضوعة على الباب التي كُتب عليها «منزل المرحوم عبد الرحمن الفرماوي» وهو يتذكر أخر زيارة له إلى هذا المكان قبل سفره إلى تركيا والكلام الذي قاله «عبد الرحمن الفرماوي» «تركيا». بلاد النساء والمخدرات. احذر من الاثنين لو أرادت أن تكون رجل أعمال ناجح، فتفتح له والدة كريم وتقف تتأمل نظرات مصطفى وتتحسس صوته وهو يقول لها « كيف حالك يا طنط سهير» حتى قالت له بصوت استفهام وقد علُقت بملامحها تعبيرات فضول:

من أنت وماذا تريد؟

مصطفى وقد زادت حدة صوته شوقاً وهو يبتسم لها ابتسامة حانية: أنا مصطفى عفيفي يا طنط.

سهير وقد ارتسمت على ملامحها كل ألوان الطيف تقول بعد ثوان من صمت المفأجاة: مصطفى عفيفي! سبحان الله. هل مضى عشرون عامًا وخرجت من السجن!

مصطفى بصوت مواساة وملامح حزن يقول: لقد خرجت صباح اليوم وقررت قبل أي شيء أفعله أن أحضر إليكِ لأقدم التعازي في وفاة كريم.

سهير وهي تتأوَّهَ قائلة بصوت حسرة وألم وتعبيرات وجهها كستها القتامة عندما تذكرت ما حدث لابنها: هل نسيت أنك السبب في تحطيم حياة ابني وزوجي؟! ثم تنخرط في بكاء صامت لتقول بعده بصوت استفهام متعجب: ماذا تريد؟!

مصطفى بصوت أسف ورجاء: أرجوكي يا طنط اسمحي لي بدقائق معدودة من وقتك فربما يكون لحديثك معي فضل في حل لغز الجريمة التي دُبرت لنا بإحكام وألقت بي أنا وكريم في السجن.

سهير تمسح دموعها وتقول بصوت قبول: ادخل يا مصطفى إلى حجرة الاستقبال. كل شيء بالمنزل كما هو من يوم القبض على كريم.

مصطفى يدخل إلى حجرة الاستقبال ويجلس بجوار سهير في نفس المكان الذي كان يجلس به مع كريم ليخيم الصمت بينهما لبضع ثوان يتبادلا خلالها النظرات الحزينة المتألمة حتى يقول مصطفى: أنا بريء يا طنط. ورحمة أمي أنا لا أعلم شيئًا عن المخدرات التي ضبطوها، ولا عن المخدرات التي ضبطوها مع كريم. الشخص الذي دبر لنا الجريمة كان يريد الانتقام من والدي ومن والد كريم وكان مراده تحطيم حياتنا.

سهير: لو كنت صادقًا في كلامك. ابحث عن الأشخاص الذين لهم مصلحة في ذلك. ابحث في علاقاتك الماضية لعلها ترشدك للفاعل.

مصطفى بصوت تعجب: ما الشخص الذي له مصلحة في الإيقاع بوالدي وبوالد كريم. لقد تم اعتقالهما عقب القبض علينا بأيام معدودة وتم التشهير بهما و إعدامهما اجتماعياً ونفسياً. من له مصلحة في ذلك؟!

سهير بصوت حزين مهموم: بعد سنتين من خروج عبد الرحمن من المعتقل قضاها في السجن بدون تهمة أو جريمة تم إحالته إلى المعاش الإجباري واعتزل الحياة العامة وتوفى بحسرته بعد صراع طويل مع المرض.

مصطفى بملامح محملة بالغل والرغبة في الانتقام يقول: أرجوكِ يا طنط ساعديني حتى انتقم من الذي قتل والدي وصديقي وزوجك.

سهير بملامح تفقد الحيلة تقول بصوت حسرة: هل استطيع فعل شيء لك؟

مصطفى بعد لحظات من الصمت اليائس يقول: لقد مر علي أيام وشهور وسنوات وأنا قابع خلف الجدران أفكر وأحاول التوصل لمن فعل ذلك ولم أستطع. ربما يكون لديك معلومات لا أعرفها.. ثم يشهق نفس عميق و يزفره بشدة قائلاً: أرجوكي يا طنط لو توصلتي إلى أي معلومة مهما كانت تبدو تافهة أبلغيني بها على رقم تليفوني المحمول.

سهير بعد لحظات من التأمل والتفكير تصيح قائلة: الحقيبة التي كانت في منزل المقطم وأخبرني كريم بأن احتفظ بها ولا أسلمها لأحد ولا أفتحها مهما حدث. ربما تحتوي على شيء يفيدك.

مصطفى: حقيبة! متى أخبرك كريم بذلك؟ وهل تعرفتي على محتوياتها؟

سهير: أخبرني كريم بذلك أثناء نظر القضية أمام النيابة. ولم أحاول فتح الحقيبة طوال تلك السنوات.

مصطفى بملامح فضول وصوت حمل نبرته نغمة لهفة: أين تحتفظي بهذه الحقيبة يا طنط.

سهير: الضائقة المالية التي مرت بنا بعد خروج عبد الرحمن للمعاش وإجباره على تسديد مبالغ مالية ليتصالح مع الدولة اضطررنا أن نبيع منزل المقطم. وقد أحضرت الحقيبة واحتفظت بها في حجرته.. ثم تصمت للحظات وعينيها مرغرغة بالدموع لتقول بصوت أم مكلومة: كنت على أمل أنه سيخرج وسيعرف أنني نفذت وصيته.

مصطفى: هل أستطيع أن أفتح هذه الحقيبة ربما أجد بداخلها شيء يفيدنا في البحث عن الحقيقة؟

سهير تنهض قائلة: تعالى معي يا ولدي سأدخلك إلى حجرة كريم. الحقيبة داخل سحارة سريره. ابحث بداخلها ربما تجد ما يفيدك.

مصطفى يتوجه مع سهير إلى حجرة كريم ويظل بعدما تغادر سهير الحجرة يتحسس متعلقات كريم ويتذكر بعيون نمر جريح أخر لقاء كان بينهما في حجز قسم النزهة حتى استخرج الحقيبة من سحارة السرير وفتحها ليستوقفه وجود كاميرا فيديو وشريط فيديو وصور فتوغرافية له مع نهلة وهالة فيأخذه الفضول ليُشغيل شريط كاميرا الفيديو، ويصاب بمفاجأة كممت فمه وأصابته بصدمة مذهلة استمرت طوال مشاهدته للشريط؛ فقد رأى نفسه مع هالة فريد في فراش الخطيئة.

المفأجاة المذهلة تلاشت بعد بضع دقائق من التفكير وبصورة تلقائية يضع مصطفى شريط الفيديو في جيبه ويتوجه إلى حجرة الاستقبال ويقول موجهاً كلامه إلى سهير:

لم أجد سوى بعض الصور الخاصة بالمرحوم مع هالة فريد ونهلة مشرقي وكاميرا فيديو داخل الحقيبة.

سهير بصوت تساؤل متعجب: صور. كاميرا فيديو! لماذا أوصاني بعدم تسليمها لأحد أو فتحها؟

مصطفى بملامح ترقب: لقد ذهب السر مع صاحبه. هل رأيتي هالة فريد أو نهلة سليم بعد دخول كريم السجن؟

سهير: لم أرى نهلة منذ القبض على كريم. لكني رأيت هالة بالصدفة منذ حوالي ثلاث سنوات في مستشفى مصر الدولي.

مصطفى: هل تحدثتي معها؟

سهير: كانت هديل محجوزة في الحجرة المقابلة للحجرة التي كانت بها هالة وطفلتيهما كانت موضعتان في حضانة المستشفى وقد تقابلت معها هناك وتحدثنا في أمور كثيرة.

مصطفى بملامح غاضبة يقول متسائلاً: هل عاد أبوها إلى مصر؟

سهير: لا. فريد النجار وزوجته هدى وابنته صافيناز ما زالوا في الأرجنتين. لقد تزوجت هالة بشخص أمريكي يعمل في السلك الدبلوماسي وقد تم تعينه في السفارة الأمريكية بالقاهرة قبل ولادة ابنتهما بشهور قليلة فجاءت معه.

مصطفى: كيف كانت مقابلتها معاكي؟

سهير بملامح استغراب تقول: أسلوبها معي لم يتغير، وقد أظهرت تعاطف معي بشأن كريم. لكن الذي لفت انتباهي أنها كانت تعلم كل شيء بالتفصيل عن واقعة ضبطه.

مصطفى: هل تقابلتي معها بعد ذلك؟

سهير: لا. لكن هديل على اتصال معها. وقد تحدث معها منذ شهر عبر التليفون المحمول وتعايدنا في عيد الأضحى.

مصطفى: لو تسمحي يا طنط اعطيني رقم الهاتف المحمول الخاص بها.

سهير بملاح تساؤل تقول: لماذا تريد التحدث معها؟

مصطفى: أريد الاستفسار منها عن بعض الأشياء التي ربما تفيد في هذا الشأن.

سهير تُمسك بتليفونها المحمول وتُخبره برقم التليفون المحمول الخاص بهالة ثم تقول بعدها بصوت تملكه الفضول: لقد لاحظت أنك بعد البحث في متعلقات كريم اهتمت بالسؤال عن هالة.

مصطفى: صورها التي كان يحتفظ بها كريم دفعتني إلى الاستفسار عنها.. ثم يهم بالرحيل ويقول وهو يمسك بهاتفه ومفاتيحه: أشكرك يا طنط على استقبالك لي، وأتمنى أن أراكي دائماً على خير. ابلغي تحياتي إلى هديل.

سهير تنهض وتسلم على مصطفى وقد تلاشت من ملامحها تعبيرات الاستياء التي كانت تطلقها تجاهه، وتبدلت مشاعر الكراهية التي تحملها في قلبها بمشاعر شفقة لتصطحبه بعدها ليغادر المنزل وقد بدأ يراوده شعور الشك في أن هالة لها علاقة من قريب أو بعيد بالجريمة التي حُبس بسببها.

❑❑❑

يعود مصطفى إلى قصر النجار ومشاعر الفرحة بخروجه حراً طليقاً بعد عشرين عاماً قضاها في قبو زنزانة الظلم مغلولة مكبلة بمشاعر الحقد والكراهية والرغبة في الثأر والانتقام من مجهول لا يعرف هويته ولا عنوانه. يحاول إيجاد أي طريق أو وسيلة يستطيع بها حل هذا اللغز الغامض ليكشف عنما تسبب في تحويل حياته إلى كابوس فلم يجد غير أشباح تضحك ساخرة منه، وتظل هواجس تلك الأصوات والخيالات تلازمه تُطبق على أنفاسه حتى يغادر القصر ويتوجه إلى منزل عمته ليتناول معها الغداء.

وعند وصوله إلى منزل عمته كانت حكمت قد أعدت بمساعدة شريهان صنوفًا كثيرة من الأكل الذي يحبه مصطفى وبمجرد أن انتهوا من تناول الطعام جلس مصطفى مهمومًا مقهورًا وتعبيرات الآسى والحزن تشع من ملامحه وهو ينظر نظرة تأملية ثاقبة إلى صورة والده ووالدته المعلقة على جدران حجرة الصالون وهو يهزي بصوت خافت مخنوق من شدة الحسرة قائلاً:

أرجوك أجبني وأخبرني من فعل بي ذلك. لماذا فعلوا بي ذلك؟

حكمت تنظر إليه نظرة توجس وخيفة وتعبيرات ملامحها الحزينة على حال ابن أخيها بدى عليها التوتر والقلق وهي تقول له بصوت استفهام مرتعش: مع من تتحدث يا بني؟!

مصطفى بعدما يشعل سيجارة بطريقة عصبية و يزفر نفسها بقوة تجاه صورة والده يقول بصوت امتلئ بالغل: اتحدث مع أبي الذي أظنه يعرف من فعل هذا بي. اسأله أن يخبرني بمن يكون هذا الشخص حتى اشفي غليلي وأخذ بثأري منه.

حكمت وما زالت تعبيرات القلق تسيطر عليها تقول: يا ولدي حاول نسيان الماضي بكل أحزانه وهمومه؛ فأنت ما زلت شابًا والحمد لله لقد ورثت أموالًا لا بأس بها من والدتك.

مصطفى والدموع الجافة تنحر عينيه يقول بصوت احتدت به نبرة الغل والرغبة في الانتقام: لا أحد يمكنه الشعور بما أشعر به يا عمتي؛ عشرون عامًا. كل عام باثنى عشر شهرًا، وكل شهر بثلاثين يومًا، وكل يوم باربع وعشرين ساعة وكل ساعة بستين دقيقة وكل دقيقة بستين ثانية وكل ثانية كانت تمر علي وكأنها كابوس يخنقني. هل تتخيلي مدى العذاب والألم الذي عانيته؟

حكمت وقد تحولت تعبيرات القلق والتوتر إلى حزن تنهض وتتعكز على عكازها حتى تصل إلى مصطفى وتحتضنه وهي تبكي بشدة ثم تمسح دموعها وتقول بصوت حكمة: يا ولدي أنا أعلم مدى العذاب الذي عشته طوال هذه السنوات. لكن العبث في الماضي سيضرك أكثر مما ينفعك. اترك أمرك لله يا ولدي.

مصطفى يطفئ سيجارة و يشعل أخرى وهو يقول: لو كان الله رحيم بي ما كان يتركني عشرين عامًا خلف جدران السجن اتجرع جحيم الظلم. ساعديني يا عمتي حتى أجد من دمر حياتي.

حكمت بصوت باكي وملامح تكسوها تعبيرات قلة الحيلة: استغفر ربك يا ولدي. شعور الانتقام الذي يتملك منك من مجهول لا يعلمه أحد سيحرمك من العيش في سكينة وسلام.

مصطفى: لم يعد لحياتي معنى أو غاية أعيش من أجلها سوى أن أنتقم ممن حطم حياتي وحياة أسرتي.

وفي تلك اللحظة تدخل شريهان بخطوات ترقب وملامح ظللها تعبيرات تلصص يكسوها شعور رهبة وهي تقول بصوت استئذان موجهة كلامها إلى حكمت: هل تريدي أن أصنع لكِ شيئًا قبل أن أبدأ بمذاكرة دروسي في الداخل؟

حكمت بنظرة حنونة لم تمح ملامح الحزن والقلق من وجهها الذي بدى عليه الإجهاد والتعب تقول بصوت واهن: شكراً يا ابنتي. ربنا يوفقك.

شريهان: لو أردتي شيئًا اعطني رنة على تليفوني المحمول حتى أحضر إلى حضرتك.

مصطفى بعد نظرة تأملية إلى ملامح شريهان الجميلة وجسدها الممشوق يقول: أريد قهوة.

شريهان بملامح ناعمة يعلوها خجل وهي تتحسس نظرة مصطفى

الفاحصة لجسدها تقول متسائلة بصوت متأدب: أي نوع من القهوة حضرتك تريد؟

مصطفى وهو يشعل سيجارة ويزفر الدخان بشدة يقول: قهوة تركي. سكر مضبوط.

شريهان تذهب لتصنع القهوة ونظرات وإيحاءات مصطفى لها جعلتها تتساءل مع نفسها: « ما هذه النظرات الجارحة؟ ماذا يقصد بها؟ هل سيقيم في المنزل؟ ما الذي يمكن أن يتغير لو قرر أن يمكث هنا؟ هل ستتغير معاملة حكمت هانم بعد عودة ابن اخيها؟ «

بعد مغادرة شريهان يقول مصطفى بصوت تساؤل وملامح الرغبة تجاه الجنس الآخر تفضح تعبيرات وجهه: فتاة جميلة كلها حيوية. ملامحها تشبه ملامح سعاد حسني. من الواضح أنكِ تحبيها.

حكمت وقد استشعرت ما تحمله نظرات ابن أخيها من إعجاب بإنوثة شريهان تقول بصوت غلفه اليقين: جمال شريهان ليس في ملامحها أو أنوثتها؛ إن روحها أجمل بكثير من شكلها. أنا اعتبرها مثل ابنتي.

مصطفى: هل تعرفي لها أهل؟

حكمت: شريهان مجهولة النسب. تربت في ملجأ للأيتام.

مصطفى بصوت تعجب ممزوج بالإعجاب: مجهولة النسب وتربت في ملجأ، وتحصل على ليسانس الحقوق!

حكمت: سبحان الله يا ولدي يوزع الأرزاق في المال والعقل والصحة.. ثم تصمت قليلاً لتقول بملامح فضول وصوت شغف: هل

فكرت في الطريقة التي ستعيش بها حياتك. ما المجال الذي تريد العمل به؟

مصطفى بصوت لامبالاة: لم أفكر حتى الآن في العمل الذي يمكن أن أعمله؛ فقد دخلت السجن من عشرين عام ولم يكن لي عمل قبلها.. ثم يقول بصوت ساخر مغلول: دخلت إلى عالم الاستيراد والتصدير لمدة أسبوعين.

وقبل أن ينهي مصطفى جملته تدخل شريهان وهي تحمل فنجان القهوة لتقدمه إليه وهي تقول بصوت متأدب: اتفضل القهوة يا أستاذ مصطفى.

مصطفى يأخذ منها القهوة وهو يملي نظره تجاه ملامحها ليقول: اجلسي يا شريهان. أنتِ في ليسانس الحقوق وأريد أن استشيرك في مسائلة قانونية.

شريهان بتعبيرات خنوع تجلس ثم تقول بصوت متأدب: أنا ما زلت طالبة لكني سأحاول قدر الاستطاعة الإجابة على تساؤلات حضرتك.

مصطفى بعد ثوان من الصمت وقد ارتسمت على ملامحه تعبيرات بائسة: لقد دخلت السجن عشرين عامًا في جريمة لم ارتكبها لفقها لي أشخاص لا أعرفهم. ماذا أفعل هل أترك الجاني الذي ظللت عشرين عامًا أحلم بأنني سأصل إليه لكي انتقم منه؟ ماذا أفعل؟ ممن انتقم وكيف استعيد سنوات عمري التي ضاعت؟

شريهان بعد نظرة تعجب واستفهام تقول بصوت اهتمام وهي ترقب تعبيرات مصطفى الحادة: تساؤلات حضرتك ليس بها أي استفسارات قانونية. لو أردت أن أخبرك برأي الشخصي سأفعل.

مصطفى بصوت إيجاب: بكل تأكيد. اتفضلي.

شريهان: بكل تأكيد من يتعرض لهذا الظلم لن يكون من سهل عليه أن ينسى سنوات العذاب والظلم الذي قضاها بسبب جريمة لم يرتكبها. لكن الحياة قد تفرض علينا في بعض الأحيان أشياء لا نستطيع التغلب عليها. بكل تأكيد أنت الآن في حالة نفسية يصعب عليك إدراك الأشياء بصورة صحيحة.

مصطفى يقاطعها بصوت غليظ حاد وتعبيرات ملامحه البائسة قد اشتعلت غضباً: هل تقصدي أني مجنون؟

حكمت بملامح توتر تقول بصوت يقين موجهة كلامها إلى مصطفى: لا والله شريهان لم تقصد هذا المعنى.

شريهان بملامح توتر تقول بصوت تعلق الأسف والخوف بنبرته: والله أنا لم اقصد ذلك. أنا أسفة لو حضرتك قد فهمت ذلك.

مصطفى وقد هدأت تعبيرات ملامحه يقول: ربما تكوني على حق. يمكنك الذهاب.

وبعدما تنصرف شريهان تقول حكمت بصوت عتاب: البنت لم تقل شيئًا يجعلك تحتد عليها. أنا متفقة معها في كل كلامها. يا ولدي أنت تحتاج إلى فترة راحة واسترخاء تستطيع بعدها التخطيط للمستقبل.

مصطفى: فعلاً يا عمتي. أنا أحتاج إلى فترة استرخاء حتى اعتاد من جديد على الحياة خارج السجن.

حكمت: اذهب إلى الإسكندرية وامكث هناك في شقة والدتك بالمعمورة.

مصطفى بعد ثوان من الصمت تذكر خلالها أخر مرة تواجد بها في تلك الشقة بصحبة نهال ليقول بعدها متسائلاً بصوت فضول: سأفكر في الأمر. هل تتذكري السيدة نهال حرم توفيق العاصي. كيف حالها؟

حكمت بصوت حملت نبرته نغمة شفقة وحـزن: لقد أصيبت بالشلل منذ عشرين عامًا وتجلس قعيدة على كرسي متحرك وفشلت كل المحاولات في علاجها. أنا لا أعرف عنها شيئًا منذ مرض والدتك.

مصطفى ينظر في ساعة يده ويقول: الساعة قاربت على العاشرة مساءً. سأذهب الآن يا عمتي وسأحضر غداً.

حكمت بملامح تمني وصوت رجاء: لماذا لا تمكث معي يا ولدي؟

مصطفى: أحتاج لأن أجلس مع نفسي يا عمتي. سأحضر عندك كل يوم.

حكمت: سأجعل شريهان تطهي لك أرانب بالملوخية غداً. سأنتظرك على الغداء.

مصطفى وهو يقبل عمته بعدما استعد للذهاب يقول: اعتذري إلى شريهان عما بدر مني. أراكي على خير يا عمتي.

يغادر مصطفى منزل عمته ليعود إلى قصر النجار ليقضي أول ليلة خارج جدران السجن بعد عشرين عامًا ويتمدد على سرير بمرتبة مريحة وحيداً في غرفة مساحتها تعادل مساحة الزنزانة التي كان يبيت بها مع

أكثر من عشرين مسجون ويذهب في النوم بعد صراع مع ذكرياته الأليمة داخل السجن.

❑❑❑

ويمر أربعة أشهر بعد خروج مصطفى من السجن استطاع خلالها التأقلم من جديد على حياته خارج الأسوار، وساعدته الظروف المحيطة به على تخدير مشاعر الغل والرغبة في الانتقام؛ فقد استطاع مصطفى خلال تلك الفترة بيع قصر النجار بمبلغ تجاوز العشرة ملايين جنيه مصريًّا ويشتري مقهى متطور في أرقى منطقة بمصر الجديدة ويجهزه بطريقة عصرية جذبت كثير من أبناء الطبقة البرجوازية والشخصيات العامة من مختلف الأعمار. مشاعر الإعجاب بجمال وإنوثة شريهان تطورت لتستحوذ على قلب وعقل مصطفى بمنحنى إيجابي بمباركة عمته حكمت التي حبذت ارتباط ابن أخيها بالفتاة التي رأت من وجهة نظرها أنها ستخرجه من كبوته وستمنحه حياة جديدة سعيدة رغم فارق السن بينهما، والذي تجاوز سبعة عشر عامًا ببضعة أشهر. وحتى يكون بالقرب منها استطاع مصطفى من إقناع شريهان بالعمل معه في المقهى بمرتب مغري لتكون ذراعه الأيمن في إدارة المقهى.

في صباح يوم ٢٢ يوليو ٢٠١٠م كان مصطفى يجلس أمام التلفاز في حجرته بالمقهى يشاهد الحفل الذي تقيمه أكاديمية الشرطة بمناسبة تخريج دفعة جديدة من الضباط، وقد لفت انتباهه مشهد ملازمة محمد مجاهد المصري لتوفيق العاصي الذي عُرض على شاشة التلفاز في ثوان معدودة قبل دخولهما إلى منصة الاحتفالات الرئيسية.

الفضول والرغبة في البحث والتنقيب عن الماضي دفعت مصطفى بعد انتهاء الاحتفال إلى الاتصال برقم المحمول الخاص بمحمد ليدور بينهما حديث ودي أخبره مصطفى خلاله بمشروعه الجديد ودعاه إلى الحضور إلى المقهى، وعرف منه أنه انتقل للعمل كقائد للحراسة المكلفة بتأمين توفيق العاصي، وقد استجاب محمد لدعوته وأخبره أنه سيحضر إليه في المساء ليبارك له على أفتتاح المقهى.

وحتى موعد حضور محمد عاود مصطفى التفكير في الماضي وأخذ يسبح بذاكرته في كيفية القبض عليه والزج به في السجن وفي طريقة اعتقال والده وانتحاره ليبدأ من جديد في البحث عن المجهول، ويفكر في استغلال علاقة محمد بتوفيق العاصي ليجد وسيلة يستطيع من خلالها التحدث معه والاستفهام منه عن السقوط الدراماتيكي لوالده من دائرة النفوذ إلى بئر التشهير والعقاب لعله يجد حل للغز الجريمة التي لُفقت له.

وفي الوعد المحدد للقاء حضر محمد وهو يحمل في يده باقة ورد وعلى وجهه تعبيرات فرحة صافية بعودة مصطفى إلى ممارسة حياته بصورة طبيعية وقد استقبله مصطفى استقبال حافل وترحاب وحفاوة شديدة ليجلس الاثنان في المكتب الخاص بمصطفى. وبعد دقائق من اللقاء تعرف كل منهما على حال الآخر يتساءل مصطفى بأسلوب فضولي قائلاً:

هل تعلم أن توفيق العاصي كان من أصدقاء والدي؟

محمد: نعم. أنا أتذكر اليوم الذي جئت معك إلى قصر توفيق العاصي يوم عيد ميلاد السيدة نهال عاصم.

مصطفى وهو يتفحص بترقب نظرة محمد الهادئة يقول متسائلاً: كيف حال السيدة نهال فقد علمت أنها ما زالت قعيدة؟

محمد: لقد كُلفت بالحراسة منذ شهرين فقط ولم يصادفني أنه ذهب إلى فيلاتها بالمقطم. فأنت كما تعلم فهو متزوج بسيدة أخرى هي التي أنجبت له الأولاد، ويقيم معها بصفة دائمة.

مصطفى: توفيق العاصي من الشخصيات الذكية التي تستطيع التواجد في دائرة الضوء بصفة مستمرة. رجل سياسي من الطراز الفريد.

محمد بصوت يقين وهو يتفحص بنظره تعبيرات ملامح مصطفى الفضولية: نعم. هو كذلك. وأنا أتوقع أنه سيلعب دور كبير في المرحلة المقبلة.. ثم يصمت للحظات ليقول: بالمناسبة أبي وأمي يرسلان لك التحية.

مصطفى بملامح استغراب يقول: الأستاذ مجاهد والسيدة عايدة. كيف حالهما؟

محمد: أنهما بخير وبصحة جيدة الحمد لله. لقد أخبرتهما بحالك وبخبر افتتاح المقهى الجديدة.

مصطفى بصوت استحياء وملامح ترقب يقول: كيف حال سلوى؟

محمد: الدكتورة سلوى. هي الآن من الشخصيات العامة في المجتمع؛ مديرة بنك بلوم فرع مصر الجديدة وعضو مجلس الإدارة المنتدب وأحد أهم الشخصيات الاقتصادية في مصر. متزوجة من رجل يعمل في نفس المجال وقد رزقهما الله برشدي طالب في الثانوية العامة ونهلة في أولى ثانوي.

مصطفى يبتسم ابتسامة صامتة أخفت ورائها مشاعر الحقد والغيرة التي اشتعلت في قلبه قائلاً بصوت اصطنعت نبرته الفرحة والسرور: عظيم. هي تستحق أكثر من ذلك. نتمنى أن نراها وزيرة في القريب العاجل.

محمد بعدما انتهى من شرب القهوة ينظر في تليفونه المحمول ثم يقول: أنا مضطر إلى الذهاب الآن.

مصطفى بأسلوب ساخر لطيف وصوت متأدب: هل تم استدعائك يا معالي الباشا من الحكومة المنزلية؟

محمد يضحك ضحكة من القلب استمرت بضع ثوان ثم يقول: حتى الآن لم تتشكل الحكومة المنزلية عندي. توفيق العاصي أرسل لي رسالة يستدعيني للحضور على وجه السرعة.

مصطفى بصوت يتطلع لمعرفة سبب استدعائه: هل حدث شيء يستدعي أن تذهب في فترة راحتك إلى العمل؟

محمد بصوت كاشف وهو يجمع متعلقاته من على المنضدة: هذه هي طبيعة الضابط المكلف بحراسة شخصية هامة مثل شخصية توفيق العاصي ليس لنا ميعاد للعمل ويمكن استدعائنا في أي وقت. سأراك لاحقاً يا مصطفى.

مصطفى ينهض قائلاً بصوت تمني: بكل تأكيد يا محمد باشا. وأرجوك بلغ تحياتي إلى الأستاذ مجاهد وعايدة هانم. ثم يصطحبه إلى خارج المقهى مودعاً بأسلوب لطيف ودود قائلاً: سأتصل بك حتى اطمئن عليك.

محمد وهو يستقل السيارة ليغادر يقول مودعاً: مبروك على المقهى. الله يبارك لك فيها. سأنتظر اتصالك.

بعد مغادرة محمد يظل مصطفى في حالة نفسية غير متزنة يتذكر ما كان عليه قبل دخوله السجن وكيف كانت سلوى طوع يديه ويتذكر أخر لقاء جمعهما معاً في فيلا ٦ أكتوبر فيتوجه بصورة تلقائية نحو الخزنة التي احتفظ بداخلها على الكاميرا والشرائط التي قام بتسجيلها خلسة وهما معاً في فراش الخطيئة، ويشاهدها بالتتابع بعيون حسرة وندم. وخلال عرضه لهذه التسجيلات الشيطانية شاهد تسجيل له مع نهال عاصم استرعى انتباهه فقد كان يسألها عن رد فعل توفيق العاصي لو علم بخيانتها له وقد أجابته قائلة «لو علم توفيق بعلاقتنا لن يقتلنا ولكنه سيتفنن في الانتقام منا. أنا أعرفه جيداً وأعرف أسلوبه في الانتقام. لكنه لن يكشف علاقتنا لأنه يثق في نفسه لدرجة يستحيل معها أن يتخيل أن زوجته التي أهملها وتركها تخونه». هذه الكلمات حركت شكوك مصطفى من جديد نحو علاقة توفيق العاصي بالجريمة التي قضى بسببها عشرين عام في السجن؛ لتدفعه رغبة الانتقام والثأر إلى أن يعقد العزم على مقابلة نهال حتى يتعرف منها على ملابسات الحادث التي تعرضت له، ويؤكد أو ينفي شكوكه بأن زوجها كشف أمرهما وانتقم منهما. وقد أيقن مصطفى أن توطيد علاقته مع محمد ستمكنه من إيجاد طريقة يتواصل بها مع نهال ليقطع شكوكه باليقين فيقوم خلال الأيام التالية على تلك المقابلة باختلاق الفرص لتتكرر بينهما اللقاءات، ويستطيع مصطفى أن يكسب صداقة محمد وتعاطفه بعدما استشعر الأخير بحسه الأمني بأن القضية

التي سُجن بسببها الأول ملفقة بإحكام. ومن خلال الزيارات التي قام بها محمد إلى المقهى تعرف على شريهان وأُعجب بشخصيتها المكافحة الذكية وشجعها على مواصلة دراستها في مجال القانون لتحصل على درجة الماجستير والدكتوراه بعدما حصلت على الليسانس بتقدير جيد، وقد قابل هذا الإعجاب الذي أظهره محمد إلى شريهان، والذي لم يحمل أي نوايا أو أغراض غير التحفيز والتشجيع إعجاب من نوع آخر؛ فقد تملكت شخصية محمد الفريدة ومظهره الوسيم من مشاعرها وصارت تنتظر حضوره بأحاسيس مرهفة وقلب ينبض شوقاً للقائه.

❑❑❑

في صباح يوم العاشر من شهر أغسطس كان مصطفى ينتظر حضور محمد من المطار بعدما قام بتأمين سفر توفيق العاصي على رأس الوفد البرلماني المصري المشارك في مؤتمر الاتحاد البرلماني العربي الذي سينعقد في مدينة دمشق. وبينما كان مصطفى يتابع مع شريهان تجهيزات المقهى لتستقبل في الغد أول يوم من أيام شهر رمضان اتصلت به سهير عبر تليفونه المحمول، وأخبرته أن هالة فريد ستحضر عندها خلال دقائق إذا أراد مقابلتها؛ فيترك المقهى ويتوجه بدون تفكير أو تردد إلى منزل «عبد الرحمن الفرماوي»، والرغبة للتعرف على ملابسات سفر والدها وكيفية هروبه من مصر وعلاقتها بالجريمة التي سُجن بسببها تزلزل تفكيره وتسيطر على جوارحه.

ومع حضور محمد استقبلته شريهان بترحاب وفرحة شديدة ليجلسا في المكتب، وملامحها تكاد تصرخ لتعبر عن شعورها بلقائه وهي تقول له بصوت حُملت نبرته بنغمات رومانسية:

مصطفى جاءه تليفون هام واضطر للذهاب. وهذه فرصتي لأنفرد بك.

محمد وهو يتفحص نظراتها وقد ارتسمت على وجهه ملامح ترقب يقول متسائلاً بعدما فشل في الاتصال به على تليفونه المحمول: انه لا يرد على تليفونه. هل اخبركي متى سيعود؟

شريهان: لا لقد رحل ولم يخبرني بميعاد عودته أو إلى أين سيذهب. كل ما قاله « سأعود بعد ساعة أو ساعتين».

محمد وقد تبدلت ملامح القلق التي ارتسمت على وجهه يقول بأسلوب مجاملة وهو يتفحص نظرة شريهان: وجهك اليوم مشرق أكثر من أي يوماً آخر.

شريهان وتعبيرات الأنوثة الحالمة تكسو ملامحها تقول بصوت هائم: ربما لأني اليوم أول مرة أراك فيها ومصطفى ليس معنا.

محمد بعد نظرة تأملية ثاقبة يقول بصوت تعجب: ظننتك تحبي مصطفى!

شريهان بصوت استنكار وتساؤل: مصطفى. لا. هل أخبرك بذلك؟

محمد: لا. لكني تحسست ذلك من اهتمامه بكِ، ولاحظت أنكِ تبادليه نفس الشعور.

شريهان وقد تبدلت ملامحها الحالمة وارتسم على وجهها تعبيرات حزينة تقول بصوت تعجب: أحسست أنني أبادله نفس الشعور!.. ثم

تقول بصوت تساؤل: هل تصدقني لو قلت لك أن تعاطفي معه وشعوري أنه قضى نصف عمره في السجن ظلم هو كل ما يربطني به؟.. ثم تنظر إليه قائلة بصوت يقين: أنا أحبك أنت.

محمد يمعن النظر في عينيها وهو يقول متعجباً: بهذه السرعة! فنحن لم نتقابل سوى مرات معدودة!

شريهان بمشاعر اندفاع وصوت غلفه الخنوع والاستسلام: الحب لا يعرف حدود زمان أو مكان. منذ طفولتي وأنا أحلم بشخص مثلك وقد استحوذت على مشاعري من أول لقاء. أنا أعلم أن مبادرة الحب تأتي من الرجل أولاً. لكني لم استطع إخفاء مشاعري وانتظر حتى تقولها لي.

محمد بملامح حائرة متفاجئة يقول: أنتِ فتاة جميلة وذكية وتمتلكي إرادة فولاذية وشخصية بكل تأكيد يتمناها الرجال. أنا لا أفكر في الزواج في الوقت الحالي.

شريهان تمسك يده وتقترب منه تنظره نظرة هامسة حالمة قائلة بصوت إغراء هامس: أنا لم أطلب منك أن تتزوجني. يكفيني أن أكون معك حتى لو خادمة.

محمد بعد صراع شرس بين ضميره وغرائزه التي فجرتها قنابل الإغراء والأنوثة العاتية التي صوبتها شريهان تجاه قلاع المبادئ والقيم التي تحصنها يستسلم لجسدها ويواقعها ثم يغادر المقهى، وهو في حالة نفسية ومزاجية سيئة يجلده ضميره الذي ينبض بالإيمان وتسوطه أخلاقه ومبادئه التي تربى عليها؛ فكيف ينزلق مع ركاب الشيطان ويرتكب

هذه الخطيئة الشنعاء وهو الشاب التقي الورع الذي يحفظ كتاب الله ويتحلى بقيم وتعاليم الإسلام التي تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي؟ كيف يترك نفسه للغريزة ويستسلم لبراثن خضراء الدمن[١] التي انخدع فيها وتعاطف معها وظنها فتاة صالحة قاومت ظروفها الاجتماعية البائسة فإذا بها سيدة لعوب تتلون مثل الحرباء؟ هل يترك الشخص الذي صاحبه واستنجد به بعدما خرج من بئر الظلم في جريمة لم يرتكبها ليقع في بئر الخيانة مع هذه المرأة الناعمة؟.. هذه الحالة النفسية والمزاجية المتصارعة دفعت محمد يقرر تجنب الذهاب إلى المقهى حتى لا يلتقي بشريهان، حتى يتصالح مع نفسه ويجد الطريقة المناسبة التي يستطيع من خلالها توعية مصطفى بالخطر الذي يمكن أن يصيبه إذا ما فكر في الارتباط بتلك الفتاة.

❑❑❑

وصل مصطفى إلى منزل «عبد الرحمن الفرماوي»، والرغبة في إيجاد أي معلومة تساعده في الكشف عن الشخص الذي تسبب في سجنه وحطم حياته وحياة أسرته تسيطر على كل مشاعره وتفكيره، يراوده الشك أن هالة ووالدها يعلمان بصورة أو بأخرى من يكون هذا الشخص. وبعدما تستقبله سهير تدخله إلى حجرة الاستقبال حيث كانت هالة فريد تجلس مع ابنتها فاطيما وما إن شاهدها صاح قائلاً بصوت حاد وملامح ترقب:

(1) حديث شريف عن رسول الله ﷺ: **«إياكم وخضراء الدمن قالوا: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء»**. رواه الواقدي من رواية أبي سعيد الخدري.

هالة فريد. مصير الحي يتلاقى.

هالة وهي تنظره بنظرة تأملية ثاقبة تحاول التأكد من أنه مصطفى عفيفي تقول بصوت متعجب متساءل وملامحها تكسوها الدهشة: من أنت؟!

مصطفى وهو يتفحص نظرتها ويتحسس ما بداخلها: أنا شخص تعرفينه جيداً. وكأن اليوم أمس يا هالة.

هالة بصوت مرتبك وتعبيرات تملكها الذهول والتساؤل: مصطفى عفيفي! متى خرجت من السجن؟!

مصطفى وهو يتفحص نظرتها بنظرات تأملية فاحصة يقول بصوت حاد غُلت نبرته: خرجت منذ أربع أشهر وبحثت عنك ولم يسعدني الحظ أن أراكي إلا اليوم. كيف حالك وحال فريد باشا؟.. ثم ينظر إلى فاطيما ويقول: ما شاء الله. ابنتك جميلة.

هالة بعدما تذهب عنها صدمة المفاجأة ترتسم على ملامحها تعبيرات سرور مصطنعة تقول: حمد لله على سلامتك يا مصطفى. فعلاً مصير الحي يتلاقى.. ثم تصمت للحظات تحاول كشف نوايا نظراته ثم تقول: أبي بخير. لقد حزن حزناً شديداً على ما حدث لك وما حدث لوالدك.. ثم تضم ابنتها إليها وتقول لها باللغة الانجليزية: فاطيما قولي أهلا إلى مصطفى.

فاطيما تترك أمها وتذهب تجاه مصطفى وتمسك يده وهي تقول باللغة الإنجليزية: أهلا يا مصطفى.

مصطفى يحضنها ويقبلها قائلاً باللغة الانجليزية: أهلا يا صغيرتي.. ثم يقول موجهاً كلامه إلى سهير: لو لم أدخل السجن ظلماً لكان عندي أولاد مثلها.

هالة وقد تحسست مشاعر مصطفى الحاقدة الناقمة تقول بالانجليزية بصوت حاولت نبرته التظاهر بالهدوء وملامحها الصامتة تخفي ما وراءها من شعور خوف وقلق: فاطيما تعالي اجلسي بجوار ماما.

سهير تقول موجهة كلامها إلى مصطفى: لن تأخذ غير نصيبك يا ولدي. ثم تنهض قائلة: أنا أعرف أنك تشرب الشاي وهالة تشرب القهوة. سأصنعهما لكما.

وبعدما تذهب سهير تقول هالة بملامح استفهام وصوت ترقب، وهي تنظر إلى مصطفى نظرة فاحصة: لماذا كنت تبحث عني؟ هل نسيت ما فعلتماه بي أنت وصديقك؟!

مصطفى وتعبيرات المكر تخيم على ملامحه: عندي شيء يخصك أعتقد أن عدم حيازتك له سيكون خسارة كبيرة لكِ.

هالة وقد زادت حدة ملامحها استفهام تقول بصوت تساؤل متعجب: شيء يخصني! منذ حضورك وأنا أشعر بأنك تتحدث بأسلوب غريب. ماذا تريد يا مصطفى؟

مصطفى بملامح ظلالها الشر يقول بصوت أجش توحشت نبرته بنغمات غل وحقد ورغبة في الانتقام: في إحدى الليالي منذ أكثر من عشرين عامًا كنت في فراش المتعة أنت وكريم الفرماوي، وتحت تأثير المخدرات التي تعطيناها شاركته الفراش.

هالة تقاطعه بصوت صارخ وملامح اشتدت حدة غضبها بصورة افزعت فاطيما وجعلتها تصرخ باكية وهي تحتضن أمها بشدة: هل تفتخر بفعلتك المنحطة؟ لقد انتقم الله منكما. ألم يكفيك عشرين عام قضيتها في السجن؟

مصطفى: اهدئي حتى أكمل ما جئت من أجله. فهناك الكثير من علامات الاستفهام التي سوف نتوقف عندها وتحتاج إلى توضيح بدون صراخ.

هالة بصوت كاظم للغيظ وملامح تترقب ما يدور في رأس مصطفى: ماذا تريد مني؟

مصطفى وهو ينظر في عينيها يتحسس ما بداخلها يقول وهو يعطيها كارته الشخصي: داخل هذه الأسطوانة (CD) حدث يخصك سجله كريم الفرماوي بدون علمي منذ أكثر من عشرين عامًا. عندما تكوني في منزلك وحيدة شاهديه واتصلي بي على هذا الرقم.

هالة وتعبيرات القلق والتوتر والاستفهام تتجمع في ملامحها تقول وهي تحتضن ابنتها لتخفف من حدة بكاءها: ما الذي تحويه هذه الأسطوانة؟ وما الذي تريده مني؟

مصطفى وملامح القتامة والغل تتجسم في وجهه يقول بصوت وضحت به نبرة التهديد: أريد معرفة الحقيقة التي انتظرت سماعها من عشرين عام.

هالة: أية حقيقة؟

مصطفى: من الذي دبر لنا الجرائم التي ألقت بي أنا وكريم في السجن ودمرت حياة أسرتي وأسرته؟

هالة بتعبيرات ذهول وصوت مرتجف: ما علاقتي أنا بهذا؟

مصطفى بصوت يقين بعد نظرة فاحصة لتعبيرات هالة المرتبكة: لو تعثرتي في الإجابة على سؤالي يمكنك الاتصال بوالدك رجل الأعمال فريد باشا النجار وهو سيساعدك في الإجابة. ويجب أن تعلمي أني فقدت كل شيء ولا يوجد ما أبكي عليه في هذه الدنيا.

وبعدما يكمل مصطفى جملته تدخل سهير وهي تحمل الصينية وعليها الشاي والقهوة لتقول: اتفضلوا.

هالة تنهض وهي تمسك بيد ابنتها فاطيما لتغادر إلى الخارج وتعبيرات الغضب والبغض والتوتر تتجمع في ملامحها قائلة بصوت حدة: اعذريني يا طنط فقد تذكرت موعد هام.

سهير بملامح فضول وهي تنظر تعبيرات هالة الغاضبة المتوترة تقول بصوت تساؤل ورجاء وهي تضع الصينية على الطاولة: ماذا حدث يا هالة؟ انتظري حتى تشربي القهوة.. ثم توجه كلامها إلى مصطفى قائلة: هل حدث بينكما شيء أغضبها؟

مصطفى بملامح لامبالاة يقول: اتركيها يا طنط. بالفعل السيدة هالة فريد النجار لديها موعد هام تأخر لمدة عشرين عامًا.

هالة تنظر إليهما نظرة قاتمة وهي تسرع بمغادرة المكان قائلة بصوت تمتمة غير مسموع: سأقتلك إذا كان كلامك صحيحًا.

سهير تحاول اللحاق بها قائلة بصوت رجاء: انتظري يا هالة. افهميني ماذا حدث.

هالة قبل أن تغلق باب المنزل بشدة تنظر إلى سهير نظرة غاضبة وهي تقول بصوت حدة: اسألي هذا المخلوق الذي يمتلئ قلبه بالكراهية والحقد.

سهير تعود إلى حجرة الاستقبال وملامح الفضول تسيطر عليها لتقول بصوت حيرة وترقب: ماذا قلت لها يا مصطفى؟

مصطفى بملامح يقين يقول: أنا واثق أنها تعرف من الذي مكر لنا وأوقعنا في الجريمة التي أدخلتنا السجن.. ثم يصمت للحظات ويقول بصوت أسف: أعذريني. هناك أشياء من الأفضل لكِ أن لا تعرفيها. وتأكدي بأنه لن يهدأ لي بال حتى أكشف سر اللغز الذي دمر حياتنا.

سهير وهي تتفحص ملامح مصطفى بنظرة كاشفة لتقول بصوت استحسان: لو كان ما ستفعله سيكشف براءة ولدي من التهمة الزور التي لفقت له فالله يوفقك.

مصطفى ينهض بعدها قائلاً: أنا مضطر للذهاب الآن. أراكي على خير.

سهير بصوت تمني: أجلس حتى تشرب الشاي.

مصطفى: اعذريني فهناك شخص ينتظرني في المقهى منذ ساعة. سأعود مرة أخرى لنشربه سوياً.

بعدها يغادر مصطفى منزل «عبد الرحمن الفرماوي» متوجهاً إلى المقهى، وقد وصلت شكوكه إلى درجة اليقين بأن هالة فريد تعرف الكثير الذي سيساعده في الكشف عن الشخص الذي تسبب في سجنه وضياع مستقبله.. وعلى الجانب الآخر تسرع هالة إلى منزلها وتشاهد الأسطوانة لتفاجأ بما تحتويه وتظل في حالة صدمة تفكر في الطريقة التي تستطيع من خلالها الخروج من هذه الورطة؛ فكيف ستستطيع مواجهة النتائج السلبية على مستقبل زوجها السياسي إذا عُرضت هذه الأسطوانة التي تحتوي على مشاهد إباحية لها؟

❑❑❑

ويمر العشرة أيام الأولى من شهر رمضان تجنب خلالها محمد من الذهاب إلى المقهى ولم يرد على تليفونات شريهان المتكررة مما أصابها بحالة عدم اتزان ودفعها إلى ملاحقته بصورة مرضية لتفاجئه على مائدة الإفطار الرمضانية في نادي الشرطة بمدينة نصر حيث تم دعوته من قبل الإدارة العامة لشرطة الحراسات الخاصة احتفالاً بيوم الوفاء الذي تقيمه الإدارة. وبعيون لا تعرف حياء وملامح ناعمة لا تعرف خشى تأتي نحو الطاولة التي يجلس عليها وتقول بصوت رجاء مستكن:

هل استطيع أن اتحدث إليك؟

محمد بعد نظرة تأملية رافضة يقول بصوت تعجب وهو يستطلع بنظره الحضور: كيف عرفتِ أنني هنا؟! وكيف استطعتِ الدخول؟!

شريهان وقد ترغرغرت عينيها بدموع المكر تقول متسائلة بصوت متحشرج بنغمات التوسل والرجاء: لماذا تتهرب مني؟ هل حدث مني شيء أغضبك؟ لو طلبت مني فعل أي شيء سأفعله.

محمد وهو يكظم ما به من غضب و يرسم على وجهه تعبيرات باسمة يقول بصوت هادئ وهو يتلصص نظرات الحضور: عظيم. أنا أطلب منك أن تذهبي. فالقاعة كلها مخصصة لضباط الحراسات الخاصة وأسرهم ولن أستطيع استضافتك.

وما أن يكمل محمد جملته يحضر إلى طاولته ضابط العلاقات العامة وهو يرحب به و بـ شريهان ثم يقول:

معالي الباشا. سيدتي. لو تسمح تفضلا معي. فهناك طاولة تم تخصيصها لكما في المقدمة. معذرة فلم يكن لدينا علم أنك ستحضر مع الهانم.

محمد بعد لحظات من الصمت يقول بصوت استطاع التحكم في مشاعر الغضب والإحراج التي تكمن بداخله: شكراً جزيلاً. ليتقدم بعدها بصحبة شريهان ليجلسا في الطاولة التي تم تخصصيها لهما و يظل الصمت يخيم بينهما حتى تقول شريهان بصوت أسف ورجاء وهي تنظر إلى محمد نظرة راجية ذليلة:

أرجوك لا تغضب مني. أرجوك لا تعذبني بتجاهلك لي. أنا منذ لقائنا الأخير وعدم ردك على تليفوني أشعر بالضياع. فأنت الإنسان الوحيد الذي رق له قلبي.

محمد وهو يترقب ملامحها وأسلوبها الناعم يقول: هل يمكن أن تكفي عن الكلام. فلم يتبق على آذان المغرب سوى بضع دقائق. بعد الإفطار نتحدث.

شريهان بملامح ناعمة خانعة تقول بصوت مستكن: نتحدث بعد الإفطار.

بعدها يخيم الصمت بينهما وتظل شريهان طوال تناولهما لطعام الإفطار تنظر إليه نظرة مفعمة بالتوسل وطلب السماح وهو يتجنب حتى النظر إليها. وبمجرد ما ينتهي من تناول الإفطار يتوجه مع باقي زملائه ليصلي صلاة المغرب ولم يلق لها بالًا حتى أن انتهى وعاد إلى الطاولة يجلس ونظرات الرفض والاستنكار لما فعلته تسيطر على ملامحه ليقول لها بصوت باهت باغض:

قبل كل شيء أنا نادم وآسف على الخطيئة الكبرى التي فعلناها يوم لقائنا. ويجب أن تعلمي أنني لن أفعل ذلك مجدداً تحت أي ظرف ومهما كانت الإغراءات.

شريهان تقاطعه بدموع حارقة لتقول بصوت اشتد حدة وتزلل نبرته: أرجوك لا تعذبني بهذه الكلمات. هل تعتقد أنني فعلت ذلك لأنني أريد الخطيئة. أنا فعلاً أحبك بجنون.

محمد بصوت تعجب وملامح استغراب يقول: أنتِ فعلاً مجنونة. أنتِ تعرفيني من أيام معدودة ولم ننفرد سوياً إلا في هذا اليوم.. ثم يصمت لبضع لحظات يراقب عيون الحاضرين ثم يقول: أنت سيدة جميلة بكل تأكيد ستقابلي رجالًا أفضل مني في كل شيء. أنا لا أصلح لكِ.

شريهان ودموع الثعالب تتساقط على وجنتيها تقول بصوت مبحوح من شدة الحزن واليأس: أنا أعرف أن فتاة لقيطة مثلي لا يمكن أن تتواجد في حياة الشرفاء أمثالك. كنت أظنك إنسان صاحب قلب كبير. كنت أظنك تختلف عن باقي الرجال.

محمد وقد انخدع في دموعها وكلامها الناعم يقول بصوت غلفه الشفقة والعطف: أنتِ لم تفهمي ماذا أقصد. شريهان أنتِ بالفعل إنسانة جميلة وذكية وظروفك الاجتماعية ليس لها أي علاقة بما أقوله لكِ. أنا لا أفكر في الزواج في الوقت الحالي ولا أنوي الارتباط عاطفياً بأحد. فكري في الأمر بصورة عقلانية.

شريهان وهي تمسح دموعها تقول: أنا لم أطلب منك الزواج وكل ما أطلبه منك أن تقف بجانبي وتحميني من نفسي ومن الآخرين.. ثم تصمت للحظات لتقول بصوت غلفه الإثارة والتشويق: هل تتخيل من الذي فض غشاء بكارتي وكيف؟

محمد بملامح استغراب وصوت استنكار يقول: ما الذي تقوليه؟!

شريهان: لقد اغتصبني الرجل الذي كان يكفلني منذ طفولتي.

مصطفى يقاطعها قائلاً بصوت به حدة: من فضلك هذا الكلام ليس له أي داع.

شريهان لا تلقي بالًا لما قاله محمد وتكمل ما بدأته: عندما بلغت الثامنة عشر من عمري أخبرتني مديرة الملجأ أنني سأذهب إلى بيت رجل البر الذي يكفلني حتى أكمل دراستي الجامعية. لم تسعن الفرحة

وافتكرت أن الدنيا ابتسمت لي بعد سنوات من القتامة والحرمان والضياع.

محمد وقد بدأت ملامحه في التعاطف معها يقول بصوت لين: من فضلك توقفي عن البكاء وأنتِ تتحدثي.

شريهان تمسح دموعها وتكمل حديثها: ذهبت إلى منزل رجل البر والتقوى رجل الأعمال والعضو البارز في مجلس الشعب وبعد أيام معدودة سقط القناع من على وجهه واغتصبني ولم استطع أن أفعل شيئًا سوى الرضوخ والاستسلام ليتكرر مواقعته لي واحمل منه سفاحاً حتى تخلص مني ومن الجنين الذي في بطني، ولولا مديرة الدار وعطف السيدة سهير لكنت من بنات الليل.

محمد وقد تأثر بما قالته شريهان تتبدل ملامح الشدة بملامح لين ليقول بصوت متعاطف: اتركي أمرك لله وتصالحي مع نفسك وأنا على يقين أن الله سيقف بجانبك.

شريهان وهي تتعمق في نظرة محمد المتعاطفة تقول بصوت ناعم متضرع: أرجوك قف بجانبي ولا تتركني. أنا أحتاج إلى شخص مثلك يقومني ويهديني ويعصمني.

محمد بصوت نصح وملامح صافية: استعيني بالله واستغفريه فسبحانه وتعالى غفور رحيم يقبل التوبة مهما كانت الخطايا.. ثم يصمت للحظات ليقول بصوت تساؤل وملامح فضول: كيف حال مصطفى معكِ؟

شريهان وهي تنظر إليه نظرة مكسورة تقول بصوت تتمسك نبرته بالنغمات المقهورة والمذلولة: الرجل الذي عاش نصف حياته في القصور والنصف الآخر في قبو السجون. رغم مشاعر الحب التي يظهرها لي فأنا لم أشعر تجاهه بأية مشاعر. صحيح أي فتاة في مثل ظروفي؛ لقيطة لا تعرف لها أهلًا سيكون مصطفى بكل تأكيد طوق نجاة ينتشلها من بئر المذلة والحرمان الذي ألقاها فيه القدر.

محمد بعيون كاشفة وملامح باسطة يقول ناصحاً: يجب أن تعلمي أن مصطفى نمر جريح يجب الحذر في التعامل معه؛ إذا كانت هذه مشاعرك تجاهه يجب أن تفهميه ذلك.

شريهان بعيون خانعة وملامح حالمة تقول بصوت قبول: نعم. سأفعل.

محمد ينظر في ساعة يده ويقول: الساعة الآن الثامنة والربع. يجب أن أنصرف الآن حتى ألحق بصلاة التراويح. هل ستعودي إلى البيت؟

شريهان تبتسم ابتسامة ساخرة قائلة بصوت تعجب: البيت! تقصد منزل السيدة سهير. أنا ليس لي مكان آخر حتى أذهب إليه.

مصطفى يهز رأسه وهو ينهض قائلاً: انتظريني دقيقة حتى ألقي السلام على زملائي ثم نرحل.

شريهان بنظرتها الحالمة تتبع محمد وهو يتوجه نحو زملائه ليودعهم حتى يعود نحوها ويصطحبها ليستقلا السيارة معاً ويتوجها إلى منزل عمته. وخلال الطريق يظل محمد يستمع إلى القرآن ويتجنب النظر أو

الحديث إلى شريهان وهي تنظره بنظرات خنوع واستعطاف حتى تغادر السيارة ومشاعرها المريضة تسيطر عليها وتوسوس لها بفعل أي شيء حتى تكون بجواره مهما كانت الوسيلة والطريقة.

❑❑❑

بعد لقاء مصطفى مع هالة فريد ظلت الأخيرة في حالة فزع وتوتر بعدما شاهدت الأسطوانة التي تحوي على مشاهد إباحية لها ليدفعها هاجس الخوف إلى الاتصال بـ« كمال الجارحي» - الذي يشغل منصب رئيس هيئة الاستعلامات(1) بجانب دوره الناشط الفعال في لجنة رسم السياسات بالحزب الوطني - ليجد لها حلًا في هذه الكارثة التي تهددها ويمكن أن تمسه بصورة أو بأخرى ويتفق الاثنان على اللقاء. وفي الموعد المحدد حضرت هالة إلى الفيلا التي التقيا فيها الاثنان منذ أكثر من عشرين عامًا ليتقابلا في نفس المكان الذي اتفقا فيه على التخلص من كريم الفرماوي ومصطفى عفيفي. وبعد دقائق من المقابلة تبادل خلالها الاثنان النظرات التأملية الفاحصة لما فعله الزمان في الآخر وكلمات الترحيب والسؤال عن الحال والأحوال تقول هالة بصوت استغاثة وملامح استنجاد:

---

(1) الهيئة العامة للاستعلامات هي هيئة حكومية تتبع رئاسة الجمهورية وتضطلع بدورها « كجهاز الإعلام الرسمي والعلاقات العامة للدولة» إلى شرح سياسة الدولة في المجالات المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الصعيدين الداخلي والخارجي ومواقفها إزاء مختلف القضايا، وتنمية وعي المواطن ومشاركته الفعالة في بناء مجتمعه في الداخل ولتعميق أواصر الصداقة والعلاقات الوثيقة بين مصر والعالم الخارجي، وبالإضافة إلى كونها جهاز العلاقات العامة للدولة، فهي مركز للدراسات السياسية والإعلامية، وبنك للمعلومات، ودار نشر كبرى للثقافة والفكر.

لقد جئت اليوم وأنا أعلم أنك الشخص الوحيد الذي يمكن أن ألجأ إليه ليخلصني من هذه الكارثة؟

كمال بنظرة واثقة وملامح هادئة يقول: ماذا حدث؟

هالة وقد ازدادت حدة ملامحها استنجادًا تقول: لقد تقابلت مع مصطفى عفيفي بعد خروجه من السجن وهو يبحث عن الذين ألقوا به في السجن لينتقم منهم.

كمال وهو يتفحص ملامحها يقول بصوت تعلقت بنبرته الفضول: وما الذي يخيفك في هذا؟

هالة: لديه أسطوانة مسجل عليها مشاهد إباحية لي تم تسجيلها خلسة.

كمال يبتسم ابتسامة ملونة وملامح الثقة تظلل وجهه يقول: احكي لي بالتفصيل كل ما دار بينكما ومتى وأين دار هذا الحديث.

هالة وملامحها تعبر عما تحكيه تقص عليه ما دار بينها وبين مصطفى في منزل «عبد الرحمن الفرماوي» وكيف تقابلت معه وهو يستمع إليها بانصات شديد حتى ما انتهت من قصتها يقول بصوت به شغف:

هل سألكِ عن توفيق العاصي أو عن نهال عاصم؟

هالة: لا. لكنه قال لي «اتصلي بفريد باشا النجار وهو سيساعدك في الإجابة». معنى ذلك أنه يعلم أن والدي كان على علم بمن فعل معه ذلك.

كمال يبتسم ابتسامة هادئة وملامح الثقة تكسو وجهه يقول: لا تخافي هو لا يعرف أي شيء مما دار بيننا من عشرين عامًا. سؤاله وتهديده

لكِ مجرد تكهن استخدمه في تأكيد أو نفي تلك الظنون. لا تعطي بالًا لما يقوله لكِ.

هالة بملامح متوترة تقول بصوت تعجب: هل نسيت أن زوجي هو السكرتير الأول للسفارة الأمريكية بالقاهرة ومجرد طرح هذه المشاهد على مواقع التواصل الاجتماعي معناه تدمير مستقبله السياسي؟!

كمال وقد زادت ملامحه ثقة وابتسامته هدوءً يقول: مسألة الأسطوانة لا تشغلي بالك بها سأحصل عليها، وسأعدمها بنفسي. المهم لابد أن تداهنيه حتى نتمكن من ذلك.

هالة وقد هدأت ملامحها تقول بصوت تساؤل: ماذا أفعل معه؟

كمال: اعرضي عليه مالًا في مقابل الأسطوانة.

هالة بصوت تعجب: اعرض عليه مالًا! أنه يريد.

كمال يقاطعها بصوت به حدة وقد أشعل الغليون وزفر الدخان بشدة: لا تكثري من الحديث وافعلي ما أقوله لكِ. اعرضي عليه المال وصممي على أنكِ لا تعرفي أي شيء آخر. في خلال وقت قصير سأحصل على الأسطوانة التي يهددك بها ولو تطلب الأمر أكثر من ذلك سأفعل حتى نخرسه إلى الأبد.

هالة بملامح راضخة تقول بصوت طاعة: سأتصل به واعرض عليه المال.

كمال: لا. انتظري حتى يتصل بكِ ولا تبادري بعرض المال. اتركيه يُفصح عنما بداخله ثم اطرحي عليه أن يقبل المال في مقابل الأسطوانة.

هالة: سأفعل وسأداوم الاتصال بكِ لأخبرك بما يحدث.

كمال وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة صماء يقول: اتمنى أن أراكِ في المرة القادمة واطلعكي على أخبار سارة. تشرفت بمقابلتك.

هالة تنهض وتتبادل تحية الوداع مع كمال ليصطحبها بعدها إلى سيارتها لتغادر الفيلا، وقد هدأ بالها بعدما استشعرت أنه سيقف لمساندتها.

❒❒❒

مصطفى، الذي ظل يترقب الفرصة لمقابلة نهال عاصم لعله يتمسك بخيط أمل يحل به لغز ما حدث له، عرف من محمد أنه سيتوجه إلى القصر الذي تقيم به نهال ليقيم بنفسه طاقم الحراسة الذي تم تعينه بدلاً من طاقم الحراسة الجديد؛ حيث اتصل توفيق العاصي تليفونياً به من الخارج وكلفه بصفة ودية بمتابعة تعين أفراد الأمن الخاص على فيلاته بالمقطم، وقد انتهز مصطفى الفرصة ليذهب إلى هناك ويتقابل مع محمد أثناء فحص طاقم الحراسة الجديد. هذا اللقاء كان بمثابة كلمة السر لعبور مصطفى إلى داخل الفيلا حيث توهم طاقم الحراسة أنه من الرجال العاملين مع توفيق العاصي والمقربين له؛ ففي الأيام التالية كان مصطفى يحضر بنفسه ومعه وجبات من أشهى المأكولات لطاقم الحراسة ليُثبت هذا الإيحاء في مخيلتهم. وفي أثناء تناول الحراسة لطعام الإفطار يتمكن مصطفى من دخول القصر خلسة ويتمكن من التسلل إلى الحجرة التي ترقد بها نهال ليفاجأ بسيدة عجوز قعيدة على كرسي متحرك أكل ملامحها المرض وبدلها الزمن. وبينما كانت نهال تقرأ القرآن وتبتهل إلى خالقها نادى عليها مصطفى بالنداء الذي كان يناديها به من عشرين عامًا بصوت هامس مندهش:

ملاك الأرض!

نهال تتوقف عن الابتهال وترفع نظرها نحو الصوت الهامس وهي تستعيذ بالله لتدقق في ملامح من يناديها لتقول بصوت واهن مرتعش: من أنت؟ وكيف وصلت إلى هنا؟ وماذا تريد؟

مصطفى وما زالت صدمة ما شاهده مرسومة على وجهه وهو يقول بصوت جمعت نبرته بين نغمات التعجب والدهشة: أنا مصطفى عفيفي. لا تخافي.

نهال تكرر الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ثم تُدقق النظر في وجهه وقد تبدل ملامح الفزع بملامح دهشة وتعجب وهي تقول بصوتها الواهن: سبحان الله الواحد القاهر الذي يحي ويميت. ما الذي جاء بك إلى هنا وماذا تريد؟

مصطفى بملامح مقهورة وصوت غلفه الرجاء: جئتك ربما تعرفي من الذي أدخلني السجن وهدم حياتي ودمر أبي وجعله يموت بالحسرة. الشك يراودني أنكِ تعلمي من فعل بي ذلك.

نهال وقد ترغرغرت عينيها بالدموع تقول بصوت محسور: لن يفيدك من فعل بك ذلك. رب ضرة نافعة. وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيراً لكم. اترك أمرك لله هو المنتقم الجبار.

مصطفى يركع على ركبتيه ويمسك يدها ويقبلها تذللاً وهو يقول بصوت استغاثة وملامحه تكاد تصرخ بما تحمله من إحساس بالظلم: أتوسل إليكِ اخبريني بما تعرفيه. استحلفك بكل ماهو غالي لديكِ أن تخبريني.

نهال بصوت نصح وملامح صافية: صدقني يا مصطفى. اترك أمرك إلى الله هو أرحم بعباده. بعد ما شاء الله أن يحدث وأصبحت قعيدة كنت أريد التخلص من حياتي، وكانت اللحظات تمر عليَّ وكأنها دهر، ولولا نور الإيمان الذي تعلق به قلبي لكنت قد فقدت الدنيا والآخرة. يا ولدي الحمد لله أن عقاب الله جاء لي في الدنيا حتى نتخلص من خطايانا.

مصطفى وقد تبدلت ملامح التذلل والاستغاثة بملامح قاتمة غاضبة ينهض ويمسك برقبتها ويقول بصوت حاد خشن: أنتِ تعرفي من فعل بي ذلك. سأقتلك لو لم تخبريني بما تعرفيه.

نهال بملامح استسلام وتعبيرات راضخة تقول بصوت مخنوق: أنا أتمنى الموت. اقتلني لو كان هذا يريحك.

مصطفى يترك رقبتها وهو يبكي بحرقة وألم قائلاً: أنتِ لن تشعري بما أشعر به. لقد سُجنت عشرين عامًا على جريمة لم ارتكبها لمجهول أراد تدمير حياتي وحياة أبي. كل دقيقة في السجن كنت أحاول معرفة هذا المجهول الذي فعل ذلك. كنت أحلم في كل يوم أنني سأخرج وسأنتقم منه.

نهال وملامح الإيمان تظلل وجهها تقول بصوت هداية اخترقت نغماته قلب مصطفى: أنا لا أعلم شيء عن الشخص الذي فعل بك ذلك وكل ما أردته أن أخفف عنك مصيبتك واهديك إلى الصواب. تجربتي قد تكون مختلفة عنك لكنها قد تفيدك وتمنحك الأمل في العودة إلى رضاء الخالق. أنت كنت حبيس السجن بسبب جريمة لم ترتكبها، وأنا كنت حبيسة الكرسي بسبب خطأ لم ارتكبه. وفي الحالتين القدر هو الذي كتب لنا

ذلك. تخيل لو لم أصبح قعيدة هل كنت سأتخلص من الشر الذي حملته نفسي لسنوات عديدة.

مصطفى يبكي بحرقة شديدة وقد تأثر بكلام نهال قائلاً: يا رب. ارحمني من هذا العذاب. يا رب اغفر لي وسامحني على ما ارتكبته من معاصي وعلى ما فعلته في حق الآخرين.. ثم ينحني ويمسك يدها ويقبلها ويقول: أرجوكي سامحيني على كل ما فعلته معكِ.

نهال ودموع الفرحة بهداية مصطفى ترغرغ عينيها تقول بصوت غلفه البهجة: إن الله يقبل التوبة يا ولدي مهما كانت الذنوب التي ارتكبها الإنسان في حقه. أنت لم تفعل معي شيء تتأسف عليه.

وما أن تكمل نهال كلامها حتى تسمع خادمتها وهي تتحدث في هاتفها المحمول فتقول بصوت استغاثة هامس: اسرع واخرج قبل أن تحضر الخادمة.

مصطفى يخرج كارته الخاص ويعطيه لها وهو يسرع بالخروج من النافذة قائلاً: أرجوكي اتصلي بي أنا أريد أن اطمئن عليكي.

نهال تأخذ منه الكارت وهي تقول: أن شاء الله سأفعل. اعتني بنفسك. اترك أمرك إلى الله. استعن بالله واستغفره. ستفوز بالدنيا والآخرة معاً.

مصطفى وهو يغادر الحجرة يبتسم لها ايتسامة صافية وبقلب عرف معنى الإيمان يقول بصوت مزجت نبرته بين نغمات الشكر والفرحة وطلب الغفران: إن شاء الله سأفعل. أشكرك. اتمنى أن اراكي على خير.

يغادر مصطفى القصر، وقد غسل قلبه من أذناب الشر بعدما رأى نور الإيمان في عيون نهال عاصم ليروي عروق الخير في نفسه بمغفرة صادقة وتوبة نصوح صادقة خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى لا رجعة فيها، ليعود إلى مسكنه وهو إنسان جديد كله أمل في الحصول على مرضاة الله وفعل الخير والتكفير عن الخطايا التي فعلها في حياته السابقة.

❑❑❑

بعد لقاء «كمال الجارحي» وهالة فريد استطاع الأول بسعة حيلته وعن طريق اتباعه الوصول إلى شريهان وتجنيدها لتكون عين على مصطفى، وحتى تحصل على الأسطوانة التي تحتوي على مشاهد إباحية لهالة فريد. وبالفعل وخلال أيام معدودة تتمكن شريهان من العثور على شريط الكاميرا الأصلي والأسطوانة التي تحتوي على مشاهد إباحية لهالة فريد، ومعها باقي الشرائط والأسطوانات التي تحتوي على مشاهد إباحية لكل من نهلة مشرقي وسلوى مجاهد ونهال عاصم.

النفس الأمارة بالسوء التي تعيش بداخل شريهان دفعتها إلى الاحتفاظ بتلك الشرائط والأسطوانات، وأوهمت «كمال الجارحي» وأعوانه أنها لم تتمكن من إيجادها في مسكن مصطفى أو المقهى بعدما أوحى لها تفكيرها الشيطاني أنها ستحصد ثروة كبيرة من وراء هذه الشرائط.

مصطفى الذي غسلت التوبة قلبه من كل الشرور والأحقاد توجه بعد عودته من لقاء نهال إلى الجامع الأزهر ليعتكف هناك باقي أيام شهر رمضان المبارك. وقد شاء القدر أن يتلازم محل اعتكافه بجوار محل اعتكاف أحد الأشخاص البسطاء الذي يُدعى صالح العابد من عباد الله

الصالحين الذين منحهم المولى عز وجل الشفافية الروحية لتنشأ بينهما قبول ومودة، ويستشف صالح منذ لقائه بمصطفى عن مدى ما يحمله من هموم وعذاب ضمير من خلال طهارة الدموع التي تنساب منه في كل صلاة وهو يتضرع إلى الله طالباً العفو والمغفرة. وفي اليوم الأخير من شهر رمضان كان مصطفى يجلس في مكانه بجوار صالح يقرأ سورة الزمر حتى أن قرأ الأية ٥٢ ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فيتوقف ويجهش في البكاء وهو يردد بصوت متضرع خاشع:

يا رب أنت أعلم بما فعلت من خطايا. يا رب عفوك ورضاك وغفرانك. يا رب اقبل توبتي وارحمني يا أرحم الراحمين.

صالح الشيخ الذي قارب عمره على الثمانين يقترب منه ويضع يده على كتفه وهو ينظره بنظرة شفافه وملامح صافية ليقول بصوت هامس:

يا ولدي أنا أرى فيك نور الإيمان ونقاء النفس بعدما تخلصت من دنس الخطايا. لقد قبل الله توبتك.

مصطفى ينظر إليه ودموع التوبة وطلب الغفران تسيل على وجنتيه وبملامح نادمة وصوت مزجت نبرته بين نغمات الحسرة والندم وطلب الخلاص يقول: لقد ارتكبت الكبائر والمعاصي وأنا في مقتبل عمري. ودخلت السجن ظلماً على جريمة لم ارتكبها بعدما مكر بي شخص لم استطع معرفته لأقضي هناك عشرون عامًا.

صالح يقول بعدما يتوقف مصطفى عن الحديث بعد فقده القدرة عن

الكلام من شدة الحسرة والبكاء: يا ولدي استعذ بالله من الشيطان الرجيم واحكي لي قصتك باستفاضة عسى أن أرشدك لما هو خير.

مصطفى بملامح حسرة وألم يروي قصته ويسرد علاقته بالتفصيل بكل من سلوى ونهلة وهالة ونهال وكريم الفرماوي، وعلاقة والده بكل من فريد النجار وتوفيق العاصي. ويحكي له ما حدث بينه وبين كل من هالة فريد ونهال عاصم بعد خروجه من السجن. ويروي له العلاقة التي أقامها مع محمد وشعوره تجاه شريهان.

صالح بعدما يستمع إلى قصة مصطفى بعيون فاحصة وآذان صاغية وعقل كاشف يظل صامتًا لعدة ثوان وملامح الحكمة تظلل وجهه الشائخ ليقول بعدها بصوت تنغمت نبرته بالوعظ والإرشاد: يا ولدي قصتك كل ألوانها قاتمة، والبعد عن ماضيك وتجنبه يجعلك تغتنم حاضرك ومستقبلك.

مصطفى بملامح بريئة ونفس راضية يقول بصوت شغف وهو يتفحص ما بداخل صالح: هل يمكن أن تدلني على من فعل معي ذلك. أنا فوضت أمري إلى الله في ظلمي وظلمتي ولن أحاول القصاص من أحد، والله خير منتقم لي.

صالح: من قصتك أعتقد وقد يكون اعتقادي خاطئ أن من كان يريد بك السوء شخصان؛ الأول هالة فريد التي تأذت مما فعلته معها أنت وصاحبك، والآخر هو زوج السيدة التائبة التي كانت ترتكب معك الفحشاء والذي كان يرتبط بوالدك بصداقة.. ثم يصمت للحظات يستكشف تأثير ما قاله على ملامح مصطفى ليقول: يا ولدي الذي فعل

معك ذلك بدون قصد خلصك من خطايا كثيرة فعلتها. هل تعلم عقاب ما فعلته في شبابك لقد كنت من المفسدين في الأرض الذي يستحق عقابهم كما جاء في قوله تعالى بسورة المائدة الآية ٣٣ ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؛ فقد اغتصبت فتاة بعدما أوقعتها تحت تأثير المخدر وهو يأخذ حكم الاغتصاب تحت تأثير السلاح.

مصطفى يبكي بكاء حرقة وملامح التوبة تتجسم في وجهه قائلاً وهو يرفع وجهه إلى السماء: يا رب أنا راضي بحكمك وأطمع في عفوك ورضاك.

صالح وهو ينظر إليه نظرة باسمة يقول بصوته الواهن الذي حملت نبرته القناعة والرضى بما هو مقسوم: يا ولدي. أنا شيخ كبير السن بلغت من العمر أرذله وقد تعلمت من الحياة بفضل الله الكثير. لقد عشت تجربة شبيهة بتجربتك منذ أكثر من أربعين عام وقد فعلت مثل ما تنوي فعله وتركت أمر من ظلمني إلى الله وتوبت توبة نصوح ومنذ ذلك الحين وقد منَّ عليَّ الرحمن براحة البال وطيب النفس. أنها بشرى الله لك.

وما أن يكمل صالح جملته حتى يُؤذن لصلاة الفجر بصوت خاشع جميل أنزل السكينة والطمأنينة على قلب مصطفى وأقر في وجدانه أن الله سبحانه وتعالى قد بعث إليه البشرى وقبل توبته النصوح الخالصة؛

فينهض و يتوجه ليتوضأ وهو يُسبح بحمد الله وفضله بكلمات من أعماق قلبه، ثم يصلي في جماعة بجوار الشيخ صالح.

وهكذا يتخلص مصطفى من وجه الشر التي ظل يسيطر على نفسه منذ نعومة أظافره ويقرر نسيان الماضي بما يحمله من أحقاد وخطايا، ويتأهب لتكريس وقته وماله في خدمة الخير ليكفر عن ذنوبه ويمحو خطاياه. وبعدما ينهي خلوته، ويودع الشيخ صالح بالشكر والدعاء له على أمل اللقاء في القريب العاجل، يعود إلى مسكنه في مصر الجديدة ليبدأ حياته الجديدة التي لا تحمل حقد ولا تريد انتقام.

❑❑❑

بعد عودة مصطفى إلى مسكنه لم يهدأ له بالًا حتى أحضر شرائط الفيديو والأسطوانات التي تحتوي على المشاهد الإباحية لكل من نهال وهالة وسلوى ليشعل فيهم النار وهو يجهل أن تلك الشرائط والأسطوانات قد تم نسخها ثم اتلافها بمعرفة شريهان. بعدها يتصل تليفونياً بمحمد ويدعوه إلى منزله ليتحدث معه في أمراً مهمًّا لا يحتمل التأخير. وبالفعل وفي الموعد المحدد يحضر محمد إلى مسكن مصطفى والشغف والفضول يملآن قلبه وعقله لمعرفة ما يدور بداخل مصطفى وأين كان يختفي خلال الأيام الماضية. وبعد كلمات الترحاب وتبادل السؤال عن الحال والأحوال يجلس الاثنان في حجرة الاستقبال وعيون محمد تلاحق وتفحص تعبيرات مصطفى الهادئة الصافية ليقول له بصوت تنغمت نبرته بالفضول:

أين كنت طوال تلك الأيام؟ لماذا لم تبلغ أحد بمكانك؟

مصطفى ينظر إليه نظرة باسمة ويقول بصوت كاشف: لقد تخلصت من كل أحقادي وشروري يا محمد وأريد أن أتأسف لك عما بدر مني في حقك.

محمد وقد ارتسمت على وجهه تعبيرات دهشة يقول بصوت تعجب: تتأسف عن ماذا؟!

مصطفى: في الأيام القليلة الماضية تغيرت وجهة حياتي والحمد لله الذي كشف لي الطريق الصحيح بعد سنوات طويلة قضيتها في طريق الضلالة.

محمد بصوت يتعجل معرفة ما يريده مصطفى يقول: أرجوك ادخل في الموضوع. تتأسف عن ماذا؟

مصطفى: لقد كنت أتقرب منك وأتودد إليك حتى أصل إلى طريق نهال عاصم لعلها ترشدني على من أدخلني السجن ودمر حياتي وحياة والدي.

محمد وقد تسلل إلى ملامحه الغضب يقول بصوت تحكمت في نبرته نغمات شغف معرفة ما يريده مصطفى: وماذا بعد؟

مصطفى: لقد استغليت وجودي معك يوم مقابلتك بطاقم الحراسة الجديد لقصر العاصي بالمقطم وأوهمتهم بأنني أعمل مع توفيق العاصي واستطعت التسلل إلى داخل القصر وتقابلت مع نهال عاصم.

محمد بصوت حدة: وما علاقة ما حدث لك بالسيدة نهال عاصم؟

مصطفى بعد بضع ثوان من التردد في الإفصاح عن العلاقة التي كانت بينه وبين نهال يقول بصوت متردد: لقد كان بين وبينها علاقة محرمة اللهم اغفر لي ولها، وكان عندي شكوك وهواجس من توقيت إصابتها بالشلل وتوقيت القبض عليَّ وتوهمت أنها ربما تعلم شيء قد يرشدني عن من أوقعني في فخ الجريمة.

محمد: ولماذا تخبرني بذلك الآن؟

مصطفى بملامح صافية صادقة يقول بصوت يقين وهو ينظر إليه نظرة تمني: لقد تعاطفت معي ووقفت بجانبي واعتبرتني صديق لك رغم الفارق الاجتماعي بيننا؛ أنا مجرم وأنت ضابط. هل أقابل المعروف بالإساءة. لقد أردت أن تكون صداقتي بك لوجه الله ليس بها أية شائبة. لقد تخلصت من كل شر كان يعيش بداخلي. أنا لا أريد معرفة من ألقى بي في السجن لقد نذرت مالي ووقتي حتى أكفر عن ذنوبي التي ارتكبتها في الماضي.

محمد وقد تبدلت ملامح الغضب التي كانت مرسومة على وجهه بملامح سرور بعدما تأثر بمشاعر مصطفى الصادقة يقول بصوت غلفه الود: سبحان الهادي الغفار. يسعدني يا مصطفى ما أسمعه منك.. ثم يصمت للحظات ليقول بصوت فضول: أين كنت خلال الأيام الماضية؟ وما هذا التغير الحميد الذي حدث لك؟

مصطفى وابتسامة الإيمان مرسومة على وجهه يروي له ما حدث له منذ مقابلته مع نهال حتى لقائه به وقد حجب اسم سلوى من الحديث، ومحمد ينصت له بشغف شديد حتى إن انتهى من روايته يسأله بصوت متعجب:

هذا الشيخ الذي يُدعى صالح كأنه ضابط مباحث متمرس. بالفعل سر اللغز لا يمكن أن يخرج عن نهال عاصم وهالة فريد.. ثم يقول بصوت يقين ونصح: كما أخبرك هذا الرجل الصالح ابتعد عن الماضي حتى تكسب مستقبلك.

مصطفى بعد نظرة قناعة ورضا يقول بصوت تمني وملامحه تفيض بالمحبة: الحمد لله لم يعد يشغل بالي أي شيء غير فعل الخير. سأكمل نصف ديني وأتزوج وأتمنى أن تكون شاهدًا على عقد القران.

محمد بملامح ترقب يقول: مبروك. ومن تكون العروس.

مصطفى: أنت تعرفها جيداً. شريهان التي تعمل معي في المقهى.

محمد بعد لحظات من الصمت يتساءل بملامح صماء وصوت جاف: هل تأكدت من مشاعر العروس وعرفت رأيها؟

مصطفى بصوت يقين وملامح السعادة والفرحة تكسو وجهه: شريهان تعتبرني كل شيء في حياتها؛ الأب والأخ والصديق. بكل تأكيد ولم تسعها الدنيا عندما أفصحت لها عن رغبتي في الزواج منها.

محمد وهو يتفحص ويتأمل ملامح مصطفى التي تفيض بالسعادة والسرور يقول: هل أنت واثق من مشاعرها تجاهك؟

مصطفى: أنت اليوم مدعو إلى وليمة كبيرة في بيت عمتي. سنعقد القران اليوم.

محمد: هل تعلم العروس بميعاد عقد القران؟

مصطفى: بكل تأكيد فقد اتفقنا منذ بضعة أسابيع على إتمام الزواج بعد نهاية شهر رمضان. وقد اتصلت بعمتي وتحدثت معها ومع شريهان بعدما اتصلت بك، وقد اتفقنا على عقد القران اليوم وسنسافر غداً بمشيئة الله إلى الإسكندرية لنقضي شهر العسل هناك. فقد رأينا أن نتمم الزفاف بدون فرح.

محمد وقد بدى عليه ملامح التوتر والارتباك يقول بصوت مضطرب: أنا في موقف لا أحسد عليه. ولا أعرف من أين وكيف أبدأ.

مصطفى وقد استشعر التوتر والارتباك على محمد يقول بصوت فضول وملامح تعجب: ماذا؟! هل حدث شيء؟

محمد بعد ثوان من الصمت الحائر يقول وهو يتجنب النظر إلى مصطفى: منذ فترة وأنا أريد التحدث معك في هذا الموضوع. شريهان لا تصلح للزواج. أنها تستغلك ولا تحبك.

مصطفى يقاطعه بصوت حدة وملامح غاضبة: لماذا تقول هذا الكلام؟

محمد: من فضلك اهدأ حتى تستطيع استيعاب ما أقوله؛ فقد كنت متردد في أن أكشف لك حقيقة تلك الفتاة لكن بعد ما قلته لي الآن لا أستطيع كتمان أمرها.

مصطفى بملامح تترقب لمعرفة الأمر يقول بصوت لهفة: هات ما عندك.

محمد بصوت أسف وملامح يعلوها الخجل يقص ما دار بينه وبين شريهان في المقهى وفي نادي الضباط. حتى إن انتهى من روايته عن

علاقته بشريهان ينظر في عيون مصطفى التي بدى عليها الانكسار والحزن قائلاً: أنا أعرف مدى شعورك لكني واثق أن قوة إيمانك التي استشعرتها لن تتزعزع والحمد لله أن أمرها انكشف لك قبل الزواج.

مصطفى ينهض ويضع المصلية ويصلي وهو يجهش بالبكاء في ركعتي الصلاة ثم يتضرع بعد انتهاء الصلاة إلى الله باكياً بالدعاء: « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس. أنت أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي.. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحل علي غضبك، أو أن ينزل بي سخطك. لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك «.

محمد وقد ترغرغت عيناه من شدة التأثر بالموقف يتوجه نحو مصطفى ويعانقه عناق حار قائلاً بصوت مواساة: عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيراً لكم. إن شاء الله ستجد الإنسانة المناسبة لك.

مصطفى بعد العناق يمسح دموع الصدمة ويستعيد ملامح الصفاء لينظر إليه نظرة هادئة ساكنة قائلاً: الحمد لله.

محمد: ماذا ستفعل معها؟

مصطفى: لا شيء. من فضلك أبلغها أنني عدلت عن الزواج. أنا سأسافر اليوم إلى الصعيد سأمكث عدة أيام عند الشيخ صالح. وأرجوك أعطي إلى عمتي الخطاب الذي سأكتبه لك.

محمد: لا تشغل بالك بهذا الموضوع. لكن اخبرني ماذا ستفعل في المقهى؟

مصطفى: سأعرضها للبيع وسأبحث عن وسيلة أخرى لكسب العيش.

محمد وابتسامة المحبة مرسومة على وجهه يقول بصوت تمني: أرجوك اعتني بنفسك وداوم الاتصال بي.

مصطفى يبادله ابتسامة المحبة قائلاً بصوت طمأنة: سأفعل. أشكرك يا محمد على كل ما فعلته معي.

محمد وهو يستعد للرحيل يقول: أنت من الآن أعز صديق لي يا مصطفى. و يا رب يديم ما بيننا من محبة.

وبعد وداع محمد على أمل اللقاء في القريب العاجل يجهز مصطفى حقيبة سفره ويتوجه إلى قرية العمرة التابع لمركز أبو تشتت بمحافظة قنا ليمكث هناك عدة أيام عند الشيخ صالح، ورغم الصدمة النفسية التي تلقاها بعد معرفته بحقيقة شريهان فلم تتأثر قوة إيمانه ولم تهبط عزيمته على فعل الخير بل أكسبته صلابة وزادته إصرارًا على مواصلة طريق التوبة والتكفير عن خطايا الماضي.

❑❑❑

في مساء تلك الليلة كانت شريهان وحكمت في انتظار حضور مصطفى ومعه المأذون ومع مرور الوقت فقد دب التوتر والقلق في قلب شريهان خاصة وأنها لم تتمكن من الاتصال بمصطفى لأنه اغلق تليفونه المحمول. وبينما كانت حكمت تداوم الاتصال بتليفون مصطفى المغلق وشريهان تتصل بالمقهى لتسأل عنه دق جرس المسكن فتهلع شريهان لتفتح فتفاجأ بمحمد أمامها يقول:

مساء الخير يا شريهان. اسمحي لي بالدخول فقد أرسلني مصطفى إليكِ.

شريهان بملامح تعجب تقول بصوت دهشة: مصطفى أرسلك إلى هنا. لماذا؟ ولماذا لم يحضر؟

حكمت بعدما تعكزت إلى باب المسكن وقلبها يملؤه الخوف والقلق على ابن أخيها بعدما سمعت ما قاله تقول بصوت مرتعش مضطرب: من أنت؟ وأين ابن أخي؟

محمد بملامح هادئة يقول بصوت طمأنة وهو ينظر إلى حكمت نظرة باسمة: لا تخافي يا حكمت هانم. مصطفى بخير. فقد اضطرته الظروف للسفر إلى الصعيد وقد حملني برسالة شفوية إلى شريهان ورسالة خطية لكِ.

حكمت وما زال شعور الخوف والقلق على ابن أخيها يسيطر عليها تصرخ قائلة: من أنت؟ ولماذا لم يتصل بنا مصطفى؟ ماذا حدث له؟ اليوم هو يوم زفافه؟ لماذا لم يأت؟

محمد: أنا الرائد محمد مجاهد المصري صديقه. اسمحي لي بالدخول وسأشرح لكِ بالتفصيل.

حكمت تمسك بيد شريهان وتقول: اتفضل بالدخول.

وبعدما يجلس الجميع في حجرة الاستقبال يتفقد محمد نظرات حكمت القلقة المضطربة ونظرات شريهان المترقبة وتعبيراتها الصماء الجافة يقول وهو يعطي خطاب مصطفى إلى حكمت: مصطفى سافر

وترك لك هذه الرسالة. بعدما تقرأيها اسمحي لي بأن أجلس مع شريهان خمس دقائق.

حكمت تأخذ الرسالة وتفتحها وترتدي نظارتها وتقرأ ما بها ثم تقول وقد هدأت ملامحها المتوترة المضطربة من الخوف لتقول بصوت فضول: هل أنت شقيق سلوى مجاهد خطيبة مصطفى السابقة.

محمد بابتسامة هادئة: نعم. هل أخبركي مصطفى في خطابه؟

حكمت: لا يا ولدي لكن التشابه في الاسم والشكل دفعني لهذا السؤال. أنا أشاهدها كثيراً في برامج التلفاز أنها حقاً سيدة محترمة.. ثم تنظر إلى شريهان وتقول بصوت أسف وهي تنهض متعكزة على عكازها: معلهش يا ابنتي مصطفى يطلب تأجيل الزواج. سأتركك مع الأستاذ محمد. عندما ينتهي من حديثه معكِ استدعيني.

شريهان وتعبيرات التوتر والقلق والغضب تسيطر على ملامحها تنتظر حتى تغادر حكمت الحجرة لتصرخ قائلة بصوت حدة ودموع الغل تندفع من عينيها: لقد أخبرتك أنه شخص مجنون غير متزن. لقد وافقت وأنا مضطره وبعدها يؤجل. أنت التي جعلتني أوافق على هذا الزواج.

محمد وهو ينظر إليها نظرة كاشفة يقول: لقد أخبرت مصطفى بما حدث بيننا.

شريهان تقاطعه بصوت حاد مندهش: ماذا؟! أخبرته بماذا؟

محمد: أنا لا أستطيع خداع الشخص الذي وثق بي.

شريهان بتعبيرات حاقدة وصوت غاضب: أنا وثقت بك ولم تحافظ على هذه الثقة. لماذا فعلت معي ذلك؟ لقد أحببتك وكنت على استعداد لفعل أي شيء يرضيك.

محمد بملامح استنكار وصوت تعجب: كيف تتخيلي أنني يمكن أن أوافق على خداع وغش الآخرين!

شريهان وتعبيرات الحقد والغل تسيطر على ملامحها تقول بصوت غلفه السخط: دائماً يتم التضحية بأمثالي حتى لو كانوا ضحية. يا محمد باشا يا ابن الحسب والنسب الخطأ ليس خطاءك لقد تعودت دائماً على قسوة وغلظة قلوب الناس وعلى تعاملهم معنا على أننا زرع شيطاني يجب بتره، ولم أتعظ وأسلمتك سري.

محمد بملامح جافة بعد نظرة كاشفة يقول: لا تخلطي الأمور وتُكيفي الروئ وفقاً لهواكي. راجعي نفسك ستجدي أنني فعلت الصح.

شريهان وقد تلاشت ملامح الحقد والغل من وجهها تنظر إليه نظرة مذلة ثم تجهش بالبكاء قائلة بصوت مخنوق من شدة الحسرة: لقد كان مصطفى طوق النجاة الذي كان سينتشلني من دوامة الفقر والضياع. كيف أعيش في هذا البيت بعدما انفضح أمري؟ أين أذهب وماذا أعمل؟

محمد وقد تعاطف مع ظروفها الإنسانية يقول بصوت طمأنة وهو ينظر إليها نظرة إحسان: لا تخافي يا شريهان. أنا سأكون بجوارك ولن أتركك. مصطفى لن يمانع في جلوسك مع حكمت هانم. أنتِ لا تعلمي

التحول الذي حدث في حياة مصطفى لقد أصبح شخصًا آخر لا يعرف قلبه غير الخير.

شريهان بعدما تجفف دموعها، وما زالت ملامح الذلة والمسكنة مطبوعة على وجهها، تقول بصوت استعطاف: أرجوك لا تتخلى عني.

محمد: اطمائني يا شريهان. سأقف بجوارك وسأساعدك في إيجاد عمل يؤمن لك حياة كريمة.

شريهان وقد تجسمت ملامح المسكنة المرسومة على وجهها تقول: أنت تعمل مع توفيق باشا العاصي ولو سألته أن يوظفني عنده فلن يرفض لك طلبًا.

محمد وقد استحسن طلب شريهان يقول: عندما يعود توفيق باشا من السفر غداً سأعرض عليه الأمر وأنا على ثقة أنه سيوظفك في مكان مناسب.

شريهان تمسك يده وتقبلها قائلة: أشكرك وأوعدك أنني لن أخذلك أبداً.

محمد ينزع يده ويقول بصوت استنكار: لا تفعلي ذلك مرة أخرى.. ثم ينظر إليها نظرة تأكيد ليقول: أرجو أن تتفهمي ما حدث. سأتصل بكِ لأخبرك بما تم بشأن عملك. لو تسمحي استدعي حكمت هانم حتى أودعها.

شريهان بمشاعر حملت كل ألوان الطيف وهي تُظهر تعبيرات المذلة والضعف على ملامحها تقول: أشكرك.

وبعدما يودع محمد حكمت يذهب إلى حال سبيله تظل شريهان طوال تلك الليلة تعيش مع أفكارها السوداء الحاقدة بعدما فقدت حلم الزواج من مصطفى الذي كان يعني لها التخلص من حياة الفقر والحرمان والخروج من دوامة التشرد وجهالة النسب.

❑❑❑

بعد عودة توفيق العاصي من المؤتمر والأجازة التي قضاها مع عائلته في أوربا أخبره «كمال الجارحي» بخروج مصطفى عفيفي من السجن وروى له تفاصيل ما حدث مع هالة فريد، وقد أصدر توفيق تعليماته بوضع مصطفى تحت المراقبة وتقديم تقرير مفصل عن تحركاته بصورة مستمرة حتى يرى ماذا سيفعل بشأنه، ومع اختفائه عن منزله والمقهى التي يمتلكها لم تتمكن عيون «كمال الجارحي» من ملاحقته. ويمر ما يقرب من خمسة أشهر بعد عودة توفيق من السفر استطاع محمد خلالها من التوسط لديه ليتم تعين شريهان في قصر المقطم لتشرف على رعاية نهال عاصم وتسطيع شريهان من كسب ثقة توفيق العاصي لتصبح عينه الساهرة على تصرفات نهال واتصالاتها، وتكسب حب وتعاطف نهال وتنتقل للعيش معها في نفس الفيلا.

الأسطوانات والشرائط التي سرقتها شريهان من مصطفى ظلت حبيسة دولابها تحاول فك لغزها والتوصل إلى صاحبة المشاهد الجنسية التي تحتويها تلك الشرائط ظناً منها أنها لفتاة واحدة؛ حيث لم تشاهد كل الشرائط وقت سرقتها من مسكن مصطفى. وبعد تكرار التفكير لحل لغز هذه الشرائط قررت مشاهدتها كلها عسى أن تتوصل إلى صاحبتها.

وبينما كانت تشاهد وتنصت باهتمام لتلك الشرائط شاهدت الشريط الخاص بنهال عاصم، وسمعت حديث بينها وبين مصطفى أفصح عن شخصيتها وشخصية توفيق العاصي. ويدفعها فضول الصدمة المذهلة التي أصابتها نحو باقي الشرائط تشاهدها بعيون فاحصة وآذان كاشفة لتصاب بنوع من هستريا عدم تصديق ما تراه وما تسمعه؛ فتكرر هذه المشاهد حتى تتأكد أن صاحبة هذه المشاهد هي الدكتورة سلوى مجاهد شقيقة محمد. ثم تفحص الشريط الأخير فتزداد ملامحها ذهولًا عندما تتأكد أن الشريط للسيدة نهلة مشرقي المذيعة المشهورة في إحدى القنوات الفضائية، والتي تقدم برامج التوك شو التي تعارض النظام وتكشف فساده. الصدمة المذهلة التي أصابت شريهان بعد مشاهدتها لهذه الشرائط جعلتها في حالة عدم استيعاب لما حدث تحاول التأكد من أن ما حدث ليس حلم أو تهيؤات طوال هذا اليوم الذي كان يوافق يوم احتفال الشرطة بعيدها قبل موعده بيومين. وبينما كانت شريهان تجلس أمام التلفاز تسبح مع أفكارها في كيفية التوصل للطريقة التي تستطيع بها استغلال تلك الشرائط والحصول على مغانمها بدون تعرضها لخطر مواجهة شرور أصحابها؛ خاصة توفيق العاصي الذي حتى الآن لم يكتشف أنها كانت على علاقة بمصطفى عفيفي أو أنها نفس الفتاة التي استخدمها عيون «كمال الجارحي» للتوصل إلى الشريط الذي يحتفظ به مصطفى لهالة فريد، حان موعد عرض برنامج هالة مشرقي وظهر رقم تليفون البرنامج الذي يستطيع المشاهد التحدث من خلاله على الهواء مع المذيعة فتداوم الاتصال بالرقم حتى يجيب وتتحدث مع هالة وتخبرها أنها لديها معلومات لا تستطيع إذاعتها على الهواء وتريد التحدث إليها

وبالفعل تستجيب هالة لطلبها وتتحدث معها بعد البرنامج وبعد إلحاح شديد تحدد معياد لمقابلتها لتتعرف وتفحص ما لديها. وفي الميعاد المحدد حضرت شريهان إلى منزل نهلة وفي نفسها أحلام خبيثة نحو التربح، وقد جهزت نسخة من الأسطوانة التي تحتوي على مشاهد إباحية لنهلة. وبعدما تستقبلها نهلة يجلس الاثنان في حجرة الاستقبال ويخيم الصمت لبضع ثوان تتبادل الاثنتان فيهما النظرات الفاحصة المترقبة حتى تقول نهلة بصوت فضول:

لقد أخبرتيني أن معك شيء يخصني ولم تفصحي عن ماهيته. ما هو هذا الشيء؟

شريهان تمعن النظر في ملامح نهلة، تقول بصوت مترقب وهي تعطيها الأسطوانة: اسمحي لي يا أستاذة أن تشاهدي هذه الأسطوانة ثم نتحدث فأنا لا أستطيع شرح ما بها أو تفسيره.

نهلة بملامح استنكار ونظرة تساؤلية تقول بصوت تعجب وهي تأخذ الأسطوانة: ما هذا؟ أشاهد ماذا؟ ماذا تريدي بالضبط يا أنسة. أسلوبك في الحديث يثير اشمئزازي.

شريهان بثبات انفعالي وهي تترقب رد فعل هالة تقول: أرجوكِ شاهدي هذه الأسطوانة وتماسكي ولا تنفعلي فهي تحتوي على ذكريات لكِ من عشرين عامًا.

نهلة بصوت تعجب وملامح ظللتها الريبة: ذكريات من عشرين عامًا. وأتماسك ولا أنفعل!.. ثم تتقدم نحو جهاز الكومبيوتر المحمول

لتشغل الأسطوانة وتصاب بحالة ذهول وفزع وهي تشاهد نفسها على فراش الخطيئة مع مصطفى عفيفي. ويظل صمت الذهول يتملكها لعدة ثوان بعدما تنتهي من المشاهدة حتى تقول بصوت مصدوم وملامح زائغة حائرة: الفتاة التي في هذه المشاهد ليست أنا. سأبلغ الشرطة لتقبض عليكِ.

شريهان وهي تحتفظ بثباتها الانفعالي تقول بملامح واثقة وصوت هادئ: لقد طلبت من حضرتك أن تهدئي ولا تنفعلي. لماذا تطلبي الشرطة لي؟ أنتِ صاحبة هذه المشاهد. لو تريدي تشويه صورتك أمام الرأي العام يا أستاذة أنا لا أريد.

نهلة وملامح الصدمة والذهول ما زالت متجسدة في ملامحها تقول بصوت تساؤل غُلت نبرته من شدة الصدمة: من أنتِ؟ وكيف حصلتي على هذه الأسطوانة؟ وماذا تريدي؟

شريهان: أنا فتاة أعمل عند زوجة توفيق العاصي القعيدة. اسمي شريهان. حصولي على تلك الأسطوانة كان بمحض الصدفة ولا يعرف أحد أن تلك الأسطوانة معي وقد أتلفت الشريط الأصلي الذي كان مصطفى عفيفي يحتفظ به. لا تخافي يا أستاذة لن يستطيع أحد النيل منكِ.

نهلة وقد زادت حدة تعبيراتها المصدومة الحائرة غير المصدقة لما شهدته في الأسطوانة تقول: تعملي عند توفيق العاصي، وتعرفي مصطفى عفيفي، وتأتي بأسطوانة مفبركة لا أعرف متى وأين وكيف ولماذا تم فبركتها. افصحي عنما تريدي بدون تجميل.

شريهان بعيون ماكرة تحلت بدموع البؤس والحرمان وتصنعت البراءة روت بصوت تظاهرت نبرته بالمذلة والمسكنة قصتها التي حزفت منها ما يفصح عن نفسيتها الشريرة منذ خروجها من دار الأيتام. وتختم روايتها وقد تجسمت تعبيرات الاستعطاف والرجاء وهي تقول: استحلفك بأولادك يا أستاذة أن تجعليني بجوارك. أنا أخشى أن يعلم أحد بأمر هذه الشرائط. أنا لا أقوى على مواجهة توفيق العاصي أو مصطفى عفيفي.

نهلة بصوت تساؤل متعجب: أنا لم يحدث بيني وبين مصطفى عفيفي شيء. كيف تم تصوير تلك المشاهد؟ هل هي مشاهد تم تركيبها بنظام الفوتوشوب؟!

شريهان بصوت يقين بعدما تذكرت ما تظهره الأسطوانة من مشاهد: يا أستاذة المشاهد التي تم تسجيلها لكِ أنتِ وفتاة أخرى اسمها هالة تم تسجيلها لكما تحت تأثير المخدرات. أما مشاهد السيدة نهال والدكتورة سلوى مجاهد فقد تم تسجيلها وهما في وعيهما.

نهلة وقد أصابتها إجابة شريهان بالغثيان بعدما أيقنت أن تلك المشاهد لها بالفعل تظل في حالة عدم اتزان لعدة ثوان غير مصدقة لما يحدث لها وعندما تستعيد توازنها تقول بصوت تساؤل منكسر: هل علم محمد بأمر الشريط الذي تم تسجيله لشقيقته؟ وماذا كان يريده هذا الشيطان من هذه الشرائط؟

شريهان: بالطبع لا. كل ما أعرفه أن مصطفى كان يستغل محمد مجاهد دون أن يخبره بمأربه ليصل إلى توفيق العاصي ليعرف من الذي دبر له الجريمة التي سُجن بسببها هو وصديقه كريم الفرماوي.

نهلة بعيونها المصدومة الحائرة المكسورة تقول: هل يمكن أن تحضري لي تلك الشرائط؟

شريهان وهي تنظر إليها نظرة استعطاف تقول بصوت يقين: بكل تأكيد يا أستاذة. أنا سأفعل أي شيء تأمري به مهما كان.. ثم تصمت للحظات لتقول: أنا أعلم أنكِ صاحبة قلب رحيم وعطوف. هل لي أن أطلب منكِ العمل في القناة التي تعملي بها.

نهلة بصوت تساؤل متعجب: ما العمل الذي يمكن أن تؤديه في القناة؟!

شريهان: أنا شكلي مقبول ويمكن أن أعمل مع حضرتك كمراسلة للبرنامج الذي تقدميه.

نهلة: هل سبق لكِ العمل في الإعلام؟!

شريهان بملامح ثقة وصوت تفاخر: في الجامعة كنت مسئولة عن النشاط الإعلامي باتحاد الطلاب واستضفت عددًا من كبار الشخصيات العامة في الندوات التي استضافتها الجامعة على مدار ثلاث سنوات.

نهلة بملامحها التي ما زالت تحمل تعبيراتها شعور الانكسار والصدمة تقول بصوت مكبوت وهي تنظر إلى شريهان نظرة تأملية صماء: غداً في الساعة ٩ صباحاً احضري لي أورقك (شهادة الجامعة، شهادة الميلاد) بمقر القناة وأنا سأُعزز طلبك عند رئيس مجلس الإدارة.

شريهان بعد نظرة تظاهرت بالعرفان طبعت على ملامحها تعبيرات التودد وطلب الثقة تقول بصوت غلفه الشكر وهي تستعد للرحيل: سأكون عند حضرتك في الميعاد. ربنا يقدرني على رد جميلك يا أستاذة.

نهلة بملامح إصرار تقول بصوت تأكيد: احضري معكِ باقي الشرائط. لا تنسي.

شريهان بعيون تظاهرت بالخنوع تقول بصوت خاضع: حاضر يا أستاذة. اسمحي لي بالانصراف.

نهلة تهز رأسها وهي تتفحص تعبيرات شريهان وملامحها الخادعة التي لم يظهر منها سوى البراءة والمسكنة لتقول وهي تصطحبها إلى باب المسكن: تشرفت بزيارتك يا شريهان. وأتمنى أن يظل ما حدث بيننا سر لا يعلمه أحد.

شريهان: حاضر يا أستاذة.

وبعد مغادرة شريهان لمنزل نهلة مشرقي تظل الأخيرة في حالة صدمة وذهول غير مصدقة لما حدث تُعيد مشاهدت الأسطوانة وتحلل كل حركة لها فيها وتنصت بدقة وشغف لكل كلمة لتتأكد من صحة ما أخبرتها به شريهان بأن هذه المشاهد تم تصويرها وهي تحت تأثير المخدر؛ فهي في كل المشاهد تنادي على كريم وتتحدث مع مصطفى على أنه هو. وبصورة تلقائية وبدون تردد تتصل نهلة بصديقتها الحميمة سلوى مجاهد وتخبرها بأنها تريد مقابلتها غداً عصراً في أمر لا يحتمل التأخير ولا يمكن مناقشته عبر الهاتف. وبعد نهاية المكالمة بعدما تواعد الصديقتان على اللقاء تظل نهلة طوال تلك الليلة تبحث في ذكريات الماضي وتحاول تذكر اليوم الذي حدث فيه هذه المأساة التي طفحت بعد عشرين عامًا لتهددها بتلويث وهدم حياتها وحياة عائلتها. ومع فشلها في إيجاد حل لمواجهة تلك المأساة لم تجد غير الانتظار لمعرفة من

تكون هذه الفتاة ومن ورائها وماذا تريد وما الذي ستسفر عنه الأيام القادمة.

❑❑❑

في الميعاد المتفق عليه حضرت شريهان إلى مقر القناة الفضائية التي تعمل بها نهلة مشرقي لتتقابل معها وتعطي لها الشرائط ثم تقدمها نهلة إلى رئيس مجلس الإدارة الذي أُعجب بمظهرها وطريقتها وأسلوبها في الحديث ليتم تعينها كمراسلة للقناة وتستلم عملها في نفس اليوم ويتم تأهيلها لترافق كاميرا القناة لنقل الأحداث المتوقع حدوثها في ميدان التحرير يوم ٢٥ يناير.

وفي الميعاد المتفق عليه بين نهلة مشرقي وسلوى مجاهد حضرت الأخيرة إلى منزل الأولى بصحبة ابنتها نهلة رفعت التي جلست مع صديقتها سمر حبيب ابنة نهلة مشرقي لتجلس والدتيهما معاً في حجرة مكتب نهلة مشرقي. وبعد السؤال عن الحال والأحوال تطلق سلوى سؤالها الفضولي الذي ظل بمخيلتها منذ أمس بملامح ترقب:

ما الذي حدث يا نهلة؟ اركي شاردة الذهن، متعكرة المزاج؟ هل الوضوع خطير لهذه الدرجة؟

نهلة وهي تتأوه من شدة ما تحمله من هموم تقول بصوت مقهور وملامح تنقبض من شدة الحزن والآسى: آه يا سلوى نحن في مشكلة كبرى بل كارثة لا أعرف كيف سنخرج منها.

سلوى بملامح فزع تقول بصوت تساؤول ملهوف: ماذا تقولي؟ كارثة! ماذا حدث؟

نهلة والدموع تجري على خديها تقول بصوت حسرة وألم: لقد جاءت إلى هنا بالأمس فتاة مسكينة تعمل في فيلا توفيق العاصي ترعى زوجته القعيدة نهال عاصم ومعها أسطوانة عليها مشاهد جنسية لي.. ثم تجهش بالبكاء وهي تقول بصوت مخنوق: لقد اوقعني كريم الفرماوي تحت تأثير المخدر لينال مني مصطفى عفيفي ويتم تصويرنا معاً.

سلوى وقد أصابها الذهول والصدمة تقول بصوت متعلثم من شدة هول المفأجاة: أنتِ ومصطفى عفيفي! مشاهد جنسية! ما الذي تقوليه. ما هذا العبث!

نهلة: لم أصدق ما شاهدته وظننتها مشاهد مفبركة ولكني في النهاية أيقنت أنها حقيقية.. الأدهى من ذلك أن هذا الشيطان منزوع القلب والضمير قام بتسجيل مشاهد لكِ ولنهال عاصم وهالة فريد وقد أحضرت هذه الفتاة كل الأسطوانات لي.

سلوى تصرخ من شدة هول ما سمعت وملامحها تكاد تنفطر ألماً قائلة بصوت مخنوق متحشرج: ما الذي تقوليه؟! مصطفى عفيفي! مشاهد جنسية لي أنا! أين هذه الأسطوانة؟

نهلة تخرج الأسطوانات من حقيبتها وتشغل الأسطوانة الخاصة بسلوى وتقول بصوت حسرة وخجل: يمكنك مشاهدتها.

سلوى بعيون زائغة وملامح تنقبض من شدة الصدمة وهول المفأجاة تشاهد نفسها وتتأكد من كلام سلوى لتظل صامتة لبضع ثوان بعدها ثم تمسك الأسطوانة وتهشمها وهي تصرخ قائلة: الله يلعنه في الدنيا. ويعذبه بنار جهنم في الأخرة. الله ينتقم منه شر انتقام.

نهلة تحضن سلوى وتطبطب على كتفيها لتهدئ من روعتها قائلة بصوت طمأنة: إهدائي أرجوكي. الشرائط الأصلية كما تدعي هذه الفتاة تم إتلافها ولم يعد لها وجود.

سلوى تجفف دموعها وتستعيد شيء من توازنها لتقول بصوت تساؤل حائر مذهول: ما علاقة هذه الفتاة بكل من مصطفى عفيفي وتوفيق العاصي. وكيف توصلت لهذه الشرائط وكيف أتلفتها؟ وما الذي يضمن أنها لا تحتفظ بنسخ منها؟

نهلة وقد حرك كلام سلوى مشاعر الشك والريبة في نفسها تجاه شريهان تقول: ليس هناك ما يضمن لي أنها لم تحتفظ بنسخ من هذه الأسطوانات. لكن لدي إحساس أنها لم تفعل ذلك.

سلوى تقول بصوت حاد وملامحها تستعجل الإجابة: ما علاقة هذه الفتاة بكل من مصطفى عفيفي وتوفيق العاصي. وكيف توصلت لهذه الشرائط وكيف أتلفتها؟

نهلة تقص عليها ما روته لها شريهان عن علاقتها بكل من مصطفى عفيفي وتوفيق العاصي وعلاقتها بمحمد شقيقها وكيف كان مصطفى يستغله ليصل إلى توفيق ويعرف منه من الذي دبر له الجريمة التي سُجن بسببها عشرون عامًا. وبعدما أنهت تلك الرواية التي استمعت إليها سلوى بكل شغف يخيم الصمت بينهما لعدة ثوان حتى تقول نهلة:

لقد ساعدتها لتحصل على وظيفة مراسلة للقناة وستكون تحت عيني وستكشف لنا الأيام صدقها من كذبها.

سلوى بملامح مكسورة راضخة لهذا الأمر: نحن لا نملك من أمرنا سوى أن ننتظر ما سيقذفه الماضي من مصائب. لقد قال لي محمد منذ فترة أنه يتقابل مع مصطفى ويعطف عليه بعدما خرج من السجن لأنه يشعر بالظلم الذي تعرض له هذا الشخص، ومتأكد بأن الجريمة التي قضى بسببها عشرين عامًا مسجونًا تم تلفيقها له. ورغم اعتراضي على هذه العلاقة فلم أبوح له بذلك.

نهلة بصوت حسرة ودموع ألم تقول: إن ما حدث أغرب من الخيال؛ هل تتخيلي ماذا لو انكشف أمر هذه الشرائط لتصل إلى أهلنا المشاهد؟ آه يا سلوى أنا أشعر أنني في كابوس مرعب.

سلوى بملامح تعجب تتساءل بصوت حائر: لماذا لم يفكر مصطفى خلال ما يقرب من تسعة أشهر بالاتصال بنا أو تهديدنا بهذه الشرائط ولماذا اختار هالة فريد لوحدها؟ لو كان يريد تهديد توفيق العاصي كان يمكنه أن يستغل الشريط الذي معه ليفعل ذلك. ما هذه الألغاز المعقدة. هل يمكن أن تفسري ما يحدث؟

نهلة: لا يوجد أمامنا إلا الانتظار والدعاء إلى الله بأن تصدق هذه الفتاة ولا يكون هناك نسخًا من هذه الأسطوانات مع أحد. بالمناسبة هل ستخرجي غداً في المظاهرات التي تتطالب بتحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية؟

سلوى بملامحها التي ما زالت الصدمة والذهول والانكسار تطبع عليها تقول بصوت انهزام يائس: هل تعتقدي أن هذه المظاهرات ستفيد في شيء؟

نهلة وقد سيطر الحماس على ملامحها تقول بصوت تحفيز: بالطبع ستغير المظاهرات من سياسة الحكومة. هل تعتقدي أن ما حدث في تونس لن يؤثر في إستراتيجية النظام الحاكم؟ بكل تأكيد سيحاول النظام الإصلاح من نفسه وسينظر إلى طبقة المهمشين التي أصبحت قنابل موقتة لابد من معالجة أمرها.

سلوى بملامح لامبالاة ونظرة منكسرة يائسة تقول: اعذريني يا نهلة. لم يعد لي طاقة على الحديث. سأترك نهلة مع سمر حتى يأتي أخوها ليأخذها الساعة ١١ مساءً.

نهلة وقد استشعرت الإرهاق الذهني والنفسي بداخل صديقتها تنظر إليها نظرة شفقة على حالها لتقول بصوت غلفة المواساة والطمأنة: لا تفكري فيما حدث. اتركي الأمر لله. لا تظهري هذا التوتر والقلق إلى رفعت أو الأولاد.

سلوى بصوت منهك وهي تستعد للرحيل: ونعمة بالله. لا تخافي عليَّ سأعود إلى المنزل وأخذ دواء مهدئ وأنام؛ فأنا بحاجة إلى الراحة.

نهلة تحتضنها بمشاعر حانية قائلة: سأحضر عندك غداً في الصباح قبل أن أذهب بصحبة عدد من الإعلاميين إلى ميدان التحرير لحضور المظاهرة.

سلوى وهي تبتسم لصديقتها ابتسامة دامعة تعبر عنما بداخلها تقول بصوت ما زالت نبرته مكبلة بالخوف: سأنتظرك. بلغي سلامي إلى سمر فأنا لن أستطيع التحدث معها الآن.

نهلة بصوت رهبة: هل تستطيعي قيادة السيارة وأنتِ في هذه الحالة. انتظري سأتي معكِ.

سلوى وهي تحتضن صديقتها تقول: لا. أنا أستطيع قيادة السيارة. سأتصل بكِ عندما أصل إلى المنزل وسأطمنك.

نهلة وهي تصطحبها إلى باب المنزل تقول: سأنتظر منكِ تليفون.

سلوى بعد عودتها إلى منزلها تظل طوال تلك الليلة تستعيد ذكريات الماضي وهي تعض أصابع الندم على الخطيئة التي ارتكبتها منذ أكثر من عشرين عامًا فتتضرع إلى الخالق في خشوع ومذلة أن يحفظها و يسترها ولا يفضحها.

❐❐❐

عيون «كمال الجارحي» لم تيأس من البحث والتحري عن مصطفى عفيفي وظلت خلال الأربعة أشهر الماضية تعسعس حتى اكتشفت العلاقة التي تربطه بمحمد مجاهد وبشريهان ليتم إبلاغ توفيق العاصي بهذه المعلومات، ويُستبعد محمد بقرار وزاري من العمل كقائد للحراسة المكلفة بتأمين توفيق العاصي وينقل إلى مديرية أمن أسيوط يوم الاحتفال بعيد الشرطة الذي وافق هذا العام يوم ٢٣ يناير.

شريهان كانت على موعد مع الشهرة من خلال نقلها لأحداث يوم ٢٥ يناير حيث استطاعت من خلال ملامحها الجميلة الخادعة وأسلوبها الحماسي من الاستحواذ على إعجاب المشاهدين وتعاطفهم؛ خاصة بعدما نُشرت لها في مواقع التواصل الاجتماعي صور الاعتداء الذي تم عليها، وإلصاق هذا الاعتداء بقوات الشرطة. الفيديوهات التي تم نشرها إلى

شريهان وتعليقاتها المناهضة والمثيرة للشغب والتظاهر ضد النظام تم استغلها من قبل أتباع توفيق العاصي ليتم الزج بها واعتقالها في صباح يوم ٢٨ يناير مع مجموعة من الشباب ضمن حملة اعتقالات كانت تهدف إلى حماية الأمن والنظام بالتحفظ على العناصر المثيرة للشغب تحت مسمى التظاهر السلمي الذي تم التخطيط له مسبقاً وأُطلق عليه «جمعة الغضب» لتظل رهن الاعتقال حتى يتم الإفراج عنها يوم ٦ فبراير ٢٠١١م بعدما تدخل الكثير من الشخصيات العامة لدى رئيس الوزراء «أحمد شفيق» ليتم إطلاق سراحها مع مجموعة من الشباب الذين أطلق عليهم مصطلحات لا تعبر تعبيراً صحيحاً عن مغزاها («نشطاء سياسيين»، «شباب الثورة»، «ناشطاء حقوقيين»).

الأحداث المتلاحقة التي شهدتها مصر بعد تخلي حسني مبارك عن الحكم تم استغلالها من قبل مجموعة من مرتزقة السياسة والانتهازيين الذين لم يكن لهم غاية سوى تحقيق أطماعهم ومأربهم الشخصية مهما كانت النتائج، ولم تجد شريهان فرصة أفضل لتركب على موجة الثورة وتصبح من شباب ائتلاف الثورة وشخصية من الشخصيات العامة وتنتقل من العمل كمراسلة في القناة التي تعمل بها نهلة مشرقي لتقوم بتقديم برنامج يومي على قناة فضائية أخرى.

محمد مجاهد ضابط الشرطة صاحب القيم والمثل والمبادئ الذي دافع باستبسال عن القسم الذي يعمل به يوم ٢٨ يناير وعرض حياته للخطر في سبيل ذلك قُدم للمحاكمة مع عدد من الضباط بتهمة قتل مثيري الشغب الذين تظاهروا معتدين بهدف حرق الأقسام وشل دورها وإيقاف

العمل بها لإحداث فراغ أمني متعمد، وقد أطلقت عليهم وسائل الإعلام والصحافة وشبكات التواصل الاجتماعي مصطلح أبعد ما يكون عن الحقيقة «متظاهرين سلميين». وقد أفردت عدد من القنوات الفضائية مساحة كبيرة من وقتها لتشن حملة إعلامية ضروس ضد الشرطة المصرية بصفة عامة وهؤلاء الضباط بصفة خاصة. محمد مجاهد كان له نصيب الأسد في هذه الافتراءات بعدما نشرت وسائل التواصل الاجتماعي لفيديو مفبرك لتُلصق به تهمة مقتل شاب أعزل يرفع يده و يكشف صدره أمام بوابة قسم الشرطة لينادي أحد مفبركي الفيديو باسم محمد مجاهد والكاميرا ترصده لحظة إطلاق النار من بندقية آلي.

توفيق العاصي داهية نظام مبارك ومهندس مخطط التوريث استطاع تهريب أمواله والرحيل مع زوجته الثانية وأولاده إلى أسبانيا بجوازت سفرهم الأسبانية ليترك نهال عاصم حرة طليقة بعد ما يقرب من واحد وعشرين عامًا عاشتها حبيسة الفيلا على كرسي متحرك لا تستطيع الخروج منها أو استضافة أحد فيها؛ وكانت حياتها هناك أشبه ما تكون بحياة الزعماء النازين الذين تم عزلهم عن العالم بعد الحرب العالمية الثانية لدواعي تتعلق بالأسرار الإستراتيجية الحربية.

مصطفى عفيفي بعد رحيله إلى قرية العمرة بمركز أبو تشتت بمحافظة قنا استطاع بمساعدة محمد من بيع المقهى والتبرع بنصف ثمنها لبناء جامع ومستشفى ومدرسة هناك، ومن خلال ملازمته للشيخ صالح العابد تفقه كثيراً في أمور الدين وأصبح من الزاهدين العابدين العاكفين. بعد معرفته بهروب توفيق العاصي مع عائلته وتركه لنهال وحيدة تواجه

مصير مادي وصحي صعب قرر العودة لمساندتها والوقوف بجانبها حتى تستقر أمورها المادية والاجتماعية.

سلوى مجاهد وصديقتها نهلة مشرقي مع مرور الأيام تلاشت مخاوفهم بشأن وجود نسخ أخرى من الأسطوانات مع شريهان أو مصطفى عفيفي؛ خاصة وأن الأولى فعلى الرغم مما حققته من حراك على المستوى المادي والاجتماعي فقد كانت تداهن نهلة مشرقي وتتقرب منها وتتودد إليها ولم يخطر على بال نهلة مدى خستها ونذالتها وما تحمله من نفسية مريضة معقدة. وخلال الفترة من ٢٨ يناير حتى تشكيل وزارة الدكتور عصام شرف الثانية في يوليو ٢٠١١م برزت على الساحة السياسية أسماء سلوى ونهلة بصفتهما من الأسماء البارزة في مجالي الاقتصاد والإعلام ليتم ترشيحهما لتولي حقيبتي التجارة الخارجية والإعلام.

هالة فريد بعد هروب توفيق العاصي و«كمال الجارحي» إلى خارج البلاد وعدم ظهور مصطفى عفيفي بدأت مخاوفهما تتلاشى بشأن الأسطوانة التي هددها بها وظنت باحتفاءه أنه ربما يكون قُتل في أحداث الشغب والاضطرابات التي شهدتها البلاد منذ اندلاع تظاهرات ٢٨ يناير. وخلال تلك الفترة أصبحت هالة فريد بحكم أنها زوجة ديفيد بولوك السكرتير الأول للسفارة الأمريكية وأحد أبرز المرشحين لتولي منصب السفير خلافاً للسفيرة آن باترسون من الشخصيات العامة لكونها بالإضافة لهذه الصفة فهي من أصل مصري وشاركت بدعم من زوجها في ندوات المجتمع المدني الداعم للديمقراطية وحقوق الإنسان والمواطنة.

❑❑❑

في صباح يوم ٢١ يوليو ٢٠١١م توجه مصطفى إلى المعادي بعد عودته للقاهرة ليتقابل مع نهال التي استقبلته بفيلاتها بترحاب ومودة شديدة وهي ترى نور المغفرة والإيمان والقناعة بقضاء الله يهمين على ملامحه، وبعد بضع دقائق من اللقاء تبادل خلالها الاثنان كلمات الثناء والشكر والعرفان بفضل الله عليهما يقول مصطفى بصوت خجل وملامح استحياء بعدما علم من خلال حديثه معها أن توفيق العاصي قد طلقها قبل مغادرته البلاد في شهر إبريل الماضي:

لقد حضرت إلى هنا من أجلك بعدما كنت قد قررت عدم العودة إلى القاهرة وأتمنى أن تلبي لي طلبي؟

نهال بملامح ترقب للمعرفة تقول: لماذا تركت القاهرة؟ وفي أي مكان تعيش؟

مصطفى: لقد ألتقيت بالشيخ صالح العابد الرجل الورع التقي الذي يحمل في قلبه الخير للناس، بعد لقائنا الذي كان بمثابة التحول الحقيقي في حياتي؛ حيث كنت قد اعتكفت في الجامع الأزهر وتأثرت به تأثراً شديداً وقررت أن أبيع المقهى التي كنت أمتلكها وأذهب للعيش بجواره في إحدى القرى التابعة لمركز أبو تشتت بمحافظة قنا. أرجوكِ لا تترددي في الذهاب معي.

نهال: بأي صفة تريدني أن أذهب معك يا مصطفى؟ أنا إمراة غريبة عنك مسنة وقعيدة وأحتاج إلى رعاية خاصة. اعتقد أنها لن تتوفر هناك حتى لو تغاضينا عن الصفة.

مصطفى: سنوفر لكِ الرعاية التي تحتاجينها. لا تشغلي بالك بذلك.. ثم يصمت للحظات ليقول بصوت تساءول وملامح فضول: هل يوجد من يرعاكِ هنا؟ أنتِ التي فتحتي لي باب المنزل!

نهال بصوت تعلقت به نبرة حسرة: بعدما تركتني شريهان المذيعة المشهورة التي تعمل في قناة حلم لم تحضر فتاة مثلها حتى الآن. أضف إلى ذلك أن الوضع تغير بعد الثورة ولم أستطع إيجاد فتاة تصلح للإقامة معي. لقد تأقلمت على هذا الوضع الجديد.

مصطفى وقد ارتسمت على ملامحه تعبيرات تعجب قائلاً بصوت فضول: هل عملت عندك مذيعة مشهورة؟!

نهال: شريهان منسي كانت تعمل عندي قبل أن تعمل مذيعة؛ أنها فتاة جامعية أحضرها توفيق لتعمل هنا. وخلال الشهور القليلة التي عملت فيها كانت تلبي لي كل طلباتي وأصبحت بمثابة الابنة لي، وما زالت على اتصال بي.

مصطفى بتعبيرات دهشة يقول: خادمة تصبح مذيعة! سبحان الله.. ثم يصمت للحظات ليقول بصوت رجاء وملامح تمني: أنا أعيش وحيداً وأتمنى أن أظل بجانبك. تعالي معي إلى قرية العمرة؛ هناك الحياة بسيطة وسهلة وغير معقدة مثل الحياة هنا في القاهرة.

نهال تتأمل ملامح الإصرار المطبوعة على وجهه وهو يلح في طلبه لتقول بعدها بصوت تساءول متعجب: لماذا هذا الإصرار على ذهابي معك؟

مصطفى: لو كانت الصفة هي المشكلة في وجودك معي نتزوج وبهذا لا يكون هناك مشكلة.

نهال تنظر إليه نظرة دهشة وملامح الشيخوخة والضعف تسيطران على وجهها تقول بصوتها الواهن: ما الذي تقوله؟! هل أنت في وعيك يا مصطفى؟!

مصطفى وما زالت ملامح الإصرار مطبوعة على وجهه يقول: نعم أنا في كامل وعيي. أنا لن أتركك تعيشي وحيدة.

نهال بابتسامة ساخرة تقول بأسلوب تعجب: تتزوج بامرأة مسنة قعيدة تكبرك بأكثر من عشرين عامًا؟!

مصطفى: بعد سبحانه وتعالى، أنتِ النفس البشرية التي لها الفضل فيما أنا عليه الآن. لقد أرشدتيني إلى طريق الهداية. أنا بحاجة إليكِ.

نهال وقد ذهبت عنها ابتسامتها الساخرة تقول بصوت يقين: إن الله يهدي من يشاء. أنا ليس لي فضل في ذلك. لا تجعل مشاعر العطف والشفقة والإحساس بالذنب تجاه ما حدث لي تسيطر على تفكيرك. أنا أخذت نصيبي من الدنيا، وأحمد الله وأشكر فضله على ما حدث لي. أنت ما زلت شاب ويمكنك أن تتزوج بإمراة شابة تسعدك وتنجب لك الذرية الصالحة.

مصطفى يستوقفه جملة «الإحساس بالذنب تجاه ما حدث لي» فيتساءل بملامح فضول قائلاً: هل لي دخل بالحادث الذي حدث لكِ في تركيا؟

نهال بصوتها الواهن الذي ارتعشت نبرته وهي تتفحص ملامح مصطفى التي تترقب إجابتها: لقد رحل الشخص الذي أدخلك السجن لمدة عشرين وأصابني بالشلل عقاباً لنا على خطيئتنا. لقد تركت أمري إلى الله والحمد لله على أنه أنزل السكينة والطمأنينة والإيمان في قلوبنا.

مصطفى بعد عدة ثوان من الصمت المذهل وقد استطاع التغلب على هول المفأجاة يقول متضرعاً: «حسبي الله ونعم الوكيل، اللهمّ أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها. اللهم انصرني على من ظلمني، وأرني به ثأري».. ثم ينظر إليها بعيناه المبللة بالدموع ليقول: هل تخبريني بما تعرفيه؟ لقد انتظرت أكثر من عشرين عامًا حتى أعرف الحقيقة.

نهال ودموع الشفقة تنساب على وجنتيها تفصح له عن السر الذي ظل حبيس نفسها طوال هذه السنوات الطويلة وتقص عليه بصوت ألم تفاصيل ما حدث منذ دخولها المستشفى في تركيا مروراً بجلسة المحاكمة التي نصبها توفيق العاصي بعد عودتهما إلى مصر والأحكام التي أطلقها على كل من جاء اسمه حتى ولو صدفة في الرواية التي كشفها له « كمال الجارحي» بعد وشاية هالة فريد.

مصطفى الذي أجهش بالبكاء عندما علم أن أبوه قد قُتل ولم ينتحر يرفع يده مردداً بالدعاء الذي كان يردده قبل حديث نهال ثم ينظر إليها نظرة حسرة وندم دامعة قائلاً بصوت غلفه الأسف: الحمد لله لقد كان عقاب الله لي شديدًا. لقد ارتكبت الكبائر والكثير من المعاصي، وأنا راضي بقضائه.

نهال بصوت نصح وهي تبتسم له ابتسامة حانية: لا تشغل بالك بي يا مصطفى. أنا تأقلمت على حياتي ومقتنعة وراضية بما قسمه الله لي. أنت أمامك المستقبل بإذن الله. تزوج بفتاة صغيرة وانجب ذرية صالحة. أنا اعتبرك مثل ابني الذي لم أنجبه.

مصطفى يمسك يدها ويقبلها قائلاً: أرجوكي اغفري لي كل ما سببته لكِ من متاعب. وأرجوكي اعتبريني كما قلتي ابنك الذي لم تنجبيه.

نهال تقبل رأسه بمشاعر أمومة حانية ثم تبتسم له ابتسامة ودودة قائلة: هل لي أن أطلب من ولدي أن يحضر لي علبة دواء من الطابق العلوي؛ فالعلبة الموجودة هنا فرغت، ولم أتذكر أن أطلب من الفتاة التي تعمل معي أن تحضر أخرى قبل ذهابها.

مصطفى ينهض قائلاً: أين أجده؟

نهال: في الحجرة الأولى على يمين السلم هناك حقيبة أدوية في الثلاجة الموجودة هناك احضرها.

مصطفى يصعد إلى هناك وأثناء إحضاره الدواء يتفاجأ بصورة شريهان فيعود إلى نهال وتعبيرات الصدمة والذهول والفضول تتملك منه ليقول لها بصوت مصدوم وهو يعطيها الدواء والصورة قائلاً بصوت تساءول حزين: هل شريهان التي تتحدثي عنها هي التي في هذه الصورة؟

نهال تنظر للصورة تتأملها ثم تقول بصوت تساءول متعجب وهي تتحسس ما بداخله من مشاعر: نعم. هل تعرفها؟!

مصطفى يتأوه وتعبيرات الصدمة تسيطر على ملامحه ثم يقول بصوت تعجب: إنها الفتاة التي كنت سأتزوجها واكتشفت أنها على علاقة محرمة مع صديقي، وكانت تريد الاستمرار في خداعي وخيانتي معه لولا أنه أفصح لي عن تلك العلاقة بعد علمه بنية الزواج منها. تصبح مذيعة مشهورة! ما أكثر الصدمات والمفاجأت التي تحدث لي منذ خروجي من السجن؟!

نهال بصوت مصدوم وتعبيرات غير مصدقة لما يقوله مصطفى: أنت وشريهان كنتما ستتزوجان!

مصطفى: نعم للأسف. لكن اخبريني كيف استطاعت شريهان العمل هنا معكِ؟

نهال بتعبيرات مصدومة وصوت واهن أجهدته كثرة ما واجهته من أحداث غير متوقعة: لقد توسط لها لدى توفيق قائد الحراسة المكلفة بتأمينه منذ بضعة أشهر.

مصطفى يجلس على الكرسي من شدة هول ما سمع ليقول بصوت تساءول ملهوف لمعرفة الرد: هل كان ذلك قبل رؤيتي لكِ أم بعدها؟

نهال بعد لحظات تسترجع خلالها متى استلمت شريهان العمل: كان ذلك بعد لقائي بك بعدة أيام.

مصطفى يبتسم ابتسامة ساخرة ويقول: شر البلية ما يضحك. سبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. هل تعرفي من هو قائد الحراسة الذي كان يعمل مع توفيق العاصي؟

نهال: الرائد / محمد المصري. هل تعرفه؟

مصطفى وما زالت ابتسامة السخرية مرسومة على وجهه يقول: أنه شقيق سلوى مجاهد خطيبتي السابقة. وهو نفس الشخص الذي راودته شريهان عن نفسه.

نهال تتأوه من شدة الصدمة ثم تقول بصوت تعجب: يا الله. ما هذه الأحداث الدرامية التي تحدث لك؟ سبحان الله. شريهان التي كنت أشعر أنها ملاك بريء تفعل ذلك! ما أكثر المصائب التي تُبتلى بها.

مصطفى بصوت لامبالاة وملامح راضخة: الحمد لله لقد وهبني الله قدرة على تحمل الصدمات والمفاجأت.. ثم يصمت للحظات فيقول متسائلاً: هل ما زالت تتصل بكِ؟

نهال: نعم. أنها تتصل بي تقريباً بصفة يومية، وقد طلبت مني منذ يومين أن أظهر معها في برنامجها في حلقة خاصة عن حياة توفيق العاصي.

مصطفى بصوت تحذير وملامح استنكار: احذري هذه الفتاة إن قلبها مليء بالشر.

نهال: لا تشغل بالك؛ فلم يعد عندي ما يطمع به الآخرون. اهتم بنفسك وداوم على ما أنت عليه من تسامح وقناعة بما قسمه الله لنا، وأتمنى أن تأتي إلي المرة القادمة بصحبة عروستك.

مصطفى يتوجه نحوها و يقبل رأسها و يديها ليقول بصوت ودود وهو ينظرها نظرة حانية وقد تأهب إلى الذهاب إلى حال سبيله: سأحضر إليكِ عندما أعود مرة أخرى إلى القاهرة.

نهال تودعه بدعاء صادق نابع من القلب ليغادر مصطفى الفيلا وهو يحمل في نفسه تساءول نحو صديقه محمد؛ فكيف ولماذا يتوسط لها لتعمل عند توفيق العاصي بعد كل ما فعلته معهما، ويدفعه الفضول والرغبة في عتاب صديقه إلى الاتصال به على هاتفه المحمول ليتفق الاثنان على اللقاء بمنزل حكمت مرزوق بعد صلاة المغرب حيث سيتوجه مصطفى ليطمئن عليها قبل عودته إلى قرية العمرة.

❑❑❑

وفي الموعد المحدد يحضر محمد إلى منزل حكمت ليستقبله مصطفى بترحاب ويجلس الاثنان يتبادلان السؤال عن الصحة والحال حتى استشعر محمد بأن هناك شيء في صدر مصطفى يريد البوح به فيسأله بملامح ترقب قائلاً: ماذا بك يا مصطفى؟ هل حدث شيء أحزنك؟

مصطفى وقد ارتسم على وجهه تعبيرات عاتبة يقول بصوت غلفه الحزن: لماذا توسط لدى توفيق العاصي لتحصل شريهان على عمل في فيلا نهال عاصم؟ ولماذا لم تخبرني؟

محمد وقد ارتسم على وجهه تعبيرات نادمة يقول بصوت حملت نبرته الأسف: لقد كنت خاطئ في هذا التصرف، ويعلم الله أنني تصرفت معها من منطلق الرحمة والإنسانية بعدما نظرت إليها نظرة شفقة.

مصطفى: لماذا لم تخبرني بما فعلته معها؟

محمد: لم يخطر في بالي أن هذا الموضوع سيثير اهتمامك من بعيد أو قريب.

مصطفى بصوت تعجب: لماذا إذاً تتأسف؟!

محمد: أتأسف على ما فعلته هذه الإنسانة الجحودة التي قابلت المعروف بالإساءة وتصرفت معي بحقد وكراهية، وكأني بيني وبينها ثأر قديم.

مصطفى: احكي لي ما حدث معها. كيف تصير شريهان من خادمة إلى مذيعة مشهورة؟!

محمد يقص عليه بصوت غلفه الغضب ما حدث مع شريهان في يوم لقائه بها عندما جاء إلى هنا ليخبرها أن الزواج لن يتم وكيف استطاعت خداعه بدموع المذلة والمسكنة ليتوسط إليها لتعمل لدى توفيق العاصي.. ثم يتوقف للحظات ينظر إليه نظرة آسى ليقول بصوت تساؤل متعجب: هل تتخيل من الذي توسط لها لتصبح مذيعة؟!

مصطفى: توفيق العاصي.

محمد وقد ازدادت حدة صوته غضباً: توفيق العاصي كان يكيد لي ولها بعدما اكتشف أننا على علاقة بك. نهلة مشرقي هي التي توسطت لها لتصبح مراسلة ثم مذيعة. أنت يا مصطفى منعزل عن الأحداث ولا تعرف ماذا فعلت التغيرات التي حدثت بعد ٢٥ يناير؟ لقد استطاعت شريهان بسبب هذه التغيرات من الانتقام من المجتمع بصفة عامة ومني بصفة خاصة؛ لقد كانت تتعمد تزيف الحقائق لتضليل عقول بسطاء الشعب المصري ضد جهاز الشرطة لقد وصل بها الأمر أنها تسببت في تقديمي لمحكمة الجنايات بتهمة قتل المتظاهرين بعدما ألهبت الرأي العام ضدي.

مصطفى وقد أفزعه هذا الكلام يقول بصوت حملت نبرته مزيج من نغمات الأسف والتساؤل والتعجب: سبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. هل اليوم هو يوم المفاجأت والصدمات؟! هالة المشرقي تتوسط لشريهان! كيف ذلك؟ أنت تحاكم أمام محكمة الجنايات! أين أنا من كل هذه الأحداث؟

محمد: حتى الآن لم أعرف السر الذي جمع بين نهلة مشرقي وشريهان وكيف استطاعت شريهان من الصعود إلى عالم الشهرة والأضواء بهذه السرعة.

مصطفى بصوت شغف وملامح قلقة: دعك من شريهان وأخبرني ما الذي حدث حتى تحاكم أمام محكمة الجنايات؟

محمد بصوت حزين وقد ارتسمت على ملامحه تعبيرات الآسى والشعور بالظلم: في يوم ٢٨ يناير كنت مكلفًا بحراسة قسم أول أسيوط حيث استطاع توفيق العاصي بنفوذه لدى الداخلية من نقلي بعدما رصدت عيونه أن هناك علاقة بيني وبينك وكذلك بينك وبين شريهان. في مساء هذا اليوم تظاهر أمام القسم أعداد ممن أُطلق عليهم متظاهرين كانوا يحملون جميع أنواع الأسلحة بجانب زجاجات المولوتوف الحارقة وعندما حاولوا اقتحام القسم تصدينا أنا والقوة المرافقة معي لهم وقد استطعت منعهم من حرق القسم واقتحامه. وفي الأيام التالية لهذا الحدث تم نشر فيديو مفبرك على مواقع التواصل الاجتماعي يظهر فيه شاب صغير غير واضح الملامح يقف رافع يده بعلامة النصر يسقط قتيلاً، ويأتي صوت الشخص الذي صور الفيديو يقول «انظر الرائد محمد مجاهد يطلق النار عليه».

مصطفى بصوت تعجب وملامح استنكار: وهل هذا يعتبر دليل يتم تقديمك بناء عليه إلى محكمة الجنايات؟!

محمد وقد تجسمت ملامح الحزن والأسى والشعور بالظلم على تعبيرات وجهه وهو يقول بصوت ألم: النيابة العامة تأثرت بالرأي العام وأحالتني للمحاكمة. آه يا مصطفى كم شعرت بإحساسك بعدما تم إحالتي إلى محكمة الجنايات؛ لقد شنت برامج التوك شو التي يقدمها مجموعة من الإعلاميين الذين لا يعرفون سوى المنفعة المادية، حملات شرسة ضدي وأطلقوا علي لقب «فرانكشتين الداخلية» والمؤسف أن شريهان كانت أشرس من هاجمني من هؤلاء الإعلاميين المرتزقة.

مصطفى بعيون غاضبة يتسأل: هل حاولت الاتصال بها لتتعرف لماذا تفعل معك ذلك؟

محمد بملامح حزينة يقول: لقد قامت بالاتصال بي قبل هذه الحملة الإعلامية الشرسة وساومتني على نفسي في مقابل أن تمنع عني الضرر، ولم أكن أتوقع أن تكون بهذه السفالة والانحطاط.

مصطفى: لابد أن تكشف إلى نهلة مشرقي عن الوجه الحقيقي لشريهان حتى تأخذ حذرها.

محمد ينظر إليه نظرة لامبالاة قائلاً: لقد كانت نهلة مشرقي محطة ارتكزت عليها شريهان في طريقها، ولم يعد لها قيمة بالنسبة إليها.

مصطفى: وماذا ستفعل في هذه التهمة الزور؟

محمد: لقد وكلت الأستاذ سليم مشرقي والد نهلة ليترافع عني في هذه القضية، وأنا راضي بقضاء الله سبحانه وتعالى مهما كان الحكم.

مصطفى بصوت أسف وملامح يملؤها التعاطف: إن شاء الله ستخرج من هذه الأزمة في القريب العاجل وسيظهر الله الحق.. ثم يصمت لحظات ليقص عليه تفاصيل لقائه بنهال عاصم واكتشافه للحقيقة التي ظلت حبيسة صدرها لما يقرب من واحد وعشرين عامًا.

محمد بعدما ينصت بشغف وانفعال وتعاطف لحديث مصطفى يقول بصوت مواساة: ما أكثر ما تعرضت له من ظلم يا مصطفى.

مصطفى: الحمد لله على كل شيء.. ثم يصمت للحظات ليقول بعدها: اعذرني يا محمد إذا كنت قد أسأت الظن بك؛ فالأحداث الغريبة التي حدثت ملأت قلبي بالشك.

محمد وعلى وجهه ابتسامة صافية يقول: لا عليك يا مصطفى. متى سترجع إلى قرية العمرة؟

مصطفى وهو يرد له الابتسامة الصافية يقول: سأسافر في فجر الغد. لقد عشقت الحياة في هذه القرية وقررت أن أعيش هناك بصورة دائمة. يا ليتك تأتي معي يا محمد لتريح أعصابك من جو التوتر والاضطرابات.

محمد وهو يستعد للرحيل يقول: سأفكر في الأمر يا مصطفى وسأتصل بك. سأتركك تستريح فأنت ستسافر في الفجر. اعتني بنفسك وادعو لي فأنا في حاجة إلى دعائك.

مصطفى: اجلس معي فنحن لم نجلس سوياً منذ فترة.

محمد: اعذرني يا مصطفى فبجانب أنك في حاجة إلى الراحة فاليوم عيد ميلاد نهلة ابنة شقيقتي وسأذهب إلى بيتها لأحضر حفلة عيد ميلادها.

مصطفى يصافح محمد ويحتضنه بمشاعر حنونة صافية قائلاً: بارك الله لك فيها. اعتني بنفسك يا محمد واطمئن فإن الله سيظهر الحق.

محمد: أراك على خير يا مصطفى. سأتصل بك. في رعاية الله.

وبعدما يغادر محمد إلى حال سبيله يظل مصطفى حتى مغادرته القاهرة في صراع نفسي بين رغبة الانتقام وبين قناعته بقضاء الله حتى يستقر في نفسه أن ما حدث له هو عقاب عما فعله في حق نهال ونهلة وسلوى. وهكذا يستطيع مصطفى أن يتخلص مما بداخله من شرور وتغسل روح التسامح والمحبة التي أنزلها الله في قلبه الرواسب النفسية الشريرة التي ظلت عالقة بنفسه.

❑❑❑

شريهان التي تسلقت إلى عالم الشهرة على الموجة الثورية الخادعة التي اجتاحت المجتمع المصري بصورة لم يشهدها التاريخ المعاصر من قبل، وحققت ثروة مادية كبيرة بعدما ترأست حركة من الحركات الثورية المُدعية التي تلقت أموالًا طائلة من جهات خارجية لتنفيذ أجندتها الخاصة، ظلت تحتفظ بالأسطوانات التي سرقتها خلسة من مصطفى عفيفي وتحتوي على المشاهد الإباحية ولم تأتِ فرصة استغلالها خلال سنتين من حيازتها لها.

في خلال تلك الفترة مرت مصر بأيام عصيبة لم تشهدها البلاد منذ عقود طويلة؛ حيث تعرضت مصر ومنطقة الشرق الأوسط (المنطقة العربية) إلى موجة من الحروب الاستعمارية في ثوبها الجديد الذي يُطلق

عليها مصطلح «حروب الجيل الرابع»[١] بهدف تفتيت المنطقة و إعادة تقسيمها من جديد بما يخدم مصالح تلك الدول بالضبط كما تم التخطيط له من خلال ما يطلق عليه «مشروع الشرق الأوسط الجديد»[٢].

هذه الأهداف الاستراتيجية الاستعمارية استخدمت بكل أسف الكثير من أبناء الوطن الذين تعاونوا مع هذا المخطط بعلم طمعاً في مكاسب مادية، أو بجهل وعدم دراية ظناً أنهم يعملون ذلك كعمل

---

(1) الحرب الجديدة حسب تعريف أول من أطلقها في محاضرة علنية وهو البروفيسور الأمريكي «ماكس مايورايننگ» في معهد الأمن القومي الإسرائيلي حيث عرفها بنقاط مختصرة كالآتي: الحرب بالإكراه، إفشال الدولة، زعزعة استقرار الدولة ثم فرض واقع جديد يراعي المصالح الأمريكية.

(2) الشرق الأوسط، هو مفهوم جيوسياسي ينطلق من وجود مركز لهذا الكون وهذا المركز هو أوروبا مهد الحركة الاستعمارية في العصر الحديث. ولأن مفهوم الشرق الأوسط هو بطبيعته جيوسياسي، مرتبط باستراتيجيات الدول الاستعمارية في المنطقة، فإن حدوده غير ثابتة، وخاضعة لاستراتيجية الدول العظمى ذات العلاقة في مرحلة تاريخية محددة. ولذلك فإن حدوده قابلة للانكماش والتمدد تبعا لتلك الإستراتيجيات. والواقع أن الإشارة إلى الشرق الأوسط كمنطقة جيوسياسية، وليس كنظام إقليمي، قد برزت أول مرة بحدة خلال الحرب العالمية الأولى، أثناء الحديث بين المنتصرين عن تقاسم تركة السلطنة التركية. وكان اتفاق سايكس بيكو بين بريطانيا وفرنسا، ووعد بلفور عام 1917، الذي قضى بجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود، ووضع الأردن والعراق تحت الوصاية البريطانية، والاحتلال الفرنسي لسوريا، وجملة أخرى من الترتيبات العسكرية والأمنية في المنطقة بين المنتصرين في الحرب هي المفردات الأولية لقيام نظام شرق أوسطي بالمستقبل. وخلال الفترة من نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى تسعينيات القرن العشرين كان النظام العالمي يحول دون إعادة هيكلة المنطقة وتنفيذ ذلك المخطط لوجود قوتين عظمتين كانت إحدهما تستقطب معظم دول المنطقة العربية " الاتحاد السوفيتي " ومع انهياره بدأت الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية في إعادة تنفيذ هذا المخطط وفقاً لإستراتيجياتها الجديدة.

وطني، أو طمعاً في تنفيذ إيديولوجية خاصة لا تأخذ بعين الاعتبار مفهوم الوطن.

ومن أجل إحداث الفوضى الخلاقة التي ستعيد تشكيل النظام الحاكم بما يخدم هذا المخطط فقد استقطبت هذه القوى الشيطانية الفرقاء السياسيين والإيديولوجيات المتضادة، واستخدمت معهم سياسة التطميع والتعشيم بالسلطة. وقد استثمرت هذه الفصائل في هذا الصراع جهل وفقر المواطن المصري البسيط، واستغلت الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي خلفها نظام فاشل لم يراع إشباع حاجات الإنسان البسيط وفشل في تحقيق الحد الأدنى من العدالة الاجتماعية.

وقد انتهت أول جولات الصراع في مسلسل الأخوة المواطنين الأعداء بوصول جماعة الأخوان إلى سدة الحكم في مصر بعدما سلموا ووقعوا مع حلفائهم من القوى الاستعمارية الغربية وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية صك قبول العبودية والتبعية والإذعان لتنفيذ ما يوكل إليهم لتحقيق مصالح تلك القوى. وقد استمر الصراع على السلطة مستمر من خلال رفض باقي القوى الطامعة في السلطة من امتلاك الإخوان لزمام الأمور ليتم استمرار استغلال فقر وعوز وجهل المواطن المصري في هذا الصراع.

ومن خلال الغباء السياسي، وعدم الدراية بأمور الدولة وشئون الحكم، بجانب الحرب الشرسة التي أطلقتها وسائل الإعلام الخاصة بعدما شعرت أن وصول الأخوان للحكم سيمثل تهديد لمصالح من يقف وراء هذا الإعلام، فقدت جماعة الأخوان وفصائل تيار الإسلام السياسي

شعبيتها التي استطاعت استقطابها بصورة أو بأخرى بعد سقوط نظام مبارك.

وخلال هذا الصراع الفكري والإيدلوجي وتعارض المصالح وقفت كل من سلوى مجاهد ونهلة مشرقي في الجبهة التي أطلقوا عليها مصطلح «جبهة الإنقاذ الوطني»، والتي استطاعت استقطاب الغالبية العظمى من طبقة المثقفين. بينما وقفت شريهان في الجبهة الأخرى التي أطلقت على نفسها اسم «جبهة الضمير الوطني»، والتي استقطبت أعدادًا كبيرة من مرتزقة السياسة وأصحاب المصالح المرتبطة بوجود الإخوان في الحكم.

هذا الصراع السياسي الذي دار بين فصائل تيار الإسلام السياسي ومناصريهم ومن يراهنون عليهم ويرتزقون من بقائهم في السلطة، وفصائل التيار المدني ومناصريهم وأصحاب المصالح التي ترى أن وجود الإخوان في الحكم يمثل تهديدًا لهم، استخدمت فيه كل الطرق المشروعة وغير المشروعة التي لم تراع لا دين ولا أخلاق.

وفي هذا السياق جاءت فرصة شريهان نحو المتاجرة بالأسطوانات التي في حوزتها، والتي سيستطيع الإخوان ومن يناصرهم من تشويه صورة نشطاء جبهة الإنقاذ الوطني وتلويث سمعتهم حتى يستقر في وجدان المواطن البسيط أن أعضاء هذه الجبهة من الليبراليين الذين يناهضون الحكم الإسلامي في مصر هم من العصاة والمارقين الذين يريدون تحريم الحلال وإباحة الحرام والسعي في الأرض فساداً.

□□□

الفصل الثالث

موعد مع شيطان

في يوم الأحد ٢٣ يونيو عام ٢٠١٣م كانت شريهان على موعد مع عامر أبو حيلة أحد مؤسسي جبهة الضمير، والذي لا ينتمي إلى إي تيار أو فصيل سياسي، ومثل كثير من الذين توهموا أن وجود الأخوان فرصة لن تتكرر لمثله، وكان يعتقد أنه سيتسلق متملقاً على حكمهم ليسترزق وستحوز منهم المال والسلطة اسلم عنان فكره ومشاعره وأحاسيسه لدعم السياسية الإخوانية بكل الوسائل والطرق. وفي الموعد المحدد تقابل الاثنان بمقر مكتب جماعة الإرشاد بالمقطم في حضور الدكتور وائل الخذندار أحد قيادات جماعة الأخوان المسلمين المسئول عن الاتصال بجبهة الضمير والجماعات والأشخاص الداعمة للجماعة للوصول إلى اتفاق نهائي حول القيمة المادية التي سيتم دفعها نظير الأسطوانات التي تحمل مشاهد إباحية لكل من سلوى مجاهد ونهلة مشرقي العضوتان البارزتان في الجبهة الوطنية للتغيير، وأيضاً مشاهد لزوجة السكرتير الأول للسفارة الأمريكية هالة فريد حيث كانت سياسية ديفيد بولوك تقف في صف التيار الليبرالي الداعم للدكتور محمد البرادعي وتناهض

وجود تيار الإسلام السياسي في الحكم.. وبعيون لا تعرف سوى المادة ولا يستقيم معها دين أو أخلاق تحدثت شريهان إلى كل من عامر أبو حيلة والدكتور وائل الخزندار بصوت غلفه الانتهازية والوصولية قائلة:

العرض الذي قدمتموه بشأن إدارتي للقناة الجديدة التي سيتم إنشائها اعتقد أنه غير مناسب لي. أنا لا أريد أن أُظهر انتمائي للجماعة بصورة صريحة.

الدكتور وائل الخزندار يبتسم لها ابتسامة هادئة ناعمة قائلاً: نحن دائماً نقف بجوار من يدعمنا ونعتبره واحد مننا. الذي تجديه صالح لكِ نحن نوافق عليه.. ثم ينظر إلى عامر أبو حيلة قائلاً: طلبات الأستاذة شريهان كلها مجابة بإذن الله. وأرجو أن تعرض كل ما لديها ونحن لن نبخل عليها بشيء.

عامر أبو حيلة موجهاً حديثه إلى شريهان يقول: قبل أن نعرف المبلغ المطلوب في الإسطونات التي تحمل المشاهد الإباحية لهؤلاء النسوة الفاجرات اللاتي تشارك في المطالبة بإسقاط الشرعية عن الرئيس المنتخب. هل لنا أن نعرف كيف تحصلتي على هذه الأسطوانات؟

شريهان بملامح صماء وتعبيرات صلبة تقول: أنا لم أحضر إلى هنا ليتم التحقيق معي. مسألة كيف ومتى وأين حصلت على هذه الأسطوانات ليس لها موقع من الإعراب في حديثنا. أنا أعرض عليكم السلاح الذي يمكنكم عن طريقه ضرب خصومكم في مقتل. الكلام هنا يكون عن العرض الذي ستقدموه لي مقابل الحصول على هذه الأسطوانات.

وائل الخزندار وقد استوعب ما بداخل شريهان يقول بصوت قبول: كلامك منطقي يا أستاذة ونحن لن نختلف. لكن اسمحي لي قبل أن نتكلم في أي مقايضة أن نرى هذه الأسطوانات؟

شريهان بعيون لا تعرف الخجل تقول وهي تمد يدها له بهاتفها المحمول: لقد حملت أجزاء من هذه المشاهد على هاتفي المحمول لو تريد مشاهدتها ليس عندي مانع.

وائل يمسك الهاتف المحمول ويشاهد ما عليه من مشاهد إباحية بعيون فاحصة كاشفة ليقول بعدها بصوت ترقب: طلباتك يا أستاذة.

شريهان: مليون دولار وقرار بتكليفي كمستشارة ثقافية بإحدى السفارات المصرية في دول غرب أوربا.

وائل الخازندار وهو يتأمل ملامح شريهان الصلبة يقول: لقد رصدنا مبلغ مليون جنيه في مقابل تلك الأسطوانات. أما فيما يتعلق بقرار التعيين في وظيفة كهذه هو من خارج اختصاصي، ولن استطيع اتخاذ أي قرار بشأنه.

عامر أبو حيلة موجهاً كلامه إلى شريهان: اعتقد أن المبلغ الذي تطلبيه مغال فيه.

شريهان بصوت يقين وملامح واثقة تقول: اعتقد أن أصحاب المصلحة في عدم عرض تلك الأسطوانات على الرأي العام يمكنهم دفع أكثر مما أطلب بكثير؛ لكن تكليفي بوظيفة بالسلك الدبلوماسي سترجح كفتكم. أنا في انتظار الرد فيما يتعلق بكلا الطلبين؛ المال والوظيفة.

وائل الخزندار بابتسامة ناعمة يقول: سأعرض الأمر وسأرد عليكِ في أقرب وقت. تشرفت بلقائك يا أستاذة.

شريهان وقد تأهبت للرحيل ترد له الابتسامة قائلة: أرجو أن يكون الرد سريع؛ فأنت تعلم أن هناك تظاهرات يوم ٣٠ يونيو القادم ومن الأفضل أن يتم نشر هذه الأسطوانات قبلها بعدة أيام.

عامر أبو حيلة بعدما ينهض استعداداً للرحيل يقول موجهاً كلامه إلى وائل: هذا كلام صحيح. لابد من كشف هؤلاء المدعين للرأي العام قبل هذا اليوم.

وائل الخازندار يصطحب ضيفاه وهما يغادران وما زالت الابتسامة الناعمة مرسومة على وجهه حتى أن وصل إلى باب القاعة يقول: إن شاء الله سأعرض الأمر على مجلس شورى الجماعة اليوم وسأتصل بكِ يا أستاذة. تشرفت بلقائكما.

تغادر شريهان مقر مكتب جماعة الإرشاد بصحبة عامر أبو حيلة الذي ظل حتى افترق عنها يتحدث معها عن الفوائد العامة والخاصة التي ستعود عليها من الوقوف بجانب شرعية الرئيس والاصطفاف مع جماعة الإخوان المسلمين التي تساندها غالبية القوى العالمية والإقليمية وتدعم بقائها في الحكم. وخلال اليومين التاليين لهذا اللقاء تظل شريهان تتخيل الفروض والاحتمالات المتوقع حدوثها وتضع لها أفضل السيناريوهات التي تحقق لها أفضل المكاسب. وفي هذا السياق تؤهل نفسها لطرح مقايضة تلك الأسطوانات مع هالة فريد، والتخطيط لمغادرة البلاد في حالة حدوث هذا الاحتمال خاصة وأن الصفقة التي تخطط لها في سياق

هذا السيناريو بجانب المقابل المادي الكبير سيكون دعم ديفيد بولوك في الحصول على تأشيرة الإقامة الدائمة في الولايات المتحدة الأمريكية.

❑❑❑

ويمر ثلاثة أيام منذ لقائها مع وائل الخازندار ولم يتصل بها أحد من مكتب الإرشاد لتبدأ شريهان في اتخاذ الخطوات التنفيذية نحو مقايضة هذه الأسطوانات مع هالة فريد وبالفعل تتصل بها وتتفق معها على اللقاء مساء نفس اليوم بمقر إقامتها في الفيلا المخصصة لسكن السكرتير الأول. وفي الموعد المحدد للقاء تحضر شريهان لتستقبلها هالة بترحاب واهتمام ويجلس الاثنتان في حديقة الفيلا. وبعد تبادل كلمات الثناء والإعجاب والمجاملة تقول هالة بصوت ترقب وملامح فضول:

ماذا أستطيع أن أفعله لكِ؟

شريهان بملامح ناعمة وصوت غلفه التشويق تقول: اعذريني يا هانم فربما يتضمن كلامي ما يعكر أعصابك. فأرجوكي حافظي على هدوئك.

هالة وقد احتدت شدة ملامحها فضولًا وهي تقول بصوت غلفه القلق: كلامك أقلقني. ما الذي تريدي قوله؟

شريهان: معي شيء يخصك وهناك من يريد حيازته ونشره على العامة ليضر بزوجك.

هالة وقد فطن إلى ذهنها الأسطوانة التي في حوزة مصطفى عفيفي تقول بملامح توتر وصوت به حدة: أنتِ من طرف مصطفى عفيفي؟

شريهان بعد نظرة تأملية ثاقبة تقول بصوت ثابت هادئ: لا يا سيدتي. لكنني كنت خطيبته. الشيء الذي أتحدث عنه لم يعد في حيازة مصطفى.

هالة وقد علت ملامحها تعبيرات غضب وتوتر تقول: من الواضح أنكِ جئتِ بهدف الابتزاز.

شريهان وهي تحتفظ بثباتها الانفعالي والنفسي تقول: اعتقد أنكِ تقابلتي مع مصطفى قبل أن أحصل على الأسطوانات التي كان يحتفظ بها.

هالة: افصحي عما تريدي بدون مقدمات.

شريهان: مكتب الإرشاد يريد حيازة تلك الأسطوانات وأنا أرى أنكِ أحق بها في مقابل تقديرك لقيمتها.

هالة بصوت حدة: ماذا تريدي في مقابل هذه الأسطوانة؟

شريهان: أنها مجموعة من الأسطوانات وليست أسطوانة واحدة؛ بكل تأكيد أنتِ تعرفي كل من سلوى مجاهد ونهلة مشرقي ونهال عاصم.

هالة بنظرة حادة وملامح يعلوها التساؤل والتعجب تقول: هل هناك أسطوانات لهن معكِ؟!

شريهان بعدما تتفحص نظرتها تقول: نعم وليس لدي ما يمنع من إعطائها لكِ جميعاً.

هالة وقد ذهبت عنها حدة ملامحها تقول: من يعرف أن هذه الأسطوانات في حوزتك، وما الذي كان سيفعله بها؟

شريهان تبتسم لها ابتسامة صماء قائلة: يا هانم أنتِ زوجة القائم بأعمال السفير الأمريكي بعد رحيل السفيرة آن باترسون، ومن المعروف عن زوجك عداؤه المعلن لجماعة الإخوان المسلمين ورفضه لوصول التيار الإسلامي للحكم هذا كله بجانب دعمه لصديقه الدكتور محمد البرادعي والتيار الليبرالي؛ ومن الطبيعي أن يحاول أنصار هذا التيار أن يأتوا بسفير يكون جيد التوصيل بينهم وبين البيت الأبيض وواضعي الاستراتيجيات الأمريكية في المنطقة.

هالة بملامح اقتناع وتعبيرات قبول تقول بصوت تساؤل: لكن من الذي يضمن لي أنكِ لن تعطيها لطرف آخر؟

شريهان: يا هانم أكبر ضمانة على اتفاقي معكِ هو وعدي لكِ بجانب أنني سألجأ للولايات المتحدة بمساعدة زوجك.

هالة بملامح ساخرة تقول بصوت تعجب: وعدك لي! شيء جميل. لكن الشيء الأكثر جمالاً هو إيجاد ضمانة فعلية.

شريهان: ما الضمانة التي تريديها يا سيدتي؟

هالة: سأعطيكي ما تريدي من أموال وسأساعدك في الحصول على الإقامة الدائمة بالولايات المتحدة في مقابل حصولنا على الشرائط وعلى اعتراف منكِ أنكِ أخذتي منا مقابل مادي بعد تهديدنا بهذه الأسطوانات.

شريهان بملامح اقتناع ونظرة قبول تقول: مبدئياً أنا أوافق على هذا الشرط. جهزي مبلغ ٢ مليون دولار وفيزا إقامة دائمة

للولايات المتحدة على جواز سفري وأنا سأوقع لكما ما تريديه من ضمانات.

هالة: سأعرض الموضوع برمته على ديفيد وسأتصل بكِ لأخبرك بما تم.

شريهان تخرج أسطوانة من حقيبة يدها وتعطيها إلى هالة قائلة: هذه نسخة من الأسطوانة التي تخصك أعرضيها على زوجك وأخبريه بعرضي وأنا واثقة من أن الصفقة ستكون مربحة للجانب الأمريكي بصفة عامة ولكما أنتما الاثنان بصفة خاصة.

هالة بنظرة صماء أخفت مشاعر البغض والنفور تقول: سأفعل. سأتصل بكِ على نفس رقم التليفون التي اتصلتِ بي منه.

شريهان وهي تستعد للرحيل تقول: سأنتظر تليفونك غداً أو على الأكثر بعد غد. تشرفت بلقائك.

هالة: سأفعل.

وبعدما تذهب شريهان إلى حال سبيلها تظل هالة تفكر وتدقق في كل ما سمعته، ويستقر في وجدانها فكرة استثمار تلك الأسطوانات في الصراع الدائر بين جماعة الإخوان المدعومة من صناع القرار في الولايات المتحدة والتيار المدني بمختلف توجهاته الفكرية؛ لتعرض ما حدث على زوجها الذي استحسن فكرتها وأيدها ليتم مقايضة تلك الأسطوانات مع شريهان فتحصل على ما أرادت من مال بجانب تصريح الإقامة الدائمة في الولايات المتحدة وتغادر البلاد في فجر يوم ٢٩ يونيو لتستقر في مدينة

نيو يورك. وفي نفس يوم حصول الجانب الأمريكي على الأسطوانات يتم إهداء الأسطوانات التي تحتوي على مشاهد خاصة بكل من نهلة مشرقي ونهال عاصم وسلوى مجاهد إلى جماعة الإخوان المسلمين لتستخدمها في ضرب خصومها السياسيين ليستمر مسلسل الفوضى والعنف الذي يصب بالأساس فيما تخطط له السياسة الأمريكية.

❑❑❑

ويأتي يوم ٣٠ يونيو عام ٢٠١٣م، هذا اليوم المشهود في التاريخ المصري، يوم حسم الجولة الثانية في الصراع السياسي الدائر حول السلطة؛ حيث خرجت ملايين المواطنين إلى الميادين والشوارع محملة بخيبة الأمل فيما وصلت إليه أحوالهم المعيشية من تدهور وانحطاط وغياب للدولة على جميع المستويات بعدما تكشف لهم أن الحلم الذي توهموا حدوثه في ٢٥ يناير لم يكن سوى سراب خادع، وحقيقة الأمر أن الظلم والقهر والاستبداد الذي انتفضوا ثائرين من أجله لم يتغير بل زاد عليه شبح العنصرية والفاشية المتأسلمة التي مزقت الشعب إلى شيع وأحزاب وتهديد بتقطيع أوصال الأرض وتفتيتها. في هذا اليوم كانت الوزيرة السابقة نهلة مشرقي وصديقتها سلوى مجاهد يتصدران مشهد التظاهرات النسائية التي خرجت تنادي بسقوط دولة المرشد ونهاية عهد الفاشية المتأسلمة بينما أطلقت آلة الشر تهديدها لهما عبر رسائل من على موقع الفيس بوك بنشر المشاهد الإباحية الفاضحة لهما وعليها التعليقات الساخرة واللاعنة والمكفرة ليراها العامة إذا لم يتراجعا عن موقفهما.

في صباح يوم الأحد الأول من يوليو كانت سلوى تجلس بمنزلها بشارع النزهة بمصر الجديدة تشاهد عبر شاشات التلفاز المظاهرات الشعبية التي اندلعت بالأمس في جميع المحافظات للمطالبة بإسقاط حكم محمد مرسي فتفاجأ بحضور نهلة مشرقي وهي في حالة حزن شديد وتعبيرات ملامحها توحي بحدوث كارثة. وبلهفة شديدة تسألها بصوت شغف وهي تصطحبها للجلوس بحجرة الاستقبال:

ماذا حدث؟

نهلة تجهش بالبكاء قائلة: كارثة يا سلوى لم تكن في الحسبان. لقد جاءتني رسالة عبر حسابي على الفيس بوك ومعها مقاطع الفيدوهات التي كانت بحوزة شريهان منسي. ويهدد صاحبها بنشر تلك الفيديوهات على العامة إذا لم أتراجع عن موقفي السابق في دعم الجبهة الوطني للتغير وأعلن صراحة عن ندمي في ذلك وأؤيد شرعية الرئيس محمد مرسي.

سلوى تصاب بحالة من صمت المفاجأة وتظل تنظر إلى نهلة نظرة ذهول غير مصدقة ما سمعته حتى تقول بصوت مصدوم: ماذا تقولي يا نهلة؟!.

نهلة بصوت تحشرجت نبرته من شدة البكاء: اعتقد أن من أرسل لي بكل تأكيد أرسل لكِ نفس الرسالة بنفس المضمون. المهلة التي منحها من أرسل لي هذه الرسالة تنتهي مع انتهاء هذا اليوم. ماذا سنفعل؟

سلوى تهلع وتأتي بجهاز الكومبيوتر المحمول الخاص بها وتدخل على حسابها على الفيس بوك لتصاب بحالة هستيرية صامتة وتنفجر في

بكاء صامت وهي تشاهد نفسها على فراش الخطيئة مع تهديد بنشر هذا الفيديو ليكون مباح رؤيته للعامة مع نفس التهديد المرسل إلى نهلة، ويظل الصمت يخيم بينهما ودموع إحساسهما بالضياع تكاد تصرخ من شدة الخوف والإحساس بالقهر حتى تقول نهلة بصوت مرتعش:

من فعل ذلك ليس له عهد ومهما فعلنا سنكون عبيد مطالبه السافلة التي لا تعرف حدود أو قيود. ومن يدري ماذا سيطلب منا لاحقاً.

سلوى وقد تجسدت ملامح الصدمة المفزعة على وجهها وتعبيرات اليأس والشعور بالضياع تتملك منها تقول بصوت باكي محبط: ماذا نفعل ليس أمامنا وقت للتفكير؟ أنا لا أستطيع تحمل رد فعل نشر هذه الفيديوهات على العامة ليشاهدها زوجي وأولادي وشقيقي ووالدي ووالدتي. يا ليتني مت قبل هذا اليوم.

نهلة بصوت استفهام غاضب تقول وهي تجفف دموعها: هل نستسلم لمطالب هذا الشيطان الرجيم؟

سلوى بصوت استفهام يائس ومازالت دموع الحسرة واليأس والإحساس بالخوف من نشر تلك الفيديوهات ليشاهدها العامة تنساب من عينيها تقول: هل لنا غير ذلك؟ هل نستطيع مواجهة نتائج عدم تلبية هذه المطالب؟

نهلة وقد أيقنت عدم القدرة أو الاستطاعة على رفض ما يطلبه مرسل الرسالة تقول بصوت خنوع يائس وتعبيرات ملامحها تكاد تنفتق من شدة الحسرة والحزن: لا. لكن ما الذي يضمن لنا أنهم لن ينشروا هذه

الفيديوهات في المستقبل؟ من يفعل ذلك ليس له عهد ولا دين، ولا يعرف قيم أو أخلاق.

سلوى تهز رأسها قائلة: اعتقد أنه لن يكون هناك ضمانات. حاولي إضافة هذا الشخص إلى حسابك على الفيس بوك لنعرف منه خطوات تنفيذ ما يريده. ليس أمامنا وقت.

نهلة تدخل على حسابها على الفيس بوك وتضيف مرسل الرسالة إلى قائمة أصدقائها فتجده متواجد على الموقع ويتبادلا الرسائل ليحدد لهما هذا الشخص خطوات تنفيذ ما يطلبه منهما والتي تمثلت في الآتي: عمل مؤتمر صحفي أمام مقر دار القضاء العالي في الساعة ٨ مساء هذا اليوم تقر فيه كل من سلوى مجاهد ونهلة مشرقي بندمها على المشاركة في المظاهرات المناهضة لشرعية الرئيس محمد مرسي بعدما تكشف لهما المؤامرة التي يحيكها المتأمرون الرجعيون الذين يريدوا إعادة نظام حكم مبارك. التواجد بصفة دائمة مع اعتصام دعم الشرعية في ميدان رابعة العدوية وإلقاء البيانات التي ستملي عليهما في حينه.

وبعد انتهاء المحادثة تظل كل من نهلة وسلوى في حالة صمت وحيرة وشعور بالرهبة والخوف من رد فعل المؤتمر الصحفي الذي لم يتبق عليه سوى بضع ساعات؛ فكيف لهما أن يكونا من مناصري التحالف الوطني لدعم الشرعية بعد الموقف المعاكس والمناهض لسياسة الإخوان، التي لم يكن لها بال أو هدف سوى السيطرة على مفاصل الدولة وإحلال تابعيهم محل مماليك النظام السابق؟! وفي صمت مؤلم ودموع صامتة حزينة

حائرة تشعر بالمذلة تفترق الصديقتان لتذهب نهلة إلى حال سبيلها، وقد اتفقا على اللقاء في الموعد المحدد للمؤتمر الصحفي.

❐❐❐

المؤتمر الصحفي الذي انعقد أمام دار القضاء العالي كان صادماً ومخيباً لآمال كل من يعرف نهلة مشرقي وسلوى مجاهد، ولاقى استهجان واستنكار ورفض الغالبية من عامة الشعب الذين كانوا في الاتجاه المناهض لسياسة الإخوان. وعلى الصعيد العائلي لم تستوعب أسرة كل من نهلة مشرقي وسلوى مجاهد هذا التغير في الفكر والمنهج والأيديولوجية، ووصل الأمر بين سلوى وزوجها إلى خلاف حاد وتهديد بالطلاق إذا لم تتراجع عن موقفها بشأن الاعتصام في ميدان رابعة العدوية.

ويمر بضعة أسابيع بعد عزل الجيش للرئيس محمد مرسي في ٣ يوليو ٢٠١٣م ويظل اعتصامي رابعة العدوية وميدان النهضة في الوقوف كحجر عثرة في طريق استقرار الأوضاع في البلاد؛ حيث وصل الأمر بهؤلاء المعتصمين، في ظل الدعم المعنوي واللوجيستي من الدول الراعية لمخطط الفوضى الخلاقة وإحداث تغيير بالجعرافية السياسية[1] في منطقة الشرق الأوسط بما يحقق مصالحها وأهدافها الإستراتيجية، بالتهديد بنشوب حرب أهلية في حالة عدم عودة الرئيس المعزول محمد مرسي إلى الحكم.

---

(1) الجغرافية السياسية هي مظاهر التحول في رقعة الوحدات السياسية وسكانها ومواردها وعلاقتها بالدول الأخرى.

سلوى بعدما رحلت صديقتها وشريكاتها في الكارثة عن مصر لتستقر مع عائلتها في كندا استمرت في خنوعها وخضوعها لتصبح آلة في يد جماعة الإخوان المسلمين وتنفذ كل ما يُطلب منها؛ حتى أنها تركت بيتها لتقيم مع المعتصمين بميدان رابعة العدوية رغم تهديد رفعت لها بأنه سيطلقها إذا لم تتراجع عن موقفها الشاذ المثير للدهشة والجدل الذي ليس له إجابة.

وفي يوم ٢٥ يوليو وقبل حلول آذان العصر كان محمد قد توجه إلى ميدان رابعة العدوية لمقابلة شقيقته ليثنيها عن موقفها غير المبرر أو غير المفهوم باعتصامها هناك، والذي سيتسبب في طلاقها من زوجها الذي أصر على طلاقه منها في حالة عدم عودتها وتراجعها عن موقفها الجنوني الذي يفتقد للعقل والمنطق. وعندما وصل إلى الميدان وبعدما قامت المجموعات المكلفة بتأمين الميدان من تفتيشه استطاع محمد الوصول إلى الخيمة التي تتواجد بها سلوى ليدخل عليها وقلبه مملوء بمشاعر الحيرة والحزن والقلق على ما وصل إليه حالها وعندما وقع بصره عليها وجدها شاحبة الوجه زائغة البصر واهنة الملامح تنظره بنظرة مكسورة ومشاعر ساكنة حزينة فيقترب منها يضمها إليه مقبلاً قائلاً بصوت حنون:

افتقدتك يا أحن أخت في الدنيا. معي لكِ قبلة من رشدي وقبلة من نهلة.

سلوى وقد انهمرت في بكاء صامت ودموعها تزحف على كتف محمد تقول بصوت متحشرج مكبوت: كيف حالهما وكيف حال رفعت. لقد افتقدتهم كثيراً.

محمد يدفعها برفق وينظر بتأثر شديد إلى عينيها الباكية وملامحها الصامتة الحزينة ثم يقول بملامح قلقة وصوت رجاء: لماذا كل ذلك يا سلوى؟! أنا شقيقك الذي يحبك؟ أرجوكِ افهميني ماذا يحدث. ما هذا العبث؟! كيف تبدلي عقيدتك تجاه هؤلاء المتأسلمون وتناصريهم حتى على حساب بيتك وزوجك الذي كنتِ لا تتمني من الدنيا غير إسعاده؟! تعتزلي أولادك وزوجك وعملك ووالديكِ وتغلقي تليفونك المحمول وتلجأي إلى هذا المكان!

سلوى وقد ازدادت غزارة دموعها الصامتة وتجسمت ملامح الانكسار والوهن على وجهها تقول بصوت حزين مغلول: أرجوك يا محمد لا تجعل اختلاف موقفنا تجاه ما حدث يجعلك تظن السوء بي مثل الكثير؛ لقد رأيت أني لم أكن على ثواب في مناهضتي لهم. وحماية الشرعية الدستورية تستوجب علينا أن نقف ضد هذا الانقلاب العسكري الناعم.

محمد وهو يتأمل تعبيراتها التي لا تعكس إحساسها بهذا الكلام يصمت بضع ثوان ثم يقول بصوت غلفه الشك والتساؤل والتعجب: هل تريدي إقناعي أنكِ سلوى مجاهد صاحبة التاريخ المناهض لتيار الإسلام السياسي ونهلة مشرقي الوزيرة السابقة صاحبة الأفكار التحررية الليبرالية التي تتعارض كلياً وجزئياً مع أهداف التنظيم الإخواني قد تغيرت أفكاركما ما بين ليلة وضحاها؛ ففي يوم ٣٠ يونيو الماضي كنتما في صدارة المشهد المعارض المطالب برحيل حكم المرشد وفي اليوم التالي تقيمان مؤتمرًا صحفيًّا تعلنان نقيض مبادئكما؟

سلوى وهي تنظر إلى محمد نظرة توسلية باكية تقول: أرجوك يا محمد ابتعد عن الخوض في هذا الموضوع؟

محمد يمسك بكتفيها وقد ارتسمت على ملامحه تعبيرات غضب وحدة يقول بصوت غلفه الإصرار والتحدي: هل تظني أنني لن أعرف سبب هذه التغيير؟ إصرارك على ترك بيتك والتواجد هنا سيهدمه. زوجك حملني برسالة لك تفيد أن صبره قد نفذ لو لم تعودي إلى بيتك سيطلقك.. ثم يهزها بعنف قائلاً بصوت ألم وحسرة: أمك وأبوكِ سيصابان بالجنون من جراء تصرفك الشاذ غير المفهوم. أفيقي من غفلتك أنتِ لا تعرفي مدى خسة ونذالة هؤلاء؛ أنهم يتلاعبون بكل شيء في سبيل وصولهم إلى الحكم.

سلوى تجهش بالبكاء والعويل وملامح الفزع والخوف تتملك منها قائلة بصوت آمر ناهي: ابتعد عني أرجوك. اذهب ولا تعود أنا اعلم منك بشئوني.

محمد وملامح الصدمة والدهشة تسيطران على وجهه يقول بصوت ذهول: ابتعد عنكِ؟! يا ابنة أبي وأمي أنا أشعر بشيء غامض وراء هذا التحول اللامنطقي في سلوكك وأفكارك. سأرحل ولكن لابد أن تعلمي أنني لن أتركك تضيعي؛ سأكتشف سبب العلة وسأعالجها وسأُعيدك إلى رشدك.

سلوى تمسك يده وتقبلها وهي تقول بصوت تذلل باكي: استحلفك بكل ما هو غالي أن تتركني وشأني.

محمد يضمها إليه بمشاعر قلقة وإحساس مثقل بالهم قائلاً بصوت حزين مجروح: سأرحل يا شقيقتي وبداخلي شعور يقيني أنكِ تتكتمين في نفسك السر الذي يدفعك تضحي بحياتك الأسرية والعملية؛ لقد اجتمع مجلس إدارة البنك وقرر الاستغناء عنكِ. لن أضغط عليكِ أكثر من ذلك. اهتمي بنفسك وأرجو أن تتصلي بأبيكِ وأمكِ لتطمئنيهما عليكِ.

سلوى تضمه إليها بشدة وتنخرط في بكاء صامت ثم ترجع عنه لتنظره نظرة باسمة وهي تجفف دموعها قائلة بصوت تظاهرت نبرته بعدم الإكتراث: لقد مضيت أكثر من عشرين عامًا في العمل وقد حان الوقت لأتفرغ للعبادة. سأتصل بأبي وأمي. المهم اعتني أنت بنفسك ولا تشغل بالك بأي شيء أخر.

محمد بعيون حسرة وملامح تجسمت بها تعبيرات الحزن يقول بصوت غلفه النصح وهو يستعد لمغادرة الخيمة: رشدي ونهلة كانا يريدان الحضور معي لكني فضلت أن أحضر بدونهما لعلي أستطيع أن أعيدك إلى صوابك. لا تقسي على أولادك وحاولي أن تُهدئي من روعتهما؛ فهما في حالة نفسية صعبة نتيجة الحملة الشرسة التي تنطلق ضدك كل يوم في وسائل الإعلام وعلى صفحات التواصل الاجتماعي.

سلوى تقول بصوت مخنوق وهي تنهمر في بكاء صامت بعدما استجمعت كل قوتها حتى لا تنهار أمام هذه الكلمات: سأتصل بهما وأشرح لهما موقفي.

محمد وهو يقف على باب الخيمة يقول بصوت ساخر: هل تشاهدي البرنامج التي تقدمه صديقتك من كندا عبر قناة المغفرة؟ اعتقد أن دورك سيأتي وستقدمي برنامج في قناة التوبة.

سلوى بملامح تتظاهر بالتماسك خلف مشاعر حارقة وأحاسيس مقهورة من شدة ما تعانيه من قهر وظلم تقول: ادعي للجميع بالرحمة والستر والغفران يا محمد.

محمد مودعاً بملامح حزينة وصوت غلفه الحسرة والألم يقول: الله يرحم الجميع ويهديكي إلى الصواب.

وبعدما يغادر محمد الخيمة تظل سلوى طوال تلك الليلة تفكر فيما وصل إليه الحال وتتضرع إلى الله أن يخرجها من المصيبة التي ألمت بها، فهي أمام أمرين كلاهما مُهلك؛ فأما أن تخضع لرغبات الإخوان وتواجه ما تواجه من فراق مع زوجها وتوتر علاقتها بأهلها ومعارفها وتواجه حملات الإدعاء بالموالاة والاشتراك في المؤامرة على الوطن، وأما أن يذاع خطيئتها المصورة منذ أكثر من عشرين عامًا على العامة فتتحطم سمعتها وسمعة زوجها وأبنائها وأسرتها.

❑❑❑

ويأتي فجر ليلة السابع والعشرين من يوليو من ذلك العام، وبعد ليلة من التظاهرات التي خرجت في جميع الميادين تلبية لدعوة الفريق أول عبد الفتاح السيسي لمنحه تفويض لمواجهة أعمال العنف والتظاهرات والاعتصامات غير السلمية التي تعكر صفو الأمن العام وتعوق مسيرة

الاستقرار، شهدت المنطقة المحيطة بميدان رابعة العدوية أحداث دموية بين جماعة أنصار الشرعية وقوات الشرطة المكلفة بتأمين وحراسة الميدان خلفت ٦٥ قتيلًا و٢٦٩ جريح؛ ففي ذلك اليوم تقدمت مجموعات من المعتصمين بميدان رابعة العدوية تحمل معها الأسلحة النارية والخرطوش لتحتل كوبري ٦ أكتوبر وتقطع الطريق المؤدي إلى مدينة نصر لتتعامل معها قوات الأمن المركزي بكل حزم وتجبرها على التراجع إلى ميدان رابعة العدوية.

ففي فجر هذا اليوم الذي كان يوافق ليلة الثامن عشر من رمضان كانت سلوى قد انتهت من شعائر صلاة الفجر وجلست في خيمتها تتضرع إلى الله، كما كانت تفعل كل يوم منذ المصيبة التي ألمت بها، فإذا بها تسمع أصوات طلقات نيران تأتي من مسافة ليست ببعيدة عن محل الاعتصام وأصوات تكبير ودعاء من الخيام المجاورة لخيمتها؛ فأخذها الفضول وأسرعت إلى خارج الخيمة لترى الشيخ شوكت نيازي يخطب في جمع المعتصمين يشحذ هممهم ويلهب مشاعر الجهاد داخل نفوسهم لتلبية فريضة الجهاد وفي خلال دقائق يتحول الميدان إلى ما يشبه الثكنة العسكرية وتتحرك مجموعات دعم مسلحة بجميع أنواع الأسلحة الخفيفة إلى خارج الميدان. هذا المشهد الدراماتيكي دفع سلوى لتتوجه نحو المكان الذي يتواجد به شوكت نيازي (رجل ملتحي في نهاية العقد الخامس من العمر. تبدو على ملامحه الدهاء. داعية ومفكر إسلامي لا ينتمي إلى مؤسسة الأزهر مثل عدد من الدعاة والشيوخ الذين درسوا الشريعة الإسلامية وفقه السنة خارج المؤسسة التي تعهدت منذ ما

يقرب من ألف عام على إعداد الدعاة. هؤلاء الدعاة من خارج مؤسسة الأزهر احترفوا تقديم البرامج الدعوية في المساجد ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة. بعد حصوله على دكتوراة في الحديث وعلومه من جامعة ديبون الفرنسية استقر في القاهرة، وبدأ في تقديم عدد من البرامج الدينية في إحدى القناة الدينية ليصبح من الشخصيات المشهورة في هذا المجال وتصدر المشهد السياسي بصورة تطفلية بعد اندلاع أحداث ٢٥ يناير ٢٠١١م واستحوذ على منابر الخطابة التي نُسجت في ميدان التحرير) بعدما رأت في عيون الشباب الصغير المخدوعة فرحة انتفاضة الجهاد، واستشعرت من ملامحهم المغيبة وتعبيراتها السرابية مدى الجرم الذي يرتكبه هؤلاء المدعين في حق الدين والوطن والإنسانية؛ فبأي مبدأ وعقيدة يتم تعمية عقول العابدين ويُستعبد إيمانهم، ويُستغل جهلهم وقلة بصيرتهم ليدوروا كالبهائم التي تجر الطواحين غير مدركين أنهم أكبر تهديدًا لشريعة الله السمحاء. وبصوت حاد وملامح سيطر عليها شعور غضب شديد تقول سلوى:

يا دكتور شوكت. أعطي أوامرك إلى هؤلاء الشباب ليتراجع عن الذهاب إلى خارج الميدان اتقي الله فيهم. هذا ليس جهاد في سبيل الله بل جهاد في سبيل أغراضكم وأهدافكم.

شوكت نيازي ينظر إليها نظرة تأملية ناعمة وقد استشعر ما بداخلها من انفعالات يقول بصوت تعلقت به نبرة تهديد: توقفي عن هذا الهراء.. ثم ينظر إلى من معه من اتباع نظرة سلطوية ليقول بصوت آمر: استدعوا أم أمين إلى خيمتي فوراً.

سلوى بصوت أكثر حدة: أعطي أوامرك ليتراجع هؤلاء الفتية عن قتال الشرطة؛ أنتم تضحوا بهم.

شوكت نيازي وقد ذهب عنه أتباعه يقول بصوت ناعم: اهدئي يا أستاذة من الواضح أن أعصابك ليست على ما يرام. هل تريدي أن تذهبي إلى بيتك وتنقضي ما بيننا من عهد. هذا لن يضرنا في شيء. افعلي ما شئتي.

وما أن أكمل شوكت نيازي جملته حتى حضرت أم أمين إحدى القيادات النسائية في حزب الحرية والعدالة. سيدة في بداية العقد الخامس من العمر؛ مثلها مثل جميع من ينتمون إلى جماعة الإخوان المسلمين لا يروا الصواب في غير الصواب الذي يراه منهج الجماعة. وبصوت غلفه الهدوء وملامح يعلوها البراءة والتسامح تقول: تفضلي داخل الخيمة. وهناك تستطيعي البوح بكل شيء تريديه.

سلوى تتوجه بخطوات مغلولة ومشاعر مكبوتة نحو الخيمة بصحبة أم أمين والدكتور شوكت نيازي وما أن دخلوا الخيمة تنفجر قائلة: لقد سئمت من تهديدكم. لقد سئمت من سلوككم. لقد سئمت من شعارتكم المزيفة.

شوكت نيازي يبتسم لها ابتسامة لامبالاة ويقول: وماذا بعد. هل نسيتي ما اتفقنا عليه؟ اعتقد أن أعصابك متوترة وهذا ما دفعك لعدم التفكير جيداً في عواقب هذا التصرف.

سلوى بملامح مكبوتة ونظرات مغلولة تقول بصوت حرقة: لماذا تضحوا بهؤلاء البسطاء وتخدعوهم بمقولة قال الله وقال الرسول. يا من

تدعوا الحديث باسم الدين وتدفعوا البسطاء المقهورين الذين أزلتهم أمور الدنيا وغيبهم الجهل ليلقوا بأنفسهم كحطب يحترق ليشعل نيران فتنتكم التي لا تبغي سوى تحقيق مأربكم. الدين منكم براء. أنتم خوارج هذا الزمان[1].

أم أمين وقد دفعتها حميتها وغيرتها على ما تعتقد أنه الصواب والرشاد تتلون ملامحها الهادئة الوديعة بتعبيرات استنكار غاضبة وتقول بصوت حاد: تأدبي في الحديث ولا ترمينا بالباطل. أنتِ أمراة مأجورة يتم استخدام شهرتك بمقابل مادي. هؤلاء الشباب والرجال الذين تتحدثين عنهم هم حماة الشرعية.

شوكت نيازي وقد سقط عن وجهه قناع الحكمة يقول بصوت غلفه التهديد والوعيد موجهاً كلامه إلى سلوى: اسمعي يا صاحبة العزة والشرف من الواضح أن زيارة أخيكِ الضابط بالأمس جعلتكي تنسي ما يمكن أن يحدث لكِ. إن أعدائك من جبهة الخراب والمؤيدين للانقلاب يتربصون بكِ وكما ستكون سعادتهم لو حصلوا على أي شيء يخصك.

---

(1) جاء في صحيح البخاري (قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ خَيْثَمَةَ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَأَنْ أَخِرَّ مِنْ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

سلوى تنهمر بالبكاء قائلة بصوت يئن من الإحساس بالظلم: اللهم فوضت أمري إليك؟

شوكت نيازي بملامح لامبالاة يقول موجهاً كلامه إلى أم أمين وهو يغادر الخيمة: توجهي إلى المستشفى الميداني فإنهم بحاجة إلى مساعدتك.. ثم ينظر إلى سلوى نظرة صماء قائلاً بصوت آمر: جهزي نفسك ستلقي بيان أمام المؤتمر الصحفي الذي سيعقد ظهر اليوم.

وبعدما يغادر شوكت نيازي الخيمة تظل سلوى تردد الدعاء إلى الله بصوت تضرع خاشع باك: يا رب لقد فوضت أمري إليك أنت أعلم بحالي يا رب اغفر لي واسترني يا أرحم الراحمين.

أم أمين تظل تنظر إلى سلوى خلال دعائها وتتأثر بدموعها الخاشعة المتضرعة لتتبدل تعبيرات الاستنكار والغضب المرسومة على وجهها بتعبيرات شفقة حتى إن انتهت سلوى من دعائها تتقدم نحوها تطبطب على كتفيها قائلة لها بصوت غلفه التعاطف: سيستجيب الله إلى دعائك. أنا أشعر أن قلبك مليء بالخير. ارجعي عن مناصرة هؤلاء الكفرة الذين يريدوا أن يحللوا الحرام ويحرموا الحلال. توبي إلى الله واستغفريه.

سلوى بدموع صامتة وملامح مقهورة تنظر إلى أم أمين نظرة بائسة وتهز رأسها قائلة بصوت استسلام: اللهم اغفر لنا جميعاً واسترنا في الدنيا والآخرة.

أم أمين وهي تغادر الخيمة تقول بصوت نصح و إرشاد: انهضي وصلي ركعتين لله شكراً وحمداً لأنه أنزل السكينة والهداية في قلبك ثم اخلدي للنوم.

وبعدما تغادر أم أمين الخيمة تنهمر سلوى في بكاء صامت وهي تتضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يرفع مقته وغضبه عنها تظل تفكر في الكارثة التي ألمت بها وكيف وصل بها الحال لتكون أداة يستخدمها تيار المتأسلمين السياسيين لتحقيق مآربهم الخبيثة التي لا تتفق مع مبادئ الإسلام السمحة.

❑❑❑

وفي صباح هذا اليوم، وقبل انعقاد المؤتمر الصحفي الذي أعده جماعة أنصار الشرعية بمقر اعتصامهم بميدان رابعة العدوية، كانت سلوى تجلس في خيمتها تعد نفسها لقراءة بيان الجماعة التي تم تجهيزه للتنديد بأحداث الأمس الذين أطلقوا عليها أحداث المنصة فإذا بها تفاجأ بشخص ملتحي ومعه سيدة منقبة تدخلان عليها الخيمة يلقيان عليها السلام ويستأذناها بالجلوس. بعد بضع ثوان من نظرة تأملية فاحصة أطلقتها سلوى تجاه الشخص الملتحي تصرخ قائلة بصوت يفيض بالكراهية والبغض:

مصطفى عفيفي. الله ينتقم منك وينتقم من كل ظالم جبار. هل جئت لترى ماذا فعلت بضحيتك أم جئت لتزيد همومي وتثقلني بتهديدات أخرى.

مصطفى عفيفي بملامح مصدومة وتعبيرات فزع ودهشة يقول بصوت استفهام متعجب: لماذا كل هذا؟! لقد جئت لأشد من أزرك وأحييكي على ما فعلتيه لنصرة الحق.

سلوى وقد ازدادت حدة ملامحها غضباً وتجسمت تعبيراتها شعور بالآسى والظلم تقول بصوت مخنوق من شدة الإحساس بالقهر والظلم: هل نسيت ما فعلته معي ومع نهلة مشرقي ونهال عاصم؟ فوضت أمري إلى الله لينتقم لي ولكل سيدة سرقت منها سترها. ما الثمن الذي قبضته في مقابل تلك الأسطوانات؟ أذهب إلى حال سبيلك وأعلم أن الله يمهل ولا يهمل.

مصطفى بملامح ذهول ودهشة وتعبيرات مصدومة ونظرة مذبوحة من شدة هول ما سمع يقول بصوت حاد: ماذا؟! الأسطوانات!.. ثم ينظر إلى السيدة المنقبة ويقول: اتركينا واذهبي إلى خيمة الشيخ العابد. هناك حديث لن أستطيع التحدث به إلا منفرداً مع السيدة سلوى.

السيدة المنقبة تهز رأسها وتقول بصوت إذعان: سأفعل بإذن الله.. ثم تنظر إلى سلوى نظرة تأملية صماء وتقول: السلام عليكم.

وبعدما تغادر هذه السيدة الخيمة يقول مصطفى بصوت خجل وملامح تكاد تموت من شدة الشعور بالجرم الذي ارتكبه: أرجوكي اهدئي واخبريني ما الذي جعلكي تتهميني بأنني أخذت ثمن عن هذه الأسطوانات؟

سلوى بملامح استهجان تقول بصوت دهشة وتعجب: ما كل هذه البجاحة الذي تملأ وجهك؟ هل نسيت ما فعلته معي ومع غيري؟ هل نسيت أنك بكل ندالة وخسة قمت بتصويرنا خلسة منذ أكثر من ثلاثة وعشرين عامًا والآن قد بعت خستك وندالتك لمن دفع لك الثمن ليضع

هذه الأسطوانات سكين على رقبتي ويهددني بها لأكون طوع أمره أنفذ ما يأمرني به.

مصطفى يستعيذ بالله من شدة هول ما سمع بملامح تكاد تنفجر من إحساسه بأنه تسبب في هذا الظلم ثم يقول بصوت يقين: اقسم بالله العظيم أنني قمت بتدمير هذه الأسطوانات بنفسي.. ثم يصمت للحظات يتذكر خلالها أن هالة فريد هي الإنسانة الوحيدة التي هددها بإحدى هذه الأسطوانات فيقول بصوت رجاء وتمني: أرجوكي. استحلفك بالله أن تحكي لي ما حدث؟ من الذي يهددك بتلك الأسطوانات؟

سلوى بنظرة قاتمة وملامح كاشفة تقول بصوت غلفه الحزن والآسى: منذ ما يقرب من عامين ونصف جاءت شريهان منسي المذيعة، قبل أن تعمل في الإعلام وكانت تعمل في بيت توفيق العاصي، إلى نهلة مشرقي وتظاهرت بالمذلة والمسكنة ومعها الأسطوانات التي سجلتها إلى (نهال عاصم، هالة فريد، نهلة مشرقي وأنا) وأعطتها لها وطلبت منها أن تساعدها للعمل في القناة التي تعمل بها. وقد استجابت نهلة لها وظنت أنها فتاة مغلوب على أمرها لا تريد شيء سوى العمل الشريف ومع مرور الوقت ظننا أن هذه الأسطوانات ليست لها نسخة أخرى. وقبل حدوث تظاهرات ٣٠ يونيو ظهرت تلك الأسطوانات مع قيادي بجماعة الأخوان المسلمين هددنا بها وأجبرني على إصدار البيانات المناهضة للمبادئ التي أومن بها في مقابل عدم عرض تلك الأسطوانات على العامة.

مصطفى يظل يكرر الاستعاذة بالله بصوت مصدوم وملامح مذهولة وهو يستمع إلى كلام سلوى حتى أن انتهت من حديثها يقول: شريهان

كانت خطيئتي كيف علمت شريهان بأمر هذه الأسطوانات؟! لقد أتلفتها بنفسي! الإنسانة الوحيدة التي كانت تعلم أن في حوزتي أسطوانة تحتوي على مشاهد لها كانت هالة فريد؛ فقد كنت أشك أنها تعرف الشخص الذي دبر لي الجريمة التي سُجنت بسببها وقمت بتهديدها. لقد ندمت على ذلك وقمت بإتلاف كل الأسطوانات.

سلوى بملامح باغضة منفعلة تقول بصوت حاد: الله ينتقم منك لقد دمرت حياتي. ما الذنب الذي فعلناه معك حتى تفعل بنا ذلك؟ يمهل ولا يهمل.

مصطفى بملامح يكاد يأكلها الإحساس بالذنب يقول بصوت غلفه الندم وطلب المغفرة: عندك حق في كل ما تقوليه لقد ارتكبت شيء استحق عليه القتل بل استحق عليه عقاب المفسدين. أنا الآن أشعر أن العشرين عاماً التي قضيتها في السجن على جريمة لم ارتكبها كنت استحق عقوبة أشد. أرجوكي سامحيني لقد أنعم الله علي بنعمة الإيمان وأنا أكفر عن ذنوبي. أطلبي مني أن أفعل أي شيء لتسامحيني.

سلوى، وقد هدأت حدة ملامحها بغض وبمشاعر تنم عن قلة الحيلة تقول بصوت مقهور: وماذا سيفيد تسامحي؟ اتركني إلى حال سبيلي واذهب إلى حال سبيلك.

مصطفى بصوت إصرار: لن أتركك حتى أخلصك مما تسببته لكِ.. ثم يصمت للحظات يتذكر ما ذكرته عن تهديد قيادي إخواني لها فيقول بصوت تعجب ودهشة: هل قام أحد قيادات الإخوان بتهديدك بهذه الأسطوانات؟! هل يعقل ذلك؟! بكل تأكيد هذا الشخص يتصرف من تلقاء نفسه. من يكون هذا الشخص؟

سلوى بعد نظرة صامتة وملامح يائسة تقول: اذهب إلى حال سبيلك وأرجوك لا تحاول التدخل من قريب أو بعيد في هذا الموضوع.

مصطفى بصوت تعلقت نبرته نغمة إصرار على المعرفة: هل يعقل أن يفعل ذلك أحد قادة الإخوان؟ بكل تأكيد هذا الشخص يتصرف من تلقاء نفسه.

سلوى بصوت به حدة تقول: أرجوك أذهب إلى حال سبيلك. اتركني وشأني سامحك الله.

مصطفى بملامح انكسار وشعور بالندم يقول قبل رحيله إلى خارج الخيمة بصوت أسف ونظرة نادمة: أرجوكي سامحيني.

سلوى تهز رأسها غير مبالية بما قاله مصطفى وتقول بصوت حزين: الله أعلم بما في نفسك.

وبعدما يغادر مصطفى الخيمة تظل سلوى تفكر بتفكير عميق فيما حدث لها ويجول في خاطرها فكرة الاتصال بهالة فريد لتعرف إذا كان أحد قد هددها بالأسطوانة التي في حوزة الإخوان فتستحسن الفكرة، وتقرر في قرارة نفسها أن تبدأ بالبحث عنها. وبالفعل فقد استطاعت في ذلك اليوم بعدما توصلت إلى رقم هاتفها من الاتصال بها وأخبرها بما حدث. وأمام حديث هالة الملتوي يدب الشك في نفس سلوى تجاها وتستشعر أنها تعرف كل شيء عن تلك الأسطوانات وعن التهديد والابتزاز التي تتعرض له بصورة أو بأخرى.

❑❑❑

وينتهي شهر رمضان ولم يرضخ معتصمي تحالف دعم الشرعية إلى دعوات فض الاعتصام الذي كان بكل مقاييس المنطق والعقل يقف في طريق استقرار الأوضاع الأمنية، وقد وصل بهم الأمر إلى قطع طرق المرور الرئيسية التي تمر أو تتقاطع مع مكان الاعتصام في رابعة العدوية وميدان النهضة في تحدي سافر لهيبة الدولة.

وفي فجر يوم الخميس الموافق ٨ أغسطس ٢٠١٣م وتحت إلحاح وضغط منها على قادة الإخوان الذين يديروا وينظموا عملية الاعتصام تغادر سلوى ميدان رابعة العدوية مع بزوخ شمس أول أيام عيد الفطر المبارك، وفي نيتها التوجه إلى بيتها لترى أولادها وتطمئن على أهلها. وفي طريقها إلى بيتها تتصل بصديقتها نهلة مشرقي بكندا لتعايدها وتطمئن عليها، وبعد حديث مطول، تشرح فيه سلوى إلى صديقتها ما تم مع هالة فريد وشكوكها حول علاقة هذه السيدة الخبيثة بما حدث لهما، تخبرها نهلة بأن الأسطوانة الخاصة بكل من نهال عاصم وهالة فريد ما زالت تحتفظ بهما في مكتبها الخاص بفيلاتها. وينتهي الحديث بينهما وقد اتفقتا أن تذهب سلوى إلى الفيلا وتحصل على تلك الأسطوانة حتى تتمكن من الضغط على هالة فريد وتدفعها للبوح بما تعرفه عما يحدث لهما إذا كانت على علم به.

لم يهدأ بال سلوى حتى توجهت إلى منزل نهلة وحصلت على الأسطوانة لتتوجه بعدها إلى منزلها لتقضي يوم العيد مع عائلتها بمشاعر حانية وإحساس أمومة وزوجة عاشقة لزوجها وأولادها أجبرها حبها وخوفها على سمعتهم أن تتنازل عن مبادئها وتنفذ ما يُطلب منها غير مبالية بما تطلقه وسائل الإعلام ويتناقله العامة عن مملوكيتها وإرتزاقها

من الإخوان، وغير مكترثة بفقدانها لمكانتها العملية والمهنية التي تحصلت عليها بعد سنوات طويلة من العمل الشاق.

اللقاء بين سلوى وأولادها اتسم بالود والحنان حيث تلاقت مشاعر الأمومة الحانية بمشاعر البنوة الدافئة ورغم اعتراض كل من رشدي ونهلة على تصرفات أمهما الغريبة التي تنافت مع مبادئها التي عاهدتها عليها وتسببت لهما في صدام مع حياتهما الاجتماعية فقد كانا باران بها ولم يحاولا تعكير صفو هذا اللقاء. بينما اتسم لقاءها بزوجها بالجمود والاستنكار لتنهي سلوى الساعات التي أمضتها في بيتها وقد أمهلها رفعت حتى يوم الغد لتعود إلى منزلها وترجع عن موقفها المثير للتساؤل والجدل. وأمام هذا الموقف الذي زاد من حدة توترها وقلقها وشعورها بالإرهاق النفسي توجهت سلوى لتتقابل مع شقيقها محمد بنادي الشرطة بمدينة نصر بعدما اتصلت به تليفونياً وعرفت منه أنه متواجد هناك. وبعدما يستقبلها محمد بترحاب وعيون فاحصة ومشاعر قلقة من الحال التي وصلت إليها شقيقته يجلس الاثنان على طاولة أمام حمام السباحة. وبعد نظرة تأملية ثاقبة استشعر خلالها محمد بما تحمله شقيقته من هموم مكبوتة في صدرها يقول بصوت غلفه الشغف:

أشعر أنكِ تريدي البوح بما تكتميه في صدرك. أرجوكي أخبريني به لعلي أستطيع مساعدتك؟

سلوى وقد تظلل وجهها بتعبيرات خزي وعار وخجل تقول بصوت متعلثم ودموع عينيها تكاد تصرخ من الندم وقلة الحيلة: لقد ترددت كثيراً قبل أن أخبرك بالمصيبة التي أعيشها منذ شهرين.

محمد بملامح ترقب وتعبيرات قلق: كنت على يقين أنكِ تواجهي أمر غير عادي دفعك لهذا السلوك الغريب. تكلمي ولا تخشي من شيء مهما كان.

سلوى: لم أجد أحد أكشف له ما بداخلي غيرك يا محمد. لقد ارتكبت خطيئة منذ أكثر من ثلاثة وعشرين عامًا وهي تطاردني اليوم وتهددني بتدمير مستقبل أولادي وهدم حياتي الزوجية.

محمد وقد أصابه الكلام بالصدمة يقول بصوت فزع: خطيئة تهددك. ماذا تقولي؟

سلوى وقد زادت حدة ملامحها اضطرابًا وتوتر تقول بصوت رجاء واستعطاف: أرجوك اهدأ وتمالك أعصابك حتى أستطيع أن استجمع قدرتي لأحكي لك. لا تصعب علي الأمر.

محمد يتمالك أعصابه ويهدأ من توتره وفزعه ويقول بصوت شغف تظاهر بالهدوء: تكلمي ولن أقاطعك.

سلوى بعيون مكسورة ونظرة زائغة تتجنب النظر إلى عيون شقيقها تقول بصوت حسرة وندم واعتراف بالذنب تدرجت حدته حتى وصلت إلى حد الصراخ مع نهاية الحديث: عندما كنت مخطوبة إلى مصطفى عفيفي ارتكبت معه الخطيئة وأنا أظن أنني زوجته. هذا الإنسان منعدم الضمير والأخلاق قام خلسة بتصويري وأنا في خلوتي معه. حدث ما حدث له وافترقنا وقد ندمت على ما فعلت وكنت استغفر الله على خطيئتي، والحمد لله فقد وهبني الله الزوج الصالح والأولاد وشعرت

أن خطيئتي قد انتهت مع مرور الزمن. منذ ما يقرب من عامين ونصف جاءت شريهان منسي قبل أن تصبح مذيعة مشهورة، ومعها أسطوانات مسجل عليها مشاهد غير أخلاقية لمصطفى عفيفي معي ومع كل من نهلة مشرقي وهالة فريد زوجة القائم بأعمال السفير الأمريكي ونهال عاصم زوجة توفيق العاصي، وقد استطاعت بالتذلل والمسكنة والاستعطاف من إيهام نهلة أنها تحصلت على تلك الأسطوانات من مصطفى بعدما أتلفت النسخة الأصلية، وأنها لا تريد سوى العمل معها في القناة التلفزيونية التي تعمل بها. ويمر سنتان ونصف لتقع تلك الأسطوانات باستثناء التي تخص هالة فريد في أيدي جماعة لتقوم بتهديدي حتى أفعل كل ما يأمروني به وقد فعلت حرصاً مني على مستقبل أولادي وسمعة عائلتي. لم أعد أستطيع تحمل ما بداخلي من بركان حيرة وألم بعد لقائي بـ«رفعت»؛ أنه أملهني حتى الغد لأعود إلى البيت وأترك ما بدأته مع الإخوان و إلا سيطلقني. ماذا أفعل؟ لو كان الانتحار حرام كنت سأتخلص من حياتي بلا تردد.

محمد وقد أصابه الذهول والصدمة وامتلأ صدره ببركان من الغضب كاد ينفجر من شدة هول ما سمع، وما أن انتهت سلوى من حديثها بصراخ وعويل وشعور بالقهر والظلم والمذلة يقول محمد بصوت غلفه الغضب وغَلَّه الخوف وتظاهر بالهدوء أمام مشاعر اليأس والإحساس بالظلم والقهر الذي تشعر به شقيقته: ما أغرب ما اسمع! شريهان! مصطفى عفيفي!.. ثم يصمت للحظات ليقول بصوت مهموم مقهور بعدما تأوه من شدة ما يكبته من غضب: آه. نحن لا نملك إلا الرضوخ إلى

طلبات هؤلاء السفلة عديم المشاعر حتى نبحث عن وسيلة نستطيع بها الخروج من هذا المأزق الصعب بأقل الخسائر.

سلوى وهي تنظر شقيقها بنظرة نادمة ذليلة ودموع الندم والحسرة تنساب على وجنتيها تقول بصوت مرتعش من شدة خجلها و إحساسها بالمهانة: هل تغيرت صورة الأخت العفيفة الشريفة في عينك؟ كان علي أن أقتل نفسي قبل أن أرى هذه النظرة القاتلة في عيون أحب الناس إلي.. ثم تجهش بالبكاء قائلة: يارب أمتني حتى أرتاح من هذا العذاب.

محمد يمسك بمنديل ويمسح دموع شقيقته وعلى وجهه ابتسامة حزينة قائلاً بصوت غلفه المحبة الأخوية: أنتِ دائماً وستظلي شقيقتي العطوفة الحنونة المحبة للخير صاحبة المبادئ والقيم. كل إنسان معرض للخطأ؛ هل نسيتي قوله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وقول رسوله الكريم ﷺ **«كُلُّ بَني آدمَ خطَّاءٌ وخيرُ الخَطَّائينَ التّوابونَ»**. استعيني بالله هو خير معين، واتركي هذا الأمر لي، واعلمي أن صورتك لن تتغير في عيني أبداً.

سلوى تمسك يد أخيها وتقبلها ثم تنظره نظرة حنونة شاكرة وتقول بصوت تعلقت بنبرته المتحشرجة نغمة أمل: اللهم يحفظك من كل شر يا أخي.

محمد يطبطب على يدها ويقبل رأسها ثم يقول بصوت استفهام: لقد ذكرتي أن الأسطوانة الخاصة بهالة فريد لم تقع في يد الإخوان. ماذا يعني ذلك؟

سلوى بصوت كاشف: عندي إحساس أن هالة فريد له علاقة بصورة أو بأخرى بهذه الأسطوانات؛ فلماذا يتم تهديدي أنا ونهلة فقط؟

محمد بأسلوب ضابط المباحث المحترف: ما أدراكِ أنهم لم يساوهما على تلك الأسطوانة وكذلك الحال بالنسبة إلى نهال عاصم. أنتِ وصديقتك الوزيرة السابقة كنتا أعلام جبهة الإنقاذ الوطني المناهضة لحكم الإخوان وكنتا من أهم الداعمين لحركة تمرد التي جمعت التوقيعات لعزل محمد مرسي واستخدامكن شيء منطقي. شكوكك ليس لها أساس مادي يدعمها.

سلوى: لقد تحدثت معها تليفون واستشعرت من خلال هذه المكالمة أنها تعلم بأمر تلك الشرائط؛ فهي تنكر أي علاقة مع مصطفى عفيفي وتتهمني بإحداث بلبلة لتشويه صورتها كزوجة القائم بأعمال السفير الأمريكي على الرغم أن مصطفى عفيفي أخبرني أنها تعلم بأمر هذه الأسطوانة.

محمد بملامح فضول حادة يقول بصوت به غلظة: متى رأيتي مصطفى عفيفي؟ وما سبب زيارته لكِ؟ وماذا قال لكِ؟

سلوى: لقد زارني مصطفى في رابعة العدوية منذ عشرة أيام. يقول أنه جاء ليشد من أزري بعدما وقفت مع الحق والشرعية. وقد أخبرني أنه هدد هالة بالأسطوانة التي كانت في حوزته لأنه كان يشك أنها تعلم الشخص الذي تسبب في سجنه. كما أخبرني أنه أتلف كل الأسطوانات ولم يكن أحد يعلم بهذا الأمر غيرها. ماذا ترى في ذلك؟

محمد بعدما يتأمل ويفحص ما سمعه يقول بصوت يقين وهو ينظر إلى شقيقته نظرة كاشفة: اعتقد أن ظنك له ما يبرره. لكن إثبات ذلك ليس بالأمر الهين؛ هل نسيتي من تكون هالة فريد؟ الشخص الذي معه مفتاح هذا اللغز هرب خارج البلاد بعدما تحصل على ما يريد من تلك الأسطوانات؛ شريهان هي التي يمكنها حل هذا اللغز.

سلوى بملامح المنكسرة التي تستغيث وتتطوق لكشف غموض هذا اللغز تقول بصوت يقين: من حسن الحظ أن نهلة مشرقي احتفظت بالأسطوانة التي تحتوي على مشاهد هالة فريد، وقد تحصلت على هذه الأسطوانة من مكتبها بعدما أخبرتني بمكانها.

محمد بملامح استحسان ممزوجة بتعجب يقول: الوصول إلى هالة فريد ومساومتها للتعرف على سر هذا اللغز ومحاولة وقف تهديد الإخوان ليس بالأمر الهين؛ أنه أمر في غاية الصعوبة والتعقيد. لكني سأجري المحاولة على كل حال. أين تحتفظي بهذه الأسطوانة؟

سلوى تخرج الأسطوانة من حقيبتها وتعطيها له قائلة بصوت استغاثة في أوله وحيرة ويائس في أخره: أنا أضع كل أملي فيك يا محمد. ماذا أفعل مع رفعت لقد أمهلني حتى الغد؟

محمد بنظرة شفقة وتعطاف يقول بصوت إرشاد ونصح: اتركي أمرك إلى الله. نحن لا نملك إلا الانتظار عسى أن يفرجها الله. أنتِ لن تستطيعي التراجع عنما بدأتيه ولن تستطيعي إخبار زوجك بما أخبرتيني به.

سلوى تجهش مرة أخرى بالبكاء وهي تدعي ربها قائلة بصوت

تضرع خاشع: اللهم أني أسألك الستر والرحمة ليس من أجلي لكن من أجل أولادي وزوجي وأبي وأمي وشقيقي.. ثم تنظر إلى محمد بعدما تنتهي من دعائها لتقول له وهي تستعد للمغادرة: لقد فوضت أمري إلى الله. سأترك الآن.

محمد ينهض من مكانه ويحتضنها بحنان وعطف وقلبه مليء بالشفقة عليها قائلاً بصوت يبعث على الطمأنينة والتفاءول: الله خير حافظ وسبحانه خير وكيل وهو أرحم الراحمين. سأقف بجوارك وساتحصل بإذن الله على تلك الأسطوانات من هؤلاء المفسدين المدعين. حافظي على نفسك يا أختاه أريد أن أراكي المرة القادمة كما عاهدتك قوية صلبة متماسكة.

سلوى بعدما تتقوى بحضن شقيقها وتتحسس منه الأمل تنظر إليه نظرة باسمة من ملامح حزينة قائلة: إن شاء الله أراك على خير قريباً. حافظ على نفسك يا محمد ولا تنسى أن ترسل لوالدينا قبلاتي. كم كنت أتمنى أن أراهما وأرتمي في أحضانهما لكني لا أستطيع أن أرى القلق والحزن في عيونهما عندما يراني هكذا.

محمد يمسك بيد سلوى ويصطحبها إلى سيارتها بعدما قال لها: لا تشغلي بالك بشيء. سيأتي فرج الله قريباً إن شاء الله.

وبعدما تترك سلوى شقيقها وتتوجه إلى ميدان رابعة العدوية تظل تدعو وتتضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يفك كربها وهي راضحة مستسلمة للطلبات التي تُطلب منها بواسطة الشخص المكلف بمتابعتها من جماعة أخوان الشر؛ فتارة تطلق البيانات الصحفية التي تُبث عبر

القنوات الفضائية التابعة لتيار التأسلام السياسي، وتارة يتم بث صورها عبر وسائل الإعلام المقروءة ومعها مقالات يتم كتابتها بمعرفة تلك الجماعة وتُنسب إليها تهاجم خلالها ما حدث يوم ٣٠ يونيو ٢٠١٣م و يوم ٣ يوليو وتصفه بالإنقلاب العسكري وعودة نظام الاستبداد، وتصف ما يحدث بأنه حرب صليبية جديدة على الإسلام.

بينما يظل محمد بعد لقاءه بشقيقته يبحث بعقل ضابط المباحث المحترف عن كيفية التوصل إلى حل يبعد شقيقته عن اللعبة السياسية القذرة التي أستغلت خطيئتها لتوقعها وتستغلها في صراعها غير الأخلاقي على السلطة. وبعد فحص وتمحص معطيات ما أخبرته به سلوى قرر محمد أن يستخدم مصطفى عفيفي والأسطوانة التي في حوزته لهالة فريد ليضغط عليها و يتوصل معها إلى حل إذا كانت لها علاقة بما حدث في محاولة منه لإنقاذ شقيقته والمحافظة على سمعتها وحياتها الأسرية. وبالفعل يتصل محمد تليفونياً بمصطفى - الذي ترك الاعتصام بعدما علم بما حدث إلى سلوى ليرحل مع زوجته والشيخ عابد إلى قرية العمرة - ويحدد معه ميعاد ليلتقي به ليعرض عليه الأمر.

❑❑❑

في الميعاد والمكان المحدد للقاء يحضر مصطفى بمشاعر ودوده واشتياق لرؤية صاحبه الوفي صاحب القلب الصافي وهو يجهل أن هذا الصديق الوفي الذي وقف بجانبه وسانده في محنته وكان صدوقاً معه علم بأمر الأسطوانة التي تكشف عورة شقيقته وتفضح خطيئتها. وبعيون تحمل البغض والغل والاحتقار تصافح محمد مع مصطفى الذي استشعر

ما بداخله من مشاعر، وبعد نظرة تأملية تجاه ملامح وتعبيرات محمد التي كادت أن تنطق بما يشعر به يقول مصطفى بصوت غلفه القلق:

ماذا حدث يا محمد؟ أرى في عيونك تعبيرات لم أرها من قبل منذ معرفتي بك؟

محمد يتنهد ويزفر بشدة ليخرج ما بداخله من كبت وهو يطلق نظرة ثاقبة تجاه مصطفى قائلاً بصوت به حدة: ما رأيك في الخيانة يا مصطفى؟

مصطفى وقد بدأ الشك يدب في قلبه يقول بصوت متوتر مرتبك: ماذا تقصد يا محمد؟

محمد: أقصد أنك لم تراع حرمة الأسرة التي أمنتك على ابنتها منذ ثلاثة وعشرين عامًا، ولم تراع معروف الشخص الذي وقف بجوارك وقربك إليه وظللت تحتفظ بما يسيء لشرفه وسمعته حتى تسببت في خراب بيت شقيقته. لماذا فعلت ذلك يا مصطفى؟

مصطفى وقد تظللت ملامحه بتعبيرات مزجت بين الخجل والتوتر والخوف والإحساس بالندم ويفقد القدرة على الكلام لبضع ثوان من شدة صدمة ما يواجه حتى يستجمع القدرة على الحديث فيقول بصوت مرتعش مرتبك وعيون بللها دموع الندم والشعور بالذنب: معك حق أن تظن بي السوء ومعك حق تفعل ما تشاء معي. أنا استحق عقاب المفسدين على ما فعلته. لكني أقسم بالله العظيم أنني أتلفت تلك الأسطوانات ولم يعلم أحد عن ما حدث مع سلوى.

محمد بصوت حدة يقول: أنت كاذب يا مصطفى. لقد هددت هالة فريد وبكل تأكيد أنت الذي أفصحت إلى شريهان عنها.

مصطفى بصوت رافض وملامح تستغيث وتطلب العفو والسماح يقول: اقسم بالله أن هذا لم يحدث؛ أنا بالفعل هددت هالة فريد بالأسطوانة التي تخصها. كنت أظن أنها تعرف من الذي دبر لنا الجريمة التي أدخلتنا السجن أنا وكريم. أنا لم أخبر شريهان عن باقي الأسطوانات، وقد اتلفتها بعدما هداني الله إلى الإيمان وعرفت الطريق المستقيم.. ثم يصمت للحظات ليقول بصوت غلفه الندم والأسف والاستعداد لفعل أي شيء ليكفر عن ما تسبب فيه إلى الآخرين: سامحني ولو تريد أن تقتص مني فأنا لن أعترض على كل شيء تفعله بي أي كان. أنا على استعداد لفعل أي شيء أكفر به عن خطيئتي وأرفع الظلم الذي أصاب أشخاص بجانب أنهم أبرياء فهم أصحاب فضل وإحسان.

محمد بصوت خفت حدة نبرته يقول: رغم كل مشاعر الكراهية والبغض التي أحملها تجاهك الآن لكنني في حاجة إلى مساعدتك حتى نخلص سلوى مما أوقعتها فيه.

مصطفى بصوت إذعان وملامح تطلب السماح: أنا على استعداد أن افعل أي شيء مهما كان ولو تطلب الأمر لأن أضحي بحياتي في سبيل دفع الخطر والظلم عن سلوى وكل من ظلمت سأفعل بدون تردد.

محمد: ستعاود الاتصال بهالة فريد وستهددها مجدداً.

مصطفى بصوت تعجب: كيف أفعل ذلك وأنا أتلفت الأسطوانة الخاصة بها؟!

محمد: هناك نسخة من الأسطوانة موجودة معي.

مصطفى بملامح استغراب وصوت تعجب: كيف وصلت إليك هذه النسخة؟!

محمد وهو يفحص تعبيرات الاستغراب والدهشة التي ارتسمت على وجه مصطفى يقول بصوت كاشف وملامح صماء: جميع الأسطوانات التي كانت في حوزتك تحصلت نهلة مشرقي على نسخ منها من شريهان.

مصطفى بصوت احتدت به نبرة الدهشة وملامح غلها الغضب يقول: شريهان!

محمد بعيون وعقل ضابط المباحث الذكي: أنا على اعتقاد أن شريهان بعدما تحصلت على نسخة من تلك الأسطوانات اتصلت بـ «هالة فريد» وساومتها على الأسطوانة التي تخصها كما اتصلت بالإخوان وباعت لهم باقي الأسطوانات.

مصطفى وقد استشاط غضباً وتظللت ملامحه بتعبيرات مزجت بين الندم والإحساس بالخداع يقول بصوت حزين مصدوم ينتهي بالدعاء والتضرع: هل يُعقل أن تفعل شريهان ذلك بعد كل ما فعلناه معها؟ اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل.

محمد وهو يتفحص ملامح الندم والتضرع بالمغفرة التي تفجرت في وجه مصطفى يقول: سأتصل بـ هالة فريد من رقم غير مسجل

لتتحدث معها وتعاود تهديدك لها وتخبرها أنك كنت على علم بما تفعله شريهان.

مصطفى بملامح وصوت إذعان يقول: لو كان هذا سيؤدي إلى رفع الظلم عن سلوى. افعل ما تراه مناسب.

محمد يتصل برقم الهاتف المحمول الخاص بهالة فريد ويعطي التليفون إلى مصطفى ليدور بينهما حديث كان صادماً لهالة وكاشفاً لمحمد؛ فقد أخبرها مصطفى أنه كان يعلم بما فعلته شريهان وكان ينوي مقاسمتها حصيلة ما تحصلت عليه لكنها استطاعت الفرار وهو الآن يريد مبلغ مليون دولار. وقد تظاهرت هالة بالموافقة وحددت معه ميعاد تلتقي به لتتأكد من صدق ما يدعيه. وبعدما تنتهي المحادثة يقول مصطفى بصوت غلفه الأسف:

اعتقد أنك الآن تصدقني. وعلى الرغم من ذلك فأنا المسؤول عن كل ضرر يقع بسبب الخطيئة النكراء التي ارتكبتها.

محمد بملامح ساكنة ونظرة كاشفة يقول بصوت غلفه اليقين: بالفعل أنت المسؤول عن كل ما حدث وكل ما يحدث للضحايا اللاتي كشفت عوراتهن وفضحتهن في شرفهم.

مصطفى بنظرة مبللة بدموع الخزى والندم يقول بصوت ألم: معك حق في كل ما تقوله.

محمد وقد نهض ولملم ما على المنضدة من أشياء تخصه يقول بصوت تأكيد وهو ينظر إلى مصطفى نظرة ثاقبة مزجت بين العتاب واللوم

والتحذير: عندما تتقابل مع هالة سأكون في الطاولة المجاورة لك. سأقوم بتسجيل حديثك معها. لا تنسى تتذكر أن هالة فريد عام ٢٠١٣م ليست هي هالة فريد عام ١٩٩٠م؛ هي الآن زوجة رجل مخابرات أمريكي يتستر خلف العمل الدبلوماسي. وقد يكون على علم بكل ما حدث وربما يكون على صلة بجماعة الإخوان.

مصطفى بنظرة استفهامية يقول: ماذا تعني بذلك؟

محمد: كل ما أقصده أن تكون حريص في كلامك معها ولا تجعلها تجذبك إلى أشياء بعيدة عما قصدناه. سأتصل بك لو جد جديد.

مصطفى ينهض قائلاً بصوت طاعة ونظرة تكاد تنطق بالندم والأسف والخجل: إن شاء الله سأفعل وبإذن الله سنوقف هؤلاء الشياطين عن فعلتهم الشنعاء النكراء. أراك على خير يا محمد. في رعاية الله.

وبعدما ينصرف محمد يظل مصطفى طوال هذا اليوم يفكر في هؤلاء الذين يتحدثون باسم الدين ويخدعون الناس وهم رافعين راية الإسلام يتشدقون باطلاً بأقوال رسوله الكريم، ويتساءل مع نفسه متعجباً مما آل إليه الحال؛ فيكف لمن يعرفون كتاب الله وسنة نبيه الكريم - عليه الصلاة والسلام - حق المعرفة أن يهددوا إمراة ضعيفة بنشر خطيئتها المسجلة بالصوت والصورة على العامة لو لم ترضخ وتنفذ مآربهم؟! هل الإسلام يحض على كشف العورات وقد جاء في نصوص القرآن نهي سبحانه وتعالى عن الجهر بالسوء حتى بالقول ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨] ويحض الخالق على لسان رسوله الكريم ﷺ بستر العورات «**مَن ستَر عورةَ أخيه المسلم، ستر**

الله عورته يومَ القيامة، ومَن كشفَ عورة أخيه المسلم، كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته»؟! هل يبيح الإسلام العقيدة الميكافيلية التي ترفع مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة»، وقد أوجب سبحانه وتعالى أن تكون الغاية والوسيلة متفقتان مع ميزان الشرع ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٣٥] ؟! وبنهاية نهار هذا اليوم استقر في وجدان ونفس مصطفى أن يقف بكل ما أُوتي من قوة في وجه هذا التيار المتأسلم الخادع الذي استغل الجهل والفقر والأمرض الاجتماعية والصحية والقهر والإذلال الذي يعيشه المصريين ليتسلق على معانتهم وعوزهم إلى الحكم مهما كانت الوسائل ومهما كانت النتائج.

❑❑❑

الحياة في بيت رفعت رشدي تبدلت من حياة سعيدة متفتحة يملؤها الأمل إلى حياة حزينة ساكنة بائسة تلونت باللون القاتم بعدما فقدت أهم مقومات سعادتها بدخول سلوى مجاهد قهراً في فلك الإخوان؛ فبمرور المهملة التي منحها رفعت لزوجته لتعود إلى رشدها وترجع عن مناصرة الإخوان، التي حتى أيام قليلة كانت من أشد مناهضي التيار المتأسلم، حدث الطلاق بينهما وسط دموع وصرخات رشدي ونهلة المتوسلة المترجية بتراجع أمهما عن موقفها الشاذ الغريب الذي جعلهم يظنون أنها فقدت عقلها أو وقعت تحت تأثير ساحر أو لمسها جان.

رشدي الشاب الذي تجاوز العشرين سنة ببضعة أشهر ويدرس في السنة النهائية بكلية الإعلام بإحدى فروع الجامعات الدولية بالقاهرة

اعتزل الظهور في الأنشطة الطلابية والاجتماعية والثقافية بعدما تعرض لحملة من التعريض والتشهير أجبرته على اتخاذ قرار بعدم الترشح لرئاسة اتحاد طلاب الكلية الذي ظل يشغل به منصب رئيس اللجنة الثقافية والإعلامية على مدار عامين. وبعد طلاق والديه تعرض لهزة نفسية افقدته الثقة بنفسه وبكل من حوله وعزلته عن الوسط الاجتماعي المحيط به ودفعته إلى الاتجاه نحو الدخول في دوامة الإلحاد ومحاربة عقيدة الإسلام.

نهلة رفعت الفتاة التي أكملت عامها الثامن عشر وتدرس في السنة الأولى بأكاديمية الفنون المسرحية (المعهد العالي للفنون المسرحية) قسم التمثيل والإخراج، ودفعتها موهبتها الفنية ومظهرها الكاريزمي البراق من الدخول في عالم التمثيل والوقوف على أول درجات سلم النجومية، وقعت في فلك الانحراف والتية بعد استسلام والدتها إلى فخ الإخوان؛ فبعد السقوط الدراماتيكي لسلوى في طاحونة مصالح الإخوان عزف صناع الفيلم والمسلسل المصري من الاستعانة بابنتها في أي عمل فني بعدما حققت في ظهورها الأولى على شاشة السينما والتليفزيون نجاحًا كبيرًا وضعها على الطريق السريع للنجومية فتهدمت أحلام نهلة على أعتاب الحملة الشرسة التي أُطلقت في برامج التوك شو بالقنوات الفضائية المصرية ووسائل الإعلام على الإنترنت. وبعد حدوث الطلاق بين والديها أصابتها حالة من عدم الاتزان النفسي دفعتها إلى مصاحبة مجموعة من أصدقاء السوء رأوا فيها لقمة سائغة يمكنهم أن يجدوا فيها ما يشبع مأربهم الدنيئة.

مصطفى عفيفي، المجرم التائب الذي سلك طريق الإيمان بقلب خاشع تخلص من الأحقاد وبمشاعر وأحاسيس بيضاء تطهرت من دنس الخطئية وبراثن الشر، ظل خلال يومين بعد لقائه بمحمد مجاهد يحاول إيجاد الطريقة التي يستطيع من خلالها التكفير عن خطيئته الشيطانية الشنعاء التي ارتكبها في الماضي وتسببت في كشف ستر وعورة أناس براء كفروا عن المعصية التي ارتكبوها تحت تأثير وسواسه الخبيثه حتى استقر في وجدانه أن يفعل أي شيء حتى يُخلص سلوى ونهلة من دنس الخطيئة الذي اشترك فيها واستغلها الشيطان وغرسها في حدائق الخبيثة ليحصد منها ثمار الدمار والخراب والشر.

قبل غروب شمس يوم السبت الموافق العاشر من شهر أغسطس ٢٠١٣م بوقت قليل بينما كان مصطفى يجلس مع زوجته خديجة في داره بقرية العمرة بمحافظة قنا يتشاور معها في اسم مولدهما المنتظر خلال الأيام القليلة القادمة حضر الشيخ عابد كعادته ليصطحب مصطفى معه لأداء صلاة المغرب في جامع القرية. وبعدما جلس الشيخ عابد على المصطبة الملاصقة للدار لاحظ مصطفى تعبيرات حزن محفورة على جبينه لم يعتاد عليها منذ ملازمته له فسأله بصوت شغف وفضول وهو يحاول تحسس ما بداخله من مشاعر:

لم أعهد الحزن في عيون شيخي الجليل من قبل. ما الذي يحزنك يا إمام.

الشيخ عابد يتأمل ملامح مصطفى بعيون فاحصة تعلقت بها أحاسيس قلق وحزن يقول بصوت علقت به نبرة عدم تفاؤول: يا ولدي أنا شيخ

تجاوز الثمانين من عمره ولم يعد لي بال ولا رغبة لحياة الدنيا، وكنت أتمنى أن أغادر إلى دار الحق وأنا مطمئن على حال المسلمين لكني استشعرت أن الدنيا قد دانت للمنافقين. لقد خدع المدعين بالإسلام كثير من المؤمنين لقد حق عليهم قوله سبحانه وتعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨].

مصطفى وقد تحسس دموع الشيخ عابد الصامته يقول بصوت استنكار غاصب: لولا ما حدث مع سلوى مجاهد كنت سأظل أصدقهم وأساندهم لكن الله كشف نواياهم الخبيثة. أنهم يدعون الكذب بأنهم يبغون الخير ويسعون لصالح حال المسلمين لقد حق عليهم قوله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

الشيخ عابد يضع يده على كتف مصطفى وهو ينظره بعيون حانية ودوده قائلاً بصوت غلفه الرضا والقبول: أنا أعلم جيداً ما بداخلك الآن يا ولدي. لقد أنعم عليك الله بنعمة الإيمان الصادق. لا تخشى شيء الضرورات تبيح المحظورات. إذا كان في استطاعتك رفع الظلم عن سلوى ونهلة فلا تتردد؛ فما يفعله هؤلاء المدعين الخوارج لابد من محاربته بكافة الوسائل.

مصطفى بنظرة باسمة وعيون تشع بمشاعر البنوة يقول بصوت تبجيل بنبرة ملؤها الحب: ما أسعدني بك يا إمام. لقد أرسلك الله لي لتضيء لي

طريق الإيمان. أريد قبل سفري إلى القاهرة أن استودعك زوجتي والمولود الذي انتظره ليكونوا في كنفك حتى ارجع لهما بإذن الله وقد رفعت الظلم عن الأشخاص الذين تسببت في إيذائهما، ولو شاء الله وحدث لي مكروه هما ابنتك وحفيدك.

الشيخ عابد بابتسامة حانية وعيون راضية يقول: اطمئن يا ولدي. سافر وستعود بإذن الله سالماً إلى زوجتك ومولودك القادم في القريب العاجل بعدما ترفع الأذى الذي تسببت فيه للغير. لا تشغل بالك بشيء يا ولدي.

مصطفى وما زالت النظرة الباسمة تعلو وجهه ومشاعر البنوة تتملك من ملامحه يقول: أنا أشعر أن المولى سبحانه وتعالى قبل توبتي ونصرني على النفس الشريرة التي كانت تسيطر علي. ادعو لي يا أمام.

الشيخ عابد وقد امتلأ وجهه بتعبيرات الرضا يقول بصوت يقين: اللهم إن عبدك التائب العاكف قد خلص التوبة ويتضرع إليك بالمغفرة فاعفو عنه وأصلح دنياه وثبت قلبه على الإيمان وانصره على أعدائك الذين يريدوا دحر الحق. سافر يا ولدي ولا تخشى في الله لومة لائم. اطمئن يا ولدي زوجتك ومولودك في رعاية من لا تضيع عنده الحقوق.

مصطفى يبتسم ابتسامة مضيئة بإيمانه بالله وهو يخرج ظرف من طيات ملابسه ليعطيه إلى الشيخ عابد قائلاً: هذا الخطاب هو وصيتي. لو رزقني الله بذكر اسميه عفيفي ولو جاءت انثى اسميها فريال. هذا الخطاب أسلمه إلى زوجتي لو لم يُكتب لي أن أرجع لها. الخطاب به كل ما لدي من مال وما علي من دين.

وما أن أنهى مصطفى كلامه حتى انطلق آذان المغرب لينهض الشيخ عابد وهو يمسك بعصاه التي يتعكز عليها ينظر إلى مصطفى نظرة طمأنة قائلاً: اطمئن يا ولدي. هيا حتى نلحق بصلاة الجماعة.

وبعدما يصلي مصطفى صلاة المغرب ثم صلاة العشاء جماعة بصحبة الشيخ عابد يعود إلى داره بعدما يودع إمامه بقلب يستشعر الإيمان وينبض بالتوبة الصادقة ليظل طوال فترة الليل وحتى مغادرته ليستقل القطار الذي سينقله إلى القاهرة يستعيد ذكريات الماضي البعيد وما فعله من أفعال شيطانية خبيثة كانت السبب في وقوع سلوى مجاهد ونهلة مشرقي فريسة في شباك شيطان رجيم ليعقد العزم متضرعاً إلى الله أن يستجيب لطلبه فيخلصهما من شباك هذا الشيطان حتى لو ضحى بحياته في سبيل ذلك.

❑❑❑

على الجانب الآخر ظلت هالة فريد بعد مكالمة مصطفى لها تخطط مع زوجها كيفة التعامل مع المستجدات الجديدة بعد ظهور نسخة من الشريط الخاص بها مع مصطفى، وبعدما استطاع ديفيد بولوك عن طريق الأجهزة الاستخباراتيه المعاونة له من التعرف على تحركات مصطفى ومحمد وسلوى وكل من له صلة بالشريط الذي يخص زوجته. وفي الميعاد المتفق على لقاء مصطفى مع هالة فريد والذي كان يوافق صباح يوم الاثنين ١٢ أغسطس ٢٠١٣م في أحد الكازينوهات التي تطل على كورنيش النيل بالمعادي حضرت هالة لتجد مصطفى في انتظارها على طاولة قريبة من تلك التي كان يجلس عليها محمد وبعيون ماكرة وملامح

ترقب تجلس في المقعد المقابل لمقعد مصطفى وهي تبتسم له ابتسامة صفراء قائلة بصوت ناعم:

ها قد أنا حضرت يا مصطفى.

مصطفى يتفحص ملامح هالة لبضع لحظات وهو يستعيذ بالله من الشيطان ليقول بعدها بصوت تساؤل: أنا لم أرى معكي حقيبة. لن أقبل شيكات.

هالة وهي تمعن النظر في عيون مصطفى تقول بصوت ساخر: ظننتك أذكى من ذلك. هل تتخيل أنني سأحضر معي هذا المبلغ الكبير دون تعهدات؟ أين دهاء ومكر الشاب الوسيم الذي عرفته من قبل؟! هل أكل السجن كل هذه الصفات.

مصطفى بعد بضع ثوان من الصمت وهو يتأمل ملامحها التي يظللها الخبث يقول بصوت غضب: لقد دخلت السجن على جريمة لم ارتكبها وأنتِ تعلمي ذلك جيداً.. ثم تحتد ملامحه ويرتفع صوته قائلاً بعد نظرة جسمت تعبيرات غضب دفين بعيون هافتة لسماع الحقيقة: من الذي دبر لنا جريمة جلب الهيروين وقتل أبي في المعتقل؟ أنتِ تعرفيه ووالدك يعرفه.

هالة بملامح باردة تقول بصوت تساءول هادئ: ما الذي سيفيدك لو عرفت الذي فعل ذلك؟ لقد طلبت مني مقابل نظير الأسطوانة التي في حوزتك.

مصطفى بصوت حرقة وملامح ظللها لهيب الانتقام بعدما تغلبت عليه وساوس شيطان الثأر: أنتِ وأبوكي اشتركتما مع توفيق العاصي في تدمير حياتي أنا وكريم.

هالة تقاطع حديثة قائلة بصوتاً كاشف وملامح تعجب: هل نسيت ماذا فعلتما معي؟! هل جئت هنا من أجل الحصول على المال أم جئت لنستعيد ذكريات مؤلمة لن نجني من ورائها شيء؟

مصطفى وقد استطاع أن يكظم بركان الغضب الذي تفجر بداخله عندما استعاد ذكريات الماضي يقول: متى وكيف سأحصل على المليون دولار؟

هالة وهي تبتسم له ابتسامة ملونة تقول: لقد مضى وقت طويل يا مصطفى؛ ما الضمانات التي تتخيل أنها تكفي حتى ندفن الجريمة البشعة التي ارتكبتها معي منذ ثلاثة وعشرين عام وتساومني عليها اليوم؟

مصطفى بملامح تساءول وعيون ترقب يقول: ما هي الضمانات التي تريديها؟

هالة وما زالت البسمة الملونة مرسومة على وجهها تقول: حياتك هي الضمانة الوحيدة التي تضمن لي أنك لن تعاود تهديدي مرة أخرى.

مصطفى بملامح تعجب وعيون تساءول فاحصة يقول: ماذا تقصدي؟

هالة بملامح تلونت بالرضوخ وعيون تظللت بالرغبة في غلق حسابات السنين تقول بصوت جمعت نبرته بين الترغيب والتحفيز والتهديد: قبل أن أعطيك المال الذي تريده يجب أن تعرف أن حياتك في مقابل تسريب هذه الأسطوانة أو ظهور أي نسخة مع أي شخص.. ثم تتنهد قائلة: الآن سأجيبك على سؤالك الذي ظللت طوال ما يقرب من ربع قرن تبحث له عن إجابة: توفيق العاصي هو الذي لفق لك

أنت وكريم جريمة جلب المخدرات التي قضيت بسببها عشرين عامًا في السجن وأنا الذي كشفت له سرك مع نهال عاصم. لقد تشفيت فيكما لما فعلتماه معي. لقد كنت تستحقان أكثر من ذلك. ربما أنا الآن مشفقة عليك! وربما أخشى مما لديك. لكن في النهاية لابد أن تعرف أنني كنت أستطيع التخلص منك بسهولة؛ فشخص مثلك له سوابق جنائية وسجل إجرامي وفي الظروف الحالية ليس له أي ديه ولن يبكي عليه أحد. فكر جيداً قبل قبول عطيتي التي ستكون طوق نجاة لك إذا أحسنت استغلالها، أما إذا أساءت استغلالها فستكون حبل المشنقة الذي سيزهق روحك.

مصطفى بعد استماعه بشغف لحديث هالة المطول وقد تموجت عيونه بأحاسيس الندم والغضب والخوف يقول بصوت تظاهر بالخنوع والاستكانة بعدما ردد بداخله دعاء «**أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِن شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرِكِهِ**»: اطلبي ما شئتي من ضمانات وأنا سأنفذها.

هالة تتفحص تعبيرات وجهه تقول بصوت ترقب وعيون مكر: هل تعرف أن سلوى مجاهد اعتكفت مع تيار الإسلام السياسي في رابعة العدوية؟

مصطفى بملامح صماء أخفت ورائها مشاعر توجست خيفة وشك يقول بصوت لامبالاة مصطنع: هذا شأنها. الأمر لا يهمني في شيء.

هالة بابتسامة ساخرة وعيون فاحصة تقول: هل نسيت ما كان بينكما؟

مصطفى بملامح زائغة وعيون كاظمة لمشاعر التوتر والقلق يقول بصوت شغف: هل تخبريني بالضمانات التي تريديها؟

هالة بملامح باردة ومشاعر صلبة تقول بصوت ثقة: سأعطيك المبلغ الذي طلبته وأنا على ثقة أن حياتك مهمة بالنسبة لك. هل معك الشريط؟

مصطفى بعدما يمعن النظر في عيون هالة يخرج أسطوانة مدمجة من طيات ملابسه ويعطيها إلى هالة قائلاً: اعتقد أن المال الذي ستدفعيه سيكون تعويض مناسب للمدة التي قضيتها ظلم في السجن وسنصبح متعادلين.

هالة بملامح تجاهل لما يقول تقول: نتقابل في بيت وصيفتي حنان الساعة السادسة صباح بعد غد سأجهز لك المبلغ المطلوب وستوقع أنك استلمت مني هذا المبلغ بعدما هددتني بهذه الأسطوانة.

مصطفى بنظرة تعجب وملامح ترقب يقول: وماذا لو رفضت أن أوقع على ذلك؟

هالة بصوت يقين وملامح ثقة: إذا كانت في نيتك الغدر فلن توقع؟ وإذا كنت صادق في اتفاقك معي فستوقع على تلك الورقة.

مصطفى وهو يتأمل ملامح هالة الواثقة يقول بصوت إذعان وقد تظاهرت ملامحه بالخنوع والرضوخ: موافق على شروطك. ما هو عنوان وصيفتك؟

هالة: سأتصل بك مساءً على هاتفك المحمول وأُبلغك بعنوانها.. ثم تصمت للحظات وهي تمعن النظر في ملامحه لتقول: بالمناسبة خليلتك

السابقة سلوى وصديقتها نهلة هما أيضاً مهددتان بالشرائط التي كانت في حوزتك. هل أعطيت الأسطوانات الخاصة بهما إلى جماعة الإخوان المسلمين؟

مصطفى بملامح متماسكة أخفت ما تحمله من قلق وتوتر يقول بصوت به حدة: أنا لم أعط أحد أي أسطوانات. ما هذا الذي تقوليه؟

هالة وهي ما زلت تمعن النظر إليه تقول: لو أنك الذي لم تفعل ذلك فمن الذي اسلم تلك الأسطوانات إلى جماعة الإخوان المسلمين؟!

مصطفى بعد لحظات من الصمت الحائر يقول: أنا لم أفعل ذلك ولم احصل على أي مبالغ من أحد. بكل تأكيد شريهان هي التي فعلت.

هالة بصوت كاشف وهي تهب بالانصراف: لقد فهمت الآن يا مصطفى. هذه الفتاة تلاعبت بك وأخذت منك كل الأسطوانات وخدعتك وباعت الأسطوانات الخاصة بسلوى ونهلة إلى جماعة الإخوان المسلمين وباعت لي الأسطوانة الخاصة بي. ومن سوء حظي أنك كنت تحتفظ بالنسخة الخاصة بي.. ثم تهز رأسها بملامح تساءول توحي بتعبيرات اتهام قائلة: وما أداني فربما تحتفظ بنسخ من الأسطوانات الأخرى.

مصطفى بصوت مكبوت: ربما يكون كلامك صحيح فيما يتعلق بشريهان. سأنتظر منك تليفون لتخبريني بالمكان.

هالة وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة صفراء وهي تنظر إلى مصطفى نظرة قائلة: سأفعل.

❒❒❒

بعد مغادرة هالة فريد وبعدما يتأكد محمد أنها رحلت بسيارتها يتوجه ليجلس على الطاولة التي يجلس عليها مصطفى وبعد فترة من الصمت الذي يتبادل خلاله الاثنان النظرات الصامتة يقول مصطفى بصوت استفهام وتعجب:

لقد نفذت ما أمرتني به بدون جدال رغم عدم إقناعي من جدوى تهديد هالة حتى أؤكد لك أنني على استعداد لفعل أي شيء في سبيل رفع الضرر الذي تسببت فيه. ما الذي سيفيد من تسجيل حديثي مع هالة فريد؟ وما الذي سيعود علينا من تهديديها؟ المشكلة كلها وجود هذه الأسطوانات مع الإخوان!

محمد وهو يتفحص ما تم تسجيله يقول: إذا لم ينفعنا ذلك فلن يضرنا في شيء.

مصطفى بعيون حماسية وملامح ملتهبة من شدة الغضب يقول بصوت انفعالي: لو استطاعنا الوصول إلى مكان حفظ هذه الأسطوانات وأخذناها سننهي هذا الموضوع.

محمد بعد نظرة تأملية ثاقبة يقول: اعتقد أن عودتك إلى اعتصام ميدان رابعة قد يسهل علينا التعرف على معلومات قد تفيدنا في التعرف على مكان هذه الأسطوانات.

مصطفى وقد لمعت عينيه يقول بصوت تعجب: هل تتخيل أن الأمر سهل بهذه الطريقة! أننا نبحث عن أبرة في كوم قش.

محمد وما زالت النظرة الثاقبة مطبوعة على ملامحه: هل تعرفت على أحد من القيادات البارزة من جماعة الإخوان المسلمين؟

مصطفى بصوت ارتياح وملامح قبول: نعم فقد تعرفت زوجتي على سيدة تُدعى وردة الوتيدي التي تدير المستشفى النسائي الميداني داخل الاعتصام.

محمد: أنا لم أسمع بهذا الاسم من قبل.

مصطفى: إنها ابنة إحدى زوجات الدكتور فضل المحلاوي العضو البارز في جماعة شورى الإخوان وكاتم أسرار المرشد العام للجماعة.

محمد وقد استحسن ما سمعه يقول بصوت شغف: كيف كانت العلاقة بينهما؟

مصطفى: لقد كانت تتابع زوجتي في حملها أثناء تواجدنا في رابعة ونشبت بينهما علاقة صداقة خاصة وأنهما ينتميان إلى نفس القرية، وهناك علاقات نسب ومصاهرة بين عائلتهما.. ثم يتابع كلامه قائلاً بصوت استفهام: لكن لماذا كل هذه الأسئلة؟

محمد وما زالت ملامح الشغف والترقب مرسومة على وجهه يقول: هل ما زال هناك اتصال بينهما؟

مصطفى: زوجتي تتصل بها من الحين إلى الآخر لتطمئن عليها وتسألها على بعض الأمور النسائية.

محمد: هل تعلم زوجتك سبب مغادرتك للاعتصام؟

مصطفى: لا.. ثم يتابع إجابته قائلاً: ما الذي تريد أن تتوصل إليه؟

محمد بصيغة تمني ورجاء يقول: هل يمكن أن تحضر زوجتك إلى ميدان رابعة؟ فهذه السيدة قد تكون الأمل الأخير في حصولنا على هذه الشرائط.

مصطفى وقد اختلط عليه الأمر يقول بصوت تعجب وملامح استفهام: أي سيدة؟!

محمد: وردة الوتيدي. ابنة الدكتور فضل؛ اعتقد أنها قد تساعدنا للوصول إلى هذه الشرائط.

مصطفى بعد بضعة ثوان من الصمت يقول: على الرغم أن هذا الفرض قد يكون ذو حظوظ ضعيفة وربما يسبب لزوجتي المتاعب الصحية إلا أنني سأفعل ذلك لأنني المسؤول عن هذه الجريمة، وأيضاً لثقتي أن زينب زوجتي لن تتردد في تقديم المساعدة أياً كانت درجة الخطورة التي ستواجهها.

محمد بملامح استحسان وهو ينظر مصطفى نظرة رضاء يقول: من الأفضل أن تذهب وتحضر زوجتك اليوم سأحجز لك في الطائرة التي ستتوجه مساء اليوم إلى الأقصر عسى أن تستطيع إحضار زوجتك غداً.

مصطفى وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة قناعة وإصرار يقول: سأتصل بأهل زوجتي بقرية العابدة وسأجعل أحد منهم يوصلها إلى مطار الأقصر لتستقل الطائرة التي ستأتي إلى القاهرة عصر اليوم وسنكون داخل الاعتصام اليوم بإذن الله. اطمئن يا محمد سيكون الله معنا ولن يخذلنا.

محمد بنظرة بيضاء يقول بصوت تفاءول: إن شاء الله يا مصطفى. سأتركك الآن فلم يتبق من أجازتي الشهرية سوى يومين ويجب علي أن أنهي بعض الأمور. أراك على خير يا مصطفى.

مصطفى يمسك بيد محمد وهو ينظره نظرة حانية يقول مودعاً: أراك على خير يا محمد.

وبعدما يغادر محمد إلى حال سبيله يقوم مصطفى بالاتصال بشقيق زوجته ويطلب منه توصيلها إلى مطار الأقصر لتستقل الطائرة المتوجهة إلى القاهرة فتصل عصر هذا اليوم. وبعدما يفصح مصطفى لزوجته عن خطيئته الشيطانية التي ارتكبها منذ أكثر من ثلاثة وعشرين عامًا والتي ما زالت أيديها الشريرة تكبل أعناق مؤمنات تائبات أخلصوا التوبة تبدي تعاطفها معهن وتعقد العزم والنية على مساعدتهن بكل الطرق فيتوجه الاثنان إلى ميدان رابعة العدوية وينضما إلى المعتصمين هناك وتتقابل زينب مع وردة وتعرض عليها ما حدث مع سلوى مجاهد ونهلة مشرقي فتتعاطف معها وتوعدها بأنها ستعمل كل ما في وسعها حتى تمنع هذه الجريمة النكراء التي تتنافى مع مبادئ الدين والأخلاق والإنسانية.

❑❑❑

الأوضاع المجتمعية في مصر خلال تلك الآونة كانت على المحك ومثل اعتصام رابعة العدوية وميدان النهضة بعد ما يزيد عن ستة أسابيع ببضعة أيام نموذج للغباء السياسي والميكافيلية المتخلفة للتيار السياسي المتأسلم الذي تحالف مع مدبري المؤامرة ضد الدولة المصرية على مدار ما يقرب من واحد وثلاثين شهرًا منذ السقوط الدراماتيكي لأجهزة الدولة المصرية؛ فقد ظنت جماعة الإخوان، وكثير من الجماعات البراجماتية المتسلقة على أدراج المؤامرة التي حاكها الغرب لتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير، إن أجهزة الأمن القومي المصري

التي طبقت استراتيجية الانسحاب التكتيكي من المشهد السياسي حتى تستعيد عافيتها وتجيش طاقتها لتواجه إخطبوط المخطط الغربي لن تقدر على مواجهة أذرع هذا الإخطبوط التي ستمتد لهم وتعيدهم إلى رأس السلطة وصدارة المشهد السياسي من جديد فتأسدت نفوسهم الشريرة ولم يبالوا بمصالح بلاد ولا عباد واستغلوا جهل وفقر وعوز الكثير من المصريين البسطاء الذين تظللوا تحت راية الدين أملاً في حماية الإسلام والدفاع عن الشريعة أو طمعاً في الحصول على مكاسب مادية كانت توزع على المعتصمين.

بعد نهاية صلاة العشاء يوم الثلاثاء الموافق ١٣ أغسطس ٢٠١٤م كانت وردة قد ذهبت بصحبة زينب إلى الخيمة التي تتواجد بها سلوى حيث استقبلتهما الأخيرة بملامح تعجب غاضبة حزينة بعدما أفصحت كل منهن عن شخصيتها. وبصوت حزين وملامح مقهورة تقول:

من الذي أرسلكما وماذا تريدان؟!

وردة بملامح تعاطف وعيون رجاء وتمني تقول: لقد قصت على زينب زوجة الأخ مصطفى عفيفي قصتك وأنا أريد أن أساعدك.

سلوى وقد هدأت ملامحها تقول بصوت استفهام: كيف تستطيعي مساعدتي؟

وردة بعيون كاشفة وملامح مُطمئنة تقول: يا دكتورة مهما كان الخلاف بيننا في الرأي والفكر ومنهج الحياة وطريقة التعبد فمن فعل هذا العمل الشيطاني الخسيس لابد من محاسبته، وإذا صح كلامك و كان

شياطين الأنس هؤلاء ممن ينتمون إلى جماعة الإخوان فأول من سيتقص منهم سيكون فضيلة المرشد.

سلوى بصوت علت به نبرة اليقين تقول بصيغة استفهام كاشف: هل ينكر أحد أن شوكت نيازي ينتمي إلى أنصار الشرعية؟

وردة: بكل تأكيد الشيخ شوكت هو أحد أهم قيادات التيار الديني السياسي وركن من أركان حركة دعم الشرعية ولاعب أساسي في تنظيم وتجيش اعتصام رابعة العدوية.

سلوى بعد ضحكة ساخرة وملامح باغضة تقول: أنه اللاعب الرئيسي في تدمير حياتي وانتهاك حرمتي وإباحة عرضي.

وردة وقد أكلت المفأجاة ملامحها تقول بصوت صدمة وتعجب: ماذا تقولي؟! هذا الكلام لا يمكن أن يكون صحيح. أنتِ بكل تأكيد لا تعي الحقيقة. فأنا على ثقة أن هناك سوء فهم في هذا الشأن.

سلوى بملامح إصرار وقد علت حدة صوتها إصرارًا: لو تريدي أن تتأكدي من صحة كلامي سأطلب مقابلته واختبئ وراء هذا الستار حتى تستمعي إلى حديثنا.

وردة وهي تنظر إلى سلوى نظرة فاحصة تقول: بكل تأكيد ولو صح كلامك فلكل حادث حديث.

سلوى تتوجه إلى مقر إقامة الشيخ شوكت نيازي بعدما تدبر أمر إخفاء وردة داخل الخيمة وتطلب الإذن بمقابلته في خيمتها لأمر مهم، وبالفعل يحضر الشيخ شوكت ومعه السيدة أم أمين ليدور بينها وبينه

حديث أثبتت خلاله صحة ما تدعيه ليغادر بعدها الخيمة وتخرج وردة من مخبأها وهي في حالة صدمة تحادث نفسها من شدة هول ما انكشف لها لتظل صامتة مذهولة لبضع دقائق تكاد الصدمة تذهب بعقلها حتى تستوعب أن سلوى تكرر سؤالها لها بصوت باكٍ مستغيث:

هل صدقتي ما قلته لك؟

وردة بملامح حائرة وعيون مصدومة تقول بصوت يقين: بكل تأكيد هذا الرجل يتصرف من تلقاء نفسه ولا يتبع منهج الجماعة.

سلوى بصوت ارتفعت حدته: هل تجيبيني على سؤالي. ما الذي ستفعليه؟

وردة تمسك بهاتفها المحمول وتجري مكالمة هاتفية لتقول بصوت استغاثة بعدما يرد عليها متلقي الاتصال: أبي. أرجوك. استحلفك بالله اعطي الهاتف إلى فضيلة المرشد فهناك أمر مهم لا يحتمل التأخير.. ثم تنظر إلى سلوى وهي تهمس قائلة: سأفتح الميكروفون حتى تسمعي حديثنا.

بعد بضع ثوان تسمع وردة وسلوى صوت يقول عبر الهاتف: السلام عليكم يا ابنتي. ما هذا الأمر الذي لا يحتمل التأخير؟

وردة بصوت استغاثة واستنكار تقص عليه قصة سلوى مجاهد وما شهدته وسمعته اليوم ثم تطلق سؤالها في نهاية كلامها: هل هذا يستقيم مع مبادئ الإمام الشهيد حسن البنا؟! هل هذا هو ديننا الذي يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟!

يتحدث المرشد عبر ميكروفون الهاتف المحمول بصوت كاشف قائلاً: يا ابنتي. المسألة منتهي منذ بدايتها؛ فعندما عُرضت علينا هذه الأسطوانات قررت قبولها وأتلفتها بنفسي. فقد رأيت أن أمنع الأذى عن هؤلاء النسوة وأحميهن من الطرف الذي يحوز هذا السلاح الشيطاني ضدهم؛ فلو رفضت قبول هذه الشرائط فقد كانت ستسغل ضدهم بالفعل من أشخاص آخرين.

وردة وقد هدأت حدة ملامحها تقول: لقد تحطمت حياة الدكتورة سلوى بسبب وجودها هنا.

المرشد: خطأ هذه السيدة كان دخولها في معترك السياسة الذي لا يعرف ثوابت أو ضوابط أو موانع أخلاقية. يا ابنتي تحطيم حياتها الأسرية كان أفضل بكثير من نشر هذه الأسطوانة عبر الميديا ليشاهدها العامة. أرجوكي يا ابنتي افهميها ذلك وطمئنيها أن الأسطوانات التي في حوزتنا أنا أتلفتها بنفسي.

وبعدما تشير سلوى بإلحاح عن رغبتها في الحديث تستأذن وردة لها المرشد لتتحدث إليه فتأخذ الهاتف وهي تمسح دموعها لتقول بصوت شغف مبحوح: السلام عليكم. هل تخبرني من الذي أعطاكم هذه الأسطوانات؟

المرشد بعدما يرد عليها السلام يقول: يا ابنتي من أعطى لنا هذه الأسطوانات يدير السياسة وفقاً لمصالحه التي وقفتي أنتِ في طريقها بصورة أو بأخرى. يا ابنتي لا تسأليني أكثر من ذلك. استعيذي بالله وادعو لنا أن نخرج من هذه الأزمة على خير.

سلوى بصوت باكٍ مكسور: أن الله لا يقبل الظلم. اللهم اني فوضت لك أمري.. ثم تعطي الهاتف إلى وردة لتنهي الحديث مع المرشد.

زينب بعدما تغلق وردة الهاتف بصوت حملت نبرته نغمات تساوؤل موجهة كلامها وردة: ما الذي يمكن أن تفعليه الآن يا دكتورة؟

وردة وهي تنظر إلى سلوى نظرة تعاطف وحسرة تقول وهي تتأهب لمغادرة الخيمة: اعتقد أن الأمر يتطلب منا التريث. في الصباح سأذهب إلى مقر فضيلة المرشد وسأحاول التشاور معه عسى أن نجد حل لهذا الموضوع الشائك. اتركما في رعاية الله.. ثم تلتفت وهي تخرج من الخيمة قائلة: استبشري بالله خيراً يا دكتورة.

وبعدما تغادر وردة الخيمة تظل زينب بصحبة سلوى تحاول مواساتها والتخفيف عليها حتى تغادر لتلحق بزوجها وقد قارب الليل أن ينتصف لتسكن سلوى مع نفسها تتذكر ماضيها وحاضرها وهي تدعو لأولادها بأن يحفظهما من كل شر حتى تذهب في النوم.

❑❑❑

قبل بزوخ فجر يوم الأربعاء ١٤ أغسطس ٢٠١٣م كانت سلوى تقرأ ما تيسر لها من القرآن الكريم بوجه مضيء وملامح ظللها القناعة والإيمان بقضاء الخالق فإذا تفاجأ بدخول زينب وهي في حالة اضطراب شديد وملامحها تكاد تنفطر من شدة الفزع قائلة بصوت استنجاد صارخ:

انجديني يا دكتورة لقد أخذوا مصطفى.

سلوى بعدما تستعيذ بالله وقد تعلقت بملامحها تعبيرات صدمة وفزع تنهض نحو زينب وهي تمسكها بقوة قائلة بصوت تساؤول حاد: من الذي أخذه ولماذا؟

زينب وقد انخرطت في البكاء تقول بصوت متقطع مضطرب: لقد اقتاده بعض المعتصمين المسلحين إلى خارج الميدان وقد علمت من حديثهما أنهم يتهمونة بالعمالة للشرطة. أرجو كي يا دكتورة ساعديني فأنا أخشى أن يفتكوا به.

سلوى تنزع يدها من على كتف زينب قائلة: هل تعرفي أحد من الذين أخذوه معهم؟

زينب: لا. ولكني سمعت أحدهم يخبر آخر بأن « الشيخ شوكت ينتظرنا هناك «.. ثم تتجسم ملامح الرجاء على وجهها وهي تقول بصوت توسل: أرجو كي اتصلي بالدكتورة وردة واطلبي منها أن تساعدنا.

سلوى تُخرج هاتفها المحمول من حقيبة يدها وتفتحه لتتصل بالتليفون المحمول الخاص بوردة فتجده مغلقاً لعدة مرات حتى يرن هاتفها فتجيب قائلة: محمد. الحمد لله أنك اتصلت. لقد أخذوا مصطفى.

محمد عبر الهاتف بصوت حاد: اسرعي بالخروج من هناك في أسرع وقت. لقد حاولت الاتصال بك أكثر من مرة وتليفونك مغلق. الشرطة ستفض الاعتصام، ومن المحتمل أن تحدث مواجهة مسلحة. غادري المكان فوراً.

سلوى وقد تملك الرعب منها تقول بصوت مرتعش ممسكة بيد زينب وهي تتوجه إلى خارج الخيمة: وماذا عن مصطفى؟

زينب وقد زادت حدة ملامحها توتر وقلق تقول بصوت صراخ وهي تحاول إيقاف سلوى: هل حدث مكروه إلى زوجي؟

سلوى وهي تجذب زينب لتغادر الاعتصام تقول: لا وقت لدينا سيتم فض الاعتصام الآن ومن المحتمل أن يحدث مصادمات مسلحة اسرعي لنغادر الميدان.

زينب وقد نزعت يدها من يد سلوى تقول بملامح إصرار وصوت حاد: لن إغادر الميدان حتى أجد زوجي. اذهبي أنتِ أن شئتي.

سلوى بملامح ذعر وصوت استعجال: وجودك هنا لن يفيد في شيء. اسرعي ليس هناك وقت.

زينب وما زالت ملامح الإصرار مرسومة على ملامحها تقول: اذهبي أنتِ يا دكتورة إلى حال سبيلك. سأبحث عن مصطفى.

سلوى تخرج مسرعة إلى خارج الخيمة وتتوجه نحو الحواجز الأمنية التي أقامها المعتصمين وتستطيع تخطي تلك الحواجز لتصل إلى خارج محيط الاعتصام في الوقت التي بدأت فيه قوات الشرطة في تطويق الطرق المؤدية إلى الاعتصام لتطلق بعدها الإنذار للمعتصمين تناشدهم خلالها بمغادرة الميدان فوراً، وتتعهد بعدم ملاحقتهم باستثناء الصادر بشأنهم أوامر الضبط والإحضار حيث خصصت لهم ممر آمن من طريق النصر باتجاه المنصة. وبعد خمسة وأربعين دقيقة من إطلاق

الإنذار تقدمت قوات الشرطة لتزيل الحوجز التي نصبها المعتصمين حتى تقوم بإخلاء الميدان وترفض العناصر المسيطرة على الميدان بمغادرته وتلقي الحجارة على الشرطة فترد عليها الشرطة باستخدام المياه وتتطور المواجهة بعدما تطلق العناصر المسلحة داخل الاعتصام ذخيرة حية يحدث عنها وفاة ضابط وأربعة مجندين شرطة لتتحول المواجهة من فض شغب إلى حرب بين قوات الشرطة والمجموعات المسلحة التي استخدمت الكثير من الأطفال والنساء والشيوخ كدروع بشرية مما خلف خلال تلك المواجهات ٦٣٢ قتيلاً وما يقرب من ١٤٩٢ مصاب.

مصطفى عفيفي الذي تم اقتياده إلى إحدى الخيام، التي كانت مخصصة لاستجواب الأشخاص المشتبه في أنهم مدسوسين من قبل قوات الشرطة ليكونوا عيون لهم داخل الميدان، تعرض خلال البضع ساعات التي سبقت فض الاعتصام إلى أشد أنواع التعذيب البدني فقد خلالها الوعي وكان بين الحياة والموت حتى استطاع بعض الأشخاص الذين كانوا محتجزين معه من الإفلات من مكان الاحتجاز وتهريبه معهم بعدما تركهم المكلفين باستواجبهم مع بداية المواجهات مع الشرطة. وقد تدهورت حالته الصحية نتيجة لاستنشاقه الغازات المسيلة للدموع خلال خروجه ليرقد في مستشفى الحسين الجامعي بين الحياة والموت في غيبوبة بعدما أصيب بارتجاج شديد في المخ والتهاب شديد في الرئتين بجانب الكدمات والسجحات والجروح القطعية التي أصيب بها من جراء التعذيب.

زينب استطاعت الخروج من الميدان مع بداية فض الاعتصام بصحبة عدد كبير من النساء والأطفال الذين لم يتم استخدامهم كدروع بشرية، وبمساعدة محمد وسلوى توصلت إلى مكان مصطفى في المستشفى في نفس يوم فض الاعتصام لتظل بجواره وتضع مولودها الأول عابد في اليوم الأخير من شهر أغسطس.

سلوى، التي تعايشت خلال شهر ونصف الشهر - فترة تواجدها في اعتصام رابعة العدوية - مع الكثير من الفئات المهمشة المستضعفة أصحاب الأفواه الجائعة والبطون الخاوية والعقول الفارغة التي استغلهم تيار الإسلام السياسي كوقود لقطار مطامعهم، تأثرت بصورة كبيرة بمشهد الأطفال والنساء والشيوخ العجزة الذي تم الدفع بهم ليكون الضحية التي يستغلها هؤلاء المكيافليين الجدد لاستجداء الدول الغربية لاسترجاع شرعيتهم الباطلة؛ فقررت بعدما استعادت توازنها النفسي أن تكرس وقتها وجهدها لدعم مشروع العشوائيات ولكنها اصطدمت بالعزلة الاجتماعية التي فُرضت عليها بعد تسيدها للمشهد السياسي في رابعة العدوية؛ حيث عكفت جميع وسائل الإعلام وجميع منظمات المجتمع المدني من قبول مشاركتها في أي دور أو ظهور لتصاب بحالة من الإحباط وخيبة الأمل وتقرر اعتكاف الحياة العامة والعزلة عن الناس خاصة بعدما ابتعد عنها أولادها (رشدي ونهلة) فتتوجه ليستقر بها المقام وتسكن بمدينة السادس من أكتوبر في شقة سكنية بالحي المتميز بمنطقة شبه خالية من السكان حتى لا يتعرف عليها أحد.

□□□

في صباح يوم السادس من أكتوبر ٢٠١٣م كانت سلوى تجلس في حجرة المعيشة بمسكنها بمدينة السادس من أكتوبر تشاهد وتستمع بشغف لخطاب الفريق أول عبد الفتاح السيسي وزير الدفاع فإذا بجرس هاتفها المحمول يرن فتجد أن رقم المتصل مجهول فلا ترد عليه فيعاود هذا الرقم الاتصال لعدة مرات ثم يترك لها رسالة نصية عندما تقرأها يسيطر على ملامحها الفزع والتوتر والقلق لتتصل به بعيون تحفز حتى يتسجيب فتقول بصوت حدة:

من أنت وماذا تريد؟

المتصل بصوت رجولة ناعم: هل قرأتي الرسالة.. اعتقد انك تعرفيني جيداً؟

سلوى وقد تضخمت ملامح الفزع على وجهها تقول بصوت فضول قلق: أنا لا أعرفك. ماذا تقصد بهذه الرسالة؟

المتصل: أنا في المقهى المقابل لمنزلك. سأنتظرك هناك؛ فحديثنا لن يجدي عبر الهاتف.

سلوى بصوت غضب مخنوق وملامح تكاد تنفجر من شدة الفزع والغضب والخوف: لو اقترب أحد من ابنتي نهلة لن يكفيني قتله.

المتصل بصوت ثقة: يا دكتورة. لن يستطيع أحد أن يقترب من ابنتك إذا استوعبتي جيداً ما سنطلبه منك. الأمر متروك لكِ. أنا في انتظارك.

سلوى تغلق الهاتف والدموع الصامتة تأكل عينيها تحرق ملامحها لتتوجه بصورة تلقائية تبدل ثيابها في عجالة وتغادر مسكنها لتتوجه

إلى المقهى المقابل وتجلس تنظر حولها بعيون زائغة وملامح باهتة فإذا بشاب في مقتبل العمر ذو مظهر ارستقراطي يقف أمامها مبتسماً ابتسامة ناعمة قائلاً:

أشكركِ أنكِ لبيتي دعوتي. اسمحي لي بالجلوس.

سلوى بعدما تنظره نظرة تأملية فاحصة وهو يجلس على المقعد المقابل لها تقول بصوت فضول: ماذا تريد؟

الشاب ذو المظهر الأرستقراطي: اسمحي لي بأن أقدم لك نفسي. أنا ستيف لامب الشافعي شاب من أم أمريكية وأب مصري. أعمل مدير تصوير لشركة EANDA المتخصصة في مجال الدعاية والإعلانات.

سلوى تقاطع حديثة قائلة بصوت به حدة وتعبيرات التوتر والقلق تأكل ملامحها: أرجوك أدخل في الموضوع بدون مقدمات. لقد أرسلت لي رسالة كان مضمونها «إذا كانت ذكريات الماضي المسجلة لن تخيفك فابنتك ستكون هي الأداة المستخدمة». هل تفسر لي معنى هذه الرسالة؟

ستيف يشير إلى النادلة لتحضر فيقول لها: من فضلك احضري عصير جوافة.. ثم ينظر إلى سلوى قائلاً: اعتقد أن الكابتشينو هو مشروبك المفضل.. ثم يلتفت إلى النادلة ليقول: كابتشينو وعصير جوافة طازج.

سلوى بعدما تغادر النادلة تكرر سؤالها: ماذا تريد؟

ستيف بملامح باردة يقول وهو ينظرها نظرة ثقة: ابنتك نهلة وقعت معنا هي ووالدها على عقد احتكار لشركة EANDA ستصبح

أهم فتاة إعلانات واعتقد أنها ستنطلق نحو السينما من خلال هذه الإعلانات.

سلوى وما زالت تعبيرات التوتر والقلق تسيطر عليها تقول: ما دخل ذلك بالرسالة التي أرسلتها لي عبر الهاتف المحمول الذي لا يعرف رقمه سوى أقرب المقربين لي.

ستيف: يا دكتورة. لقد حصلت على هذا الرقم من هاتف نهلة؛ فأنا الآن من الأصدقاء المقربين لها وإلى ابنك رشدي.. ثم يصمت لبضع ثوان وهو ينظر ملامح سلوى المترقبة لمعرفة ماذا يريد ليقول بعدها: هناك صديق مشترك بيننا يحتفظ بشيء يخصك دفع حتى يحصل عليه مبالغ كبيرة ليستر سرك.

سلوى بصوت مزج بين الاستفهام والتعجب: ماذا تقصد! ومن يكون هذا الصديق؟

ستيف وهو يتفحص تعبيرات وجه سلوى: صديقتك السيدة هالة فريد زوجة الدبلوماسي الأمريكي ديفيد بولوك هي الصديق المشترك بيننا. لقد دفعت مبلغ كبير حتى تحافظ على سرك وتمنع نشر خطيئتك على العامة.

سلوى بملامح منكسرة وعيون مقهورة تقول بصوت خنوع بعدما تخيلت ماذا سيحدث لها لو صح هذا الكلام: ماذا تريدون مني؟

ستيف وما زالت ملامح البرود مطبوعة على وجهه يقول بصوت استحسان: نحن لا نريد سوى مصلحتنا التي يمكنك عن طريقها من

الحفاظ على سرك وفي نفس الوقت يمكنك أن تحققكي مكاسب كثيرة من التعاون معنا.

سلوى وقد تعلقت بملامحها المكسورة تعبيرات فضول وتعجب واستفهام تقول: أنتم؟! أحقق مكاسب! هل تكشف عما تريد بصورة مجردة؟

ستيف: لقد صورنا فيديوهات خلال اعتصام رابعة العدوية نريدك أن تعرضيها على أنكِ التي قمتي بتصويرها. لقد تحصلنا لكِ على عرض في قناة الجزيرة مباشر مصر لتقدمي برنامج سيتيح لك عرض تلك الفيديوهات وتقديم ما سنطلبه منكِ.

سلوى بمشاعر مقهورة وإحاسيس مذلولة تجسمت خيوطها على تعبيرات ملامحها تقول بصوت مبحوح من شدة الكبت: من أنتم وما هي المصالح التي تتحدث عنها؟

ستيف بملامح ماكرة توحي بتعبيرات تحفيز وتهديد يقول بصوت ثقة: لو تريدي اعتبارنا المدافعين عن حقوق الإنسان فنحن كذلك. لو تريدي اعتبارنا أصحاب مصالح خاصة فلن ننكر ذلك. اعتبرينا كما شئتي. المهم هو تنفيذ ما نطلبه منكِ.

سلوى بملامح خوف ممزوجة بتعجب وتساؤول تقول بصوت إلحاح: ما علاقتكم بـ رشدي ونهلة؟ ما هذا التناقض المثير للشك والريبة؟ رشدي من ناصري الاشتراكية الثورية ونهلة فتاة ليبرالية متحررة!

ستيف بعدما تحضر النادلة المشروبات التي طلبها وتغادر الطاولة يقول: لا داعي للتعجب. نحن نقف مع الجميع في سبيل حماية حقوق الإنسان وحماية مصالحنا.. ثم يخرج من حقيبته التي يحملها ورقة يعطيها لها وهو يقول بصوت آمر: وقعي على هذا العقد. ستحصلي على خمسة وعشرون ألف دولار شهرياً بخلاف الفيلا والسيارة وتذاكر للسفر مرتين في العام على الخطوط القطرية. السفر خلال ثلاثة أيام. ستحضري إلى السفارة القطرية غداً ومعكِ جواز سفرك لتحصلي على الفيزا.. ثم يتوقف لبضع ثوان وهو ينظر إلى سلوى نظرة فاحصة وهو يخرج من الحقيبة أسطوانة مدمجة يعطيها لها قائلاً: هذه الأسطوانة نسخة لكِ حتى نطبق المثل العربي القائل «ليس بعد العين أين».

سلوى وقد أمسكت بالأسطوانة وملامح الانهيار تكاد تتغلب على وجهها تقول بصوت رضوخ المقهور: سأفعل كل ما تطلبه مني ولا أريد مقابل مادي كل ما أريده أن تبتعدوا عن رشدي ونهلة ولا تقحمهما في هذا الموضوع.

ستيف ينهض من على مقعده قائلاً وهو يتأهب للانصراف: اطمئني يا دكتورة أولادك في آمان. نحن نحافظ على حلفائنا ونحميهم. لا تنسي دفع فاتورة الحساب. سأنتظرك غداً أمام السفارة.

سلوى تهز رأسها قائلة بصوت إذعان وملامح استسلام: نعم.

سلوى تتابعه بنظرات قاتمة حانقة وملامح مقهورة أذلها الاستسلام حتى يركب سيارته التي كانت تقف بجوار المقهى وينطلق إلى حال سبيله، وتظل بعدها تجلس في حالة صمت لبضعة ساعات لا تعرف ماذا

تفعل وأين تذهب حتى ينهكها التفكير فتعود إلى مسكنها بمشاعر قهر وإذلال وإحساس بأن ما يحدث لها هو غضب من الله، وتظل تفكر فيما يمكن أن تفعله حتى تتخلص من قيود وأغلال خطيئتها التي تطاردها فتجد أمامها خياران كلاهما مر؛ فأما أن ترضخ للتهديد وتنفذ ما يُطلب منها ليظل سرها مستور وتمنع خطيئتها من العرض على الميديا، أم تتخلص من حياتها فتموت كافرة ولا تضمن ماذا سيفعل شياطين الأنس بهذه الخطيئة المسجلة، فتقرر الرضوخ لرغباتهم عسى أن تمنع الضرر عن أولادها وعائلتها وحتى يقضي الله أمراً كان مفعولا.

❑❑❑

مصطفى عفيفي الذي رقد في غيبوبة طوال ما يقرب من عشرين يومًا يفيق ويستعيد عافيته خلال ثلاثة أشهر من وصوله للمستشفى ليعود بعدها إلى قرية العابدة وهو يظن أن الفعل الشيطاني الذي ارتكبه منذ ما يزيد عن ثلاثة وعشرين عامًا قد دُفن في صفحات الماضي واستشعر بأن الله قد غفر له هذه الخطيئة السافرة فأكثر من الاعتكاف والزهد والتقرب إلى الخالق، وقد عزم النية وعقد العزم على أداء مناسك الحج ضمن أفواج الحج السياحي التي ستسافر يوم التاسع من أكتوبر وتعود يوم ١٨ أكتوبر.

وفي عصر يوم السادس من أكتوبر كان مصطفى قد حضر إلى مدينة القاهرة وقام بتوديع عمته قبل إحرامه إلى الأراضي المقدسة ثم يغادر منزلها ليتصل تليفونياً بعد تردد ورهبة بـ محمد مجاهد على هاتفه المحمول ليطمئن على حاله ويستسمحه بأن يغفر له خطيئته

حتى يسافر إلى الحج وقلبه مطمئن، كما يستسمحه بأن يتحدث مع شقيقته ويسترضيها حتى يسافر إلى الحج وقد اطمئن قلبه بأنه سيلاقي ربه بنفس راضية. وقد رحب محمد بهذه المكالمة ودعا له بأن يتقبل الله حجته ويغفر له ذنوبه وتأسف أنه لن يكون موجود في وداعه، وأعطاه رقم المحمول الخاص بسلوى وعنوان سكنها الجديد في مدينة السادس من أكتوبر ليقوم مصطفى بعدها بالاتصال بها لعدة مرات فلم تجيب، وقد تصادف أنه ذاهب إلى مدينة السادس من أكتوبر ليسلم أمانة أُعطيت له إلى أحد أقارب زوجته فيقرر زيارتها بعد تسليمه للأمانة التي يحملها.

ومع غروب شمس هذا اليوم كانت سلوى حبيسة مشاعر القهر والإذلال والخوف تجلس على مقعد هزاز بجوار الشرفة التي تطل على الشارع تحاول إيجاد مخرج لهذه الكارثة التي حطمت حياتها فلم تجد لها حل سوى الاستسلام لما يُطلب منها حتى لا تحطم حياة أولادها وحياة أبويها وشقيقها، ويتم نشر خطيئتها المسجلة على العامة من خلال الميديا. وبعدما قامت بمسح الدموع الصامتة الحارقة التي تعلقت بعينيها وسبحت على وجنتيها سمعت صوت الهاتف المحمول فاتجهت نحو الهاتف لعله يكون شقيقها أو صديقتها نهلة مشرقي أو والديها وعندما تتفحص الهاتف وتجد أن هذا الرقم اتصل بها لأكثر من عشر مرات فتجيب فإذا بها تفاجأ أنه مصطفى عفيفي يخبرها بأنه متواجد أسفل العقار ويلح في طلب مقابلتها فتخبره بدون تردد أو تفكير بأنها ستقابله في المقهى المقابل بعد دقائق معدودة.

وبعد بضع دقائق تحضر سلوى لتجلس على الطاولة التي يجلس عليها مصطفى تنظره بعيون مكسورة وملامح باهتة تاهت منها الروح تتمنى لو امتلكت عجلة الزمن لتمحو هذه الخطيئة التي أوقعتها في براثن الشيطان. وبعد بضع ثواني يتحدث مصطفى بصوت تمني وملامح رجاء قائلاً:

لقد ألححت في رؤيتك أولاً حتى أشكرك على معروفك معي أنا وزوجتي عندما كنت أرقد بالمستشفى، وثانياً جئت أطلب أن تغفري لي وتسامحيني على كل شيء حدث مني قبل أن أذهب لأداء مناسك الحج.

سلوى تبتسم ابتسامة يائسة وهي تنظره نظرة حزينة قائلة بصوت استفهام مخنوق: هل تعرف أنك النقطة السوداء التي لوثت وما زالت تلوث حياتي؟ ثم تتنهد نفس مكبوت وهي تقول: يا ليتني كنت استطيع محو الماضي الأسود الذي عشته معك. و كأن ما حدث بيننا سحر سفلي من عمل الشيطان.

مصطفى وهو يتفحص ملامحها اليائسة ونظرتها الحزينة المقهورة يقول بصوت مزجت نبرته بين نغمات الندم والأسف والرجاء: أنا مقدر حجم الخطيئة التي فعلتها في حقك وفي حق كل من طاله عملي الأسود. والحمد لله أنه عاقبني في الدنيا على هذا الفعل والحمد لله أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد. أرجو كي سامحيني؟

سلوى تتجسم ملامح السخرية السوداء على ملامحها وهي تقول: السحر الأسود الذي فعلته معي ما زال يطاردني.

مصطفى يلاحقها قائلاً بصوت تعجب واستفهام مصدوم: ماذا تقصدي؟!

سلوى: لقد ظهرت نسخة من عملك الأسود اليوم.

مصطفى بصوت استفهام وفزع وملامح اشتعلت من شدة هول الصدمة: هل ما زالت الجماعة تحتفظ بنسخة؟

سلوى وما زالت ملامح اليائس تسيطر عليها تقول بصوت ألم مقهور: لقد أرسلت لي هالة فريد شخص طلب مني أن أذعن لرغباتهم وإلا سيكون أولادي ضحية رفضي. ثم تجهش بالبكاء قائلة بصوت منهك: أنت الذي تسببت لي في كل هذه المتاعب. حسبي الله ونعم الوكيل.

مصطفى وقد طفحت على وجهه تعبيرات خزي وعار يقول بصوت انكسار مصدوم وعيون تعجب حائرة: هالة فريد! يا الله. ما الذي تريده؟ لقد انتقمت مني واشتركت في إدخالي السجن عشرون عامًا لماذا تفعل معكِ ذلك؟!

سلوى بعدما تمسح دموعها العالقة بعينيها تقول: الأمر لا يتعلق بانتقام.

مصطفى وما زالت عيناه تظللهما علامات التعجب والحيرة: ولماذا تهددك؟ وماذا تريد منك؟ وما علاقة أولادك بهذا الأمر؟!

سلوى بنظرة لامبالاة مقهورة وملامح أنهكتها أغلال وقيود الخوف تقول: أذهب إلى حال سبيلك يا مصطفى. سامحك الله على المصائب التي كنت السبب فيها.

مصطفى بعيون ندم وحسرة يقول بصوت تساوؤل وملامح تكاد تركع من شدة الرجاء والتمني: أنا على استعداد أن أضحي بحياتي في مقابل رفع الضرر الذي تسببت فيه. ما الذي أستطيع فعله؟

سلوى بصوت يائس: لن تقدر على فعل شيء. سأظل أدفع ثمن هذه الخطيئة. اذهب إلى حال سبيلك يا مصطفى.

مصطفى وهو يتفحص نظرات سلوى المكسورة وتعبيراتها التي تئن من الظلم والقهر وقد اشتعل بركان الإحساس بالذنب يقول بصوت إصرار: أقسم بالله أنني لن أتركهم يفعلون ذلك حتى لو ضحيت بحياتي. أرجوكِ اعطيني الفرصة حتى أكفر عما ارتكبته في حقك وفي حق الآخرين.

سلوى بصوت لامبالاة تقول: اتركني يا مصطفى واذهب إلى حال سبيلك.. ثم تتشبث بملامح الأمل قائلة بصوت يقين: الله موجود هو أعلم بما في نفسي وله في ذلك حكم.

مصطفى: هل أبلغتِ محمد بما حدث؟

سلوى: وماذا سيفعل محمد؟

مصطفى: الأسطوانة التي تخص هالة ما زالت في حوزته واعتقد أن ذلك قد يساعدنا في التفاوض بشأن الأسطوانات الأخرى.

سلوى: لن يستطيع محمد فعل شيء. سبحانه وتعالى هو القادر على إخراجي من هذه الكارثة. اذهب إلى حال سبيلك.

مصطفى وقد تجسمت مشاعر الغضب بداخله وهو يتأهب للرحيل يقول بصوت يقين وملامحه تكاد تصرخ من الندم والإحساس بالذنب: سيأتي فرج الله قريب تذكري قوله تعالى في سورة التحريم ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١]. استودعك الله يا سلوى. لا تيأسي أن فرج الله قريب.

سلوى تبتسم ابتسامة حزينة وتقول بصوت يتشبث برحمة الله: اللهم أني أسالك الرضا بعد القضاء.

❑❑❑

مصطفى يغادر المقهى وهو في حالة نفسية سيئة فتتلقفه أمواج ذكرياته حتى يجد نفسه أمام الفيلا الخاصة بـ نهال عاصم فيطرق الباب ويستعلم من الفتاة التي فتحت له عن صاحبة الفيلا ليفاجأ بموتها منذ ثلاثة أيام فيبكي بكاءً شديدًا وهو يهزي قائلاً بصوت ندم وألم:

سبحان الذي لا يموت. يا رب لقد كنت أتمنى أن تؤكد لي أنها سامحتني قبل أن أسافر للحج. اللهم تقبلها برحمتك. اللهم رحمتك وغفرانك.

الفتاة التي تقف على باب الفيلا بعدما تتفحص ملامحه بتعجب تقول:

من أنت؟!

مصطفى يستفيق من هزيانه ويمسح دموعه لينظر إلى الفتاة نظرة تائهة قائلاً بصوت حملت نبرته نغمات حائرة: أنا. أنا. أنا مصطفى عفيفي. صديق قديم للعائلة.

الفتاة بملامح ثائرة تقول بصوت تعجب واستفهام حاد: أنت مصطفى عفيفي. هل جئت صدفة أم أرسلك الشيطان الذي تسبب في وفاتها؟!

مصطفى يتوقف بضع لحظات ليستوعب ما قالته الفتاة بنظرة استفهام وتعجب حتى يقول: من أنتِ؟ وماذا تقصدي بهذه الكلمات؟

الفتاة: أنا فاطمة. جدي كان يعمل جانيني عند والد السيدة نهال بعد وفاة جدي لم يكن لي مأوى فانتقلت للعيش مع السيدة نهال وكنت أرعاها.. ثم تنهمر في بكاء شديد وهي تقول: لقد كانت تعتبرني مثل ابنتها. الله يرحمها لقد سترتني في حياتها وبعد وفاتها.

مصطفى بصوت فضول وملامح شغف يقاطع حديثها قائلاً: أنتِ تعرفي اسمي! ومن الشيطان الذي تتحدثين عنه الذي تسبب في وفاتها؟

فاطمة: منذ أسبوع تقريباً حضر إلى هنا شخص يُدعى ستيف يتحدث العربية باللهجة المصرية بطلاقة وتقابل مع السيد نهال وبعدما رحل واجهت سيدتي حالة نفسية سيئة وتدهورت حالتها الصحية وكانت تهزي وهي على فراش الموت بعلاقتها بك وما حدث لها بسبب هذه العلاقة وعن الذي طلبه منها الشخص الذي يُدعى ستيف وماتت وهي تدعو الله بالمغفرة والرحمة.

مصطفى وقد اشتعلت ملامحه غضبًا يلاحقها بصوت حدة غلفه الشغف: هل تعرفي ما الذي حدث بينها وبين هذا الشخص؟

فاطمة: لقد كانت رحمها الله على فراش الموت تهزي بكل ما حدث لها وكأن القدر ساقني لأشهد على ما حدث لها. لقد طلب منها هذا

الشخص الظهور في برنامج تلفزيوني لتحكي بالباطل أن زوجها طلب منها الاتصال باتباع حسني مبارك ليدبروا للعودة للسلطة وإذا رفضت ذلك سينشر فضيحتها على الإنترنت.. ثم تجهش بالبكاء وهي تقول: الله يرحمها لم تحتمل ما حدث فتدهورت حالتها الصحية وتوفيت بعدها ببضعة أيام.

مصطفى بعيون مصدومة ومشاعر حزن شديد وهو يتجنب النظر إلى فاطمة يقول وهو يغادر: الله يرحمها ويغفر لها ويجازيها على ما فعلته في نهاية حياتها.

بعدما يغادر مصطفى فيلا نهال عاصم يتوجه بدون تردد إلى شركة السياحة ويلغي سفره ثم يتوجه ليقيم بفندق قريب من المبنى المخصص لإقامة الدبلوماسي ديفيد بولوك وزوجته هالة فريد وقد استحوذ على مشاعره وتفكيره فكرة الخلاص منهما حتى لو كان الثمن حياته.

❑❑❑

وفي صباح اليوم التالي تتوجه سلوى إلى السفارة القطرية وتتقابل مع ستيف لينهي لها إجراءات حصولها على الفيزا ويعطيها تذكرة الطيران ويقوم بتوثيق العقد المبرم بينها وبين شركة EANDA لتنصرف بعدها لتعود إلى منزلها وهي في حالة استسلام وخنوع بعدما شعرت أن مخالب الشيطان قد أحكمت قبضتها على مستقبل أولادها ولم يعد أمامها بُدٌّ إلا الرضوخ لمطالبه مهما كلفتها من مشقة أو معاناة نفسية. وتمضي ساعات بعد عودتها إلى المنزل وهي تستعيد ذكريات الماضي البعيد تتفحص ألبوم الصور الخاص بها تتحدث مع هواجسها تناشدهم تصرخ تبكي تتضرع

إلى الخالق سبحانه وتعالى أن يسترها ويحمي أولادها ويحفظهم من شرور أنفسهم ومن شرور شياطين الأنس التي تحيط بهم. وبينما صراخ سلوى وحديثها مع نفسها يملأ جنبات الحجرة بمشاعر يأس حزينة مقهورة فإذا بجرس التليفون الداخلي للعمارة يرن لعدة مرات حتى تتوقف سلوى عن صراخها وتتوجه لتجيب بصوت متحشرج مخنوق:

نعم.. ثم تتوقف لعدة ثوان وهي تمسح دموعها لتقول: لم يعد هناك شيء نتحدث فيه يا مصطفى. أرجوك اتركني.

مصطفى عبر الهاتف بصوت يكاد يركع من شدة التوسل والرجاء: أرجوك يا دكتورة. ربما يكون هذا اللقاء هو أخر عهدي في هذه الدنيا. استحلفك بالله أن تأتي.

سلوى تغلق المكالمة وتتوجه بصورة تلقائية لتبدل ثيابها وتتجه إلى المقهى المجاورة لمسكنها لتجد مصطفى في انتظارها بملامح تشع بالغضب الكامن والشعور بالانتقام حتى أن جلست على المقعد المقابل للمقعد الذي يجلس عليه تقول بصوتها المجروح وهي تنظره نظرة تأملية فاحصة:

ماذا تريد يا مصطفى؟

مصطفى: أريد أن أقابل هالة فريد وزوجها.

سلوى: ماذا! وما الذي سيفيد في ذلك؟.. ثم تصمت لبضعة ثوان وهي تنظر تعبيرات مصطفى الملتهبة لتقول بصوت غلفه التساؤل والتعجب: هل تعتقد أنهما لم يضعا في حساباتهما نسخة الأسطوانة

التي في حوزتنا. لم يعد أمامي بُدٌّ من الاستسلام لرغابتهم. الأمر ليس كما تعتقد. الأمر لم يعد يقتصر علي وحدي لقد توصلوا إلى أولادي. أرجوك اتركني في حالي.

مصطفى وقد زاده حديث سلوى إصرارًا يقول بصوت يقين: الصراع بيننا وبين هالة فريد وزوجها لم يعد صراع شخصي لكنه أصبح صراع بين الخير والشر. حرب يديرها الشيطان وأعوانه ضد الدين والوطن.

سلوى وقد توجست خيفة من هذا الكلام تقول بصوت تعلقت بنبرته المتحشرجة المخنوقة نغمة تعجب وقلق: ما هذا! ماذا تريد؟ افصح عما بداخلك.

مصطفى: كنت أظن أنني وفيت الدين تجاه كل من ظلمتهم. لكنني فؤجئت أن هذا الدين ما زال في عنقي. لقد ألغيت سفري اليوم ولن أعود إلى داري حتى أوفي هذا الدين أو أهلك دونه.

هالة وقد استشعرت مشاعر اضطراب نفسي وعدم اتزان تكمن بداخل مصطفى تقول: أرجوك ابتعد عن طريقي. كفاك ما سببته لنا من كوارث. أنا لا أريد المخاطرة بمستقبل أولادي.

مصطفى يقول بصوت حسرة وألم وملامحه تكاد تنفتق من شدة الإحساس بعذاب الضمير: بالفعل لقد تسببت في تحطيم حياتك وحياة نهلة ونهال.. ثم يتوقف بعدما ينطق بكلمة نهال وملامحه تكاد تصرخ من شدة ما يعانيه من ألم نفسي ليقول بصوت بكاء صامت: نهال عاصم

المرأة التي أضاءت لي طريق الهداية وعاشت حبيسة خطيئتها تكفر عنها طوال خمسة وعشرين عام لم يرحمها هؤلاء الشياطين وهددوها بفضح أمرها.

سلوى تستوقفه بملامح ذهول لتسأله بصوت تعجب صارخ: نهال عاصم! ما الذي يمكن أن تقدمه لهم؟!

مصطفى: كانوا يريدوا أن تظهر في برنامج تلفزيوني يحاك ليظهر أن النظام القديم سيعود من جديد وأن توفيق العاصي طلب منها الاتصال بحاشية النظام السابق أو كما يطلقون عليهم عناكب الدولة العميقة بعد سقوط دولة الإخوان ليعود جنرالات الفساد ويعتلوا المشهد السياسي.

سلوى بملامح تصرخ من هول ما سمعت تقول بصوت فضول: هل رضخت نهال لمطالبهم؟

مصطفى وملامحه الساكنة تعتصر ألماً يقول: لن ترضخ لمطالبهم. أنها الآن بين يدي الله.

سلوى بصوت صدمة: ماتت! كيف؟

مصطفى: رحمها الله. لم تقدر على تحمل الموقف وماتت بعد تهديدهم لها ببضعة أيام.

سلوى بمشاعر خوف وفزع تقول بصوت مزجت نبرته بين نغمات رجاء وتعنيف وهي تسرع بمغادرة المقهى بعدما قرأت رسالة جاءت إليها على هاتفها المحمول: استحلفك بالله أن تبتعد عني ولا تحاول الاتصال بي مرة أخرى. اتركني إلى حالي.

مصطفى يحاول اللحاق قائلاً بصوت استفهام ممزوج بتمني ورجاء: ماذا حدث؟ أرجو كي أنا لم أكمل كلامي معك.

سلوى تلتفت له وتقول بصوت حدة: قلت لك ابتعد عني. كفانا ما أصابنا بسببك. لا تحاول الاتصال بي.

مصطفى يتراجع عن ملاحقتها ويجلس في مقعده يتابعها حتى تخرج من المقهى وتدخل إلى مسكنها في العقار المقابل وهو يتساءل مع نفسه عن سبب مغادرتها بهذه الطريقة المفاجئة. وبعد عدة دقائق من مغادرة سلوى وبعدما يتناول مصطفى فنجان القهوة الذي طلبه يغادر المقهى بعدما جال في خاطره فكرة الذهاب إلى منزل سيف العدل النجدي أحد الأشخاص الذي ينتمي إلى الجماعة السلفية الجهادية وكان يرافقه بميدان رابعة العدوية عسى أن يجد عنده الوسيلة التي سيصل بها هالة فريد وزوجها ليتخلص منهما ويُخلص الناس من شرهما.

❑❑❑

بمجرد دخول سلوى إلى مسكنها يرن هاتفها المحمول فتجيب بصوت فزع وملامحها ترتجف من شدة الخوف:

ما هذه الرسالة التي أرسلتها لي؟ لقد نفذت كل ما طلبته مني.

المتصل: هل كنتِ تظني أننا لم نضع مصطفى تحت أعيوننا؟ الاقتراب من هذا الشخص سيسبب لكِ المتاعب.

سلوى وما زالت ملامحها ترتجف من الفزع والخوف تقول: يا أستاذ ستيف أنا أبلغته أن يبتعد عني ويتركني في حالي. أرجوكم لا تقحموا أولادي في هذه اللعبة. أنا سأنفذ كل ما ستأمروني به.

ستيف وقد تحولت نغمات التهديد التي حملتها صوته إلى نغمات ترغيب وتحفيز يقول: يا دكتورة أنتِ معنا ستكوني في آمان وسيحقق أولادك كل أحلامهم. بالمناسبة اتصلي بابنتك وهنئيها فقد تلقت عرض للمشاركة في فيلم أمريكي مع خالد أبو الوفا وخالد الحموي وعمرو شاهد وكوكبة من نجوم هوليود.

سلوى وقد توقفت ملامحها الفزعة من الارتعاد ويرتسم على تعبيرتها القلقة خطوط تعجب واستفهام تقول بصوتها المبحوح: فيلم أمريكي! مع هؤلاء الثلاثة.

ستيف بصوت كاشف: يا دكتورة. يجب أن تستوعبي ما يدور حولك.

سلوى بصوت لامبالاة: لم يعد لي طاقة أو قدرة على استيعاب شيء. ولم يعد لي حرية الاختيار. لو كان الأمر بيدي ما كنت أوافق على ذلك؛ ثلاثة من البرادعوية يدخلون هوليود. وابنتي تشارك معهم.

ستيف بصوت ساخر: لا تتعجبي. أسلوب الحياة يتغير وكل إنسان يبحث عن مصلحته. أنه الاحتراف يا عزيزتي الذي لا يعرف سوى المصلحة. هل كنت تتخيلي عام ١٩٩٠م أن حسام حسن وإبراهيم حسن سيلعبان للزمالك؟

سلوى بملامحها المنكسرة التي كستها تعبيرات تعجب: الاحتراف! حسام حسن وإبراهيم حسن!.. ثم تتنفس نفسًا عميقًا لتقول بعدها بصوت استسلام: سأكون بالمطار في الميعاد المحدد للسفر. لقد نفذت ما طلبتموه مني.

ستيف: حتى نلتقي بالمطار لا تفعلي أي شيء قبل أن تراجعيني فيه. اهتمي بنفسك. أراكي على خير.

سلوى: إن شاء الله.. ثم تغلق الهاتف وتتجه بخطوات بائسة يائسة ومشاعر محبطة مقهورة نحو حجرة نومها لتُلقي بجسدها المثقل بالهموم على السرير وتظل ساكنة به لبضع ساعات حتى يغلب عليها النوم تصارع هواجسها وتقاتل خيالات الشر التي تهدد حياتها وحياة أولادها وتجبرها على الرضوخ والاستسلام والخنوع لرغبات شيطانية خبيثة.

❑❑❑

بعد مغادرة مصطفى للمقهى يتوجه إلى حي منشية ناصر حيث يسكن سيف العدل النجدي لعله يجد عنده الحل ليتخلص من هالة فريد وزوجها بعدما استقر في نفسه أن قتلهما هو انتصار للخير على الشر حينما عجز عن إيجاد وسيلة يمنع بها تهديدهما لكل من سلوى مجاهد ونهلة مشرقي ويثأر لوفاة نهال عاصم. وبعد معاناة في البحث عن منزل سيف العدل، الذي يقع وسط أكواخ من الخشب والصفيح لا تصلح لسكن الطيور والبهائم ويسكنها بشر يختلط عرق شقائهم للحصول على لقمة عيشهم بعرق الإذلال والقهر وقسوة الحياة، بشر فقدوا الإحساس بإنسانيتهم وتعايشوا مع عبوديتهم المفروضة عليهم وتشبعوا بسيكلوجية الحيوانات الضالة على اختلاف أشكالها وأنواعها. يصل مصطفى إلى العشة التي يقيم بها سيف ليتقابل معه وقد تحملت مشاعره بخليط من مشاعر الحقد والغضب واليأس والرغبة في الانتقام المغلفة بإحاسيس واثقة أن غاية

قتل هؤلاء البشر هو انتصار للخير ودحر للشر لتتلاقى غايته مع غاية الجهاديين التكفريين الذين يستبيحوا القتل وفقاً لمفاهيم جاهلة لا تختلف خطورتها الإجرامية عن تلك التي يتبناها من دبروا لهدم الأوطان العربية والإسلامية وهم يرتدون أقنعت الدفاع عن حقوق الإنسان ونشر مفاهيم الحرية والعدالة الاجتماعية وإن اختلفت مفاهيم ووسائل تنفيذ الشرور التي يبتغوها.. بعدما يتبادل الاثنان السؤال عن الحال والأحوال ويفصح مصطفى عن نيته في قتل دبلوماسي أمريكي وزوجته يصطحب سيف العدل مصطفى بدراجته البخارية وقد أمره بالتوقف عن الحديث في أي موضوع حتى يختلي به ليجلس الاثنان على سفح هضبة المقطم في منطقة خالية من العمران. وبمجرد توقف الدراجة البخارية يهبط سيف العدل ويهرول نحو سور الهضبة ليجلس وهو يتفحص مصطفى بنظرة حيطة وملامح تساؤلية قائلاً:

لماذا تخبرني بهذه الرغبة؟ أنت لا تعرفني جيداً ولا تعرف عني شيئًا سوى أنني أنتمي إلى حزب البناء والتنمية. أننا تزاملنا لعدة أيام في اعتصام رابعة ولم أكن من المقربين لك. هل أخبرك أحد أني عضو في تنظيم القاعدة؟

مصطفى بملامح ثائرة وعيون تبحث عن المساعدة يقول بصوت استنجاد ورجاء: أرجوك ساعدني في هذه المهمة.

سيف بعد نظرة تعجب يقول بصوت استنكار: أيه مهمة. هل تعتقد حتى لو وافقتك الرأي أنك بمساعدتي ستستطيع الوصول إلى الأشخاص الذي تتحدث عنهم؟ دبلوماسي أمريكي وزوجته!

مصطفى بملامح ترغيب وصوت تحفيز يقول: لو ساعدتني في تنفيذ هذه المهمة سأعطيك مليون جنيه مكافأة.

سيف بملامح تعجب ومشاعر يراودها القبول يصمت لبضع ثوان يتأمل تعبيرات مصطفى المليئة بالإصرار والرغبة على تنفيذ ما يطلبه ثم يقول بصوت يبشر بالرضاء: مليون جنيه! اعتقد أنه مبلغ كبير سيساعد كثيراً في فعل الخير. لكن اخبرني لماذا اخترت هذه الأشخاص وما الذي يدور في رأسك. وكيف أستطيع مساعدتك؟

مصطفى بملامح جسمت مشاعر الكراهية والبغض التي تملأ صدره تجاه هالة وزوجها يقول بصوت غل ورغبة في الانتقام: أنهم أشد أعداء الإسلام يمكرون لنا ويكيدوا ويدبروا الدسائس حتى نتناحر.

سيف يقاطع حديثه قائلاً: أفصح عن السبب الذي بداخلك. لا تخفي عني شيئًا إذا أرادت مساعدتي. أعداء الإسلام كثيرون. لماذا أخترت هؤلاء على سبيل الحصر.

مصطفى وهو يتفحص ملامح سيف التي تشع غلظة وقسوة يقول بصوت مغلول: لقد اكتشفت مدى خطورة شرهم بعدما.. ثم يتوقف عن الكلام وقد تعلقت بملامحه تعبيرات التردد والحيرة.

سيف وقد استشعر أن الدافع الذي يبطنه مصطفى شخصي تزداد حدة نظرته تساءول قائلاً وهو يمعن النظر في تعبيرات مصطفى الحائرة الثائرة المترددة: لماذا توقفت عن الحديث؟ اكتشفت خطورة شرهم بعد ماذا؟

مصطفى وماذا زالت ملامح الحيرة والتردد تعلو وجهه يقول: لقد تسببوا في وفاة امرأة مسنة رحمها الله كانت من العابدات التائبات العاكفات بعدما هددوها بماضيها.. ثم يتوقف للحظات لينظر إلى سيف نظرة إصرار قائلاً بصوت يقين آمر: لا تسأل عن شيء. فأنا لن أخوض في أعراض الموتى.

سيف يهز رأسه قائلاً: لا عليك. غايتنا واحدة. اخبرني متى ستحضر المال؟

مصطفى بملامح قبول وصوت تساؤول: جزالك الله خيراً. متى وكيف سننفذ في هؤلاء الشياطين القصاص؟

سيف: الأمر يحتاج إلى تخطيط ودراسة متأنية وليس بهذه السهولة. أنت تتحدث عن مكان محصن وكأنه قلعة حربية؛ منزل دبلوماسي أمريكي.

مصطفى بملامح إصرار يقول بصوت عزيمة: سأشترك في عملية التنفيذ. وسأنفذ كل ما يُطلب مني حتى أُخلص الأبرياء من شرورهم.

سيف بعدما يتفحص ملامح الإصرار المرسومة على وجه مصطفى يقول: بكل تأكيد ستشترك في عملية التنفيذ. وسيجازيك الله الخير على ما ستفعله. في لقائنا القادم احضر معك جزءًا من المبلغ الذي تبرعت به في سبيل الله حتى نجهز العدة والسلاح الذي سننفذ به العملية.

مصطفى بصوت تساؤول وملامح خالية من الشك والتردد: هل يكفي مائة ألف؟

سيف بتعبيرات آمرة يقول بصوت كاشف: الأمر يتطلب شراء سلاح آلي وقنابل يدوية وسيارات دفع رباعية. اجعلهم مائتي ألف.

مصطفى بملامح إذعان يقول: وهو كذلك. إن شاء الله سأجهز المبلغ. متى سنتقابل؟

سيف: هذا يتوقف عليك. لو تريد نتقابل غداً في نفس المكان.

مصطفى: يصعب علي الوصول إلى هنا بدونك. سأحضر غداً قبل صلاة العصر. اعطيني رقم هاتفك الجوال وسأتصل بك بعدما أصرف المبلغ من البنك لنتفق على الميعاد والمكان.

سيف وقد ارتسمت على ملامحه الغليظة تعبيرات رضاء يخرج هاتفه المحمول من طيات ملابسه ويقول: اعطيني رقم هاتفك وسأرن عليك.

مصطفى يعطيه رقم هاتفه وينتظر حتى يرن هاتفه فيقول وهما يتجهان ليستقلا الدراجة البخارية: لو تسمح انزلني في أقرب مكان للعمران حتى استطيع ركوب تاكسي.

سيف: اعذرني لن أستطيع توصيلك إلى خارج منشية ناصر الدراجة البخارية بدون لوحات. سأوصلك إلى أقرب موقف لتستقل منه توكتوك أو سيارة نقل لتوصلك إلى خارج المنشية.

مصطفى يهز رأسه قائلاً: لا عليك.

وبعد بضع دقائق يصل الاثنان إلى موقف للتوكتوك ويستقل مصطفى مركبة تنقله إلى خارج منشية ناصر ليستقل بعدها تاكسي ينقله إلى مقر

إقامته بحي المعادي ويظل طوال تلك الليلة يدعو الله أن يهديه الرشاد ويبارك له فيما ينوي حتى يُخلص الناس من شر هؤلاء البشر الذين استباحوا الأعراض واستثمروا خطايا البشر وعاثوا في الأرض فسادًا حتى غلب عليه النوم.

❑❑❑

سلوى التي استرضت العبودية ورضخت لرغبات ديفيد بولوك وهالة فريد ظناً منها أنها تحمي أولادها حتى لا يحصدوا شرور خطيئتها التي استثمرها أتباع الشيطان استرضت أن تشاركهم في تنفيذ مآربهم لضرب استقرار الوطن حتى تتقطع أواصله ويسقط في فخ التقسيم والتهميش والتضليل فبدأت في تحضير أول برنامج ستقدمه في قناة الجزيرة مباشر مصر قبل سفرها في اليوم التالي لدولة قطر. وبينما كانت تقرأ ما تم إعداده لها استوقفها صدمة مفزعة وهي تشاهد ابنها رشدي يظهر في برنامج توك شو في إحدى القنوات الفضائية المصرية على أنه مؤسس صفحة «حملة الإشهار بالإلحاد» التي تطالب بمنح الحرية للمواطنين المصريين في مصر ليعلنوا إلحادهم وبأبسط حقوقهم الإنسانية، وهي: إلغاء قانون ازدراء الأديان، حذف خانة الديانة من شهادة الميلاد والبطاقة الشخصية لأنها تقسم المجتمع إلى فئات، وتفعيل المواد المعطلة أو الرمزية في الدستور التي تكفل حرية الاعتقاد والتعبير. سلوى وهي تشاهد ابنها يسخر من الدين الإسلامي ويجهر بكفره بوجود الإله الواحد يطفح على ملامحها تعبيرات بركانية فزعة كادت أن تذهب بعقلها تضرب كفيها على وجهها لعلها في كابوس

مفزع وستفيق منه تهلع لتردي ملابسها ثم تغادر منزلها لتركب سيارتها وتنطلق بسرعة الصاروخ نحو منزل رفعت رشدي وهي تسابق المسافة وتدفع الزمن لعلها تجد ابنها في حجرته يصلي ويقرأ القرآن كما تعودت أن تراه. وبطرقات استغاثة وملامح تكاد تنفجر من الصدمة تظل سلوى تطرق باب المسكن وهو تنادي بصوت صراخ على ابنها وابنتها حتى يفتح طليقها الباب ينظرها بعيون لائمة وملامح باغضة ليقول بصوت منكسر مهموم:

ماذا تريدي؟

سلوى بصوت استغاثة صارخ وملامح ذليلة تقول: أرجوك دعني أتحدث مع أولادي.

رفعت وما زالت تعبيرات البغض تعلو وجهه يقول بصوت تعجب مهموم: أولادك! الآن افتكرتي أن لك أولاد!.. ثم يتوجه إلى الداخل وهو يقول بصوت حرقة: أولادك خطفهم الضياع بسبب جنونك.

سلوى تهلع تجاه حجرة نوم نهلة تبحث عن ابنتها بعيون مكلومة وملامح مذعورة فلا تجدها فتتوجه إلى حجرة رشدي وفيضان من الدموع الصامتة الحائرة تنساب على وجنتيها تنادي عليه بصوت باك فلا تجده فتركع وهي تصرخ صرخة إستنجاد وتضرع إلى الله وتهزي مع نفسها قائلة: يا رب لقد كفرت عن خطيئتي وكنت زوجة صالحة ولم ارتكب المعاصي. أولادي ليس لهم ذنب فيما فعلته. يا رب. ماذا أفعل. لو كان الانتحار مباح لتخلصت من حياتي. أتوسل إليك يا الله أن ترحم أولادي. اللهم رحمتك وغفرانك.

رفعت يدخل حجرة رشدي ويجذب يد سلوى بقوة ويلقي بها على السرير ويصرخ في وجهها بصوت استفهام ثائر وملامح اتهام سافر: فسر لي ما سمعته. أية خطيئة التي تتحدثي عنها؟!

سلوى بصوت يئن من الندم وملامح أضناها الفرار من الاعتراف تقول وهي تنظر إلى طليقها نظرة ألم: سأعترف لك بكل ما أخفيه لعلنا نستطيع إبعاد الخطر عن أولادنا.. ثم تمسك بيد زوجها برفق لتجلسه بجوارها وتقص عليه ما كانت تخفيه عنه وهو ينصت إليها بذهول.

رفعت بعدما تنتهي سلوى من سرد روايتها الدرامية البائسة يظل صامتاً مذهولاً مهموماً لبضع دقائق ينظر إلى ملامح سلوى البائسة التعيسة المستغيثة يسيطر عليه مزيج من مشاعر صدمة خداعها له ومشاعر الفزع من هول التهديد الذي يتعرض له أولاده ثم يقول بصوت منكسر مهموم وملامح تائهة لا تعرف أين المفر: لماذا لم تخبريني بأنكِ كنتِ على علاقة بشخص من قبلي وأنكِ لم تكوني بكر. أنتِ لم تمنحيني فرصة الاختيار.

سلوى بعيون جفت من الدموع وملامح مذلولة مكسورة تقول بصوت مخنوق: كنت أريد أن أعترف لك وخشيت أن أفقدك.

رفعت وهو ينظرها بعيون جسمت خيوطها كل ألوان الطيف يقول بصوت جمعت نبرته بين نغمات الغضب والحزن والانكسار والتعجب: زواجنا بهذه الطريقة يعتبر زواج باطل. لقد تزوجت بكِ على أساس أنكِ فتاة بكر!

سلوى تمسك يده تحاول تقبلها تذللاً وهي تتوسل إليه قائلة: افعل ما شئت بي حتى لو قتلتني لن ألومك. لكن أرجوك لا تتخلى عن أولادك؛ ابنك رشدي يدعو إلى الإلحاد، ونهلة يحيط بها الشر من كل جانب.

رفعت: من سوء حظ أولادي أنكِ أمهم. ماذا أستطيع أن أفعل؟ أنت السبب في كل ما يحدث لهما. أنا أكرهك وأكره اليوم الذي تقابلت فيه معكِ.

سلوى بملامح انهيار وعيون زائغة فقدت الرغبة في الحياة تتجه إلى خارج الحجرة وتتجه لتغادر منزل رفعت وهي تردد كلمات غير مفهومة: الحل في المحلول. «اللى خدته القرعة تأخده أم الشعور».

تغادر سلوى منزل رفعت وهي في حالة فقدان للإدراك بعدما أصابتها التراكمات العصبية التي تعرضت لها بالجنون فتتوجه إلى قصر الاتحادية وتطلب مقابلة الرئيس المؤقت عدلي منصور، وعندما يتحدث معها طاقم الحراسة لمناقشتها في طلبها يصيبها حالة من الهياج العصبي وتحاول اقتحام الحاجز الأمني وهي تتفوه بكلمات غير مفهومة وتفعل حركات غير مسؤولة لتنقل على أثرها إلى مستشفى الأمراض العصبية والنفسية وتحجز هناك ٤٥ يوم لمتابعة حالتها وعمل التقرير النهائي بشأنها لمعرفة مدى سلامة قواها العقلية وما إذا كان هناك موانع لمسؤليتها عن أفعالها.

□□□

في اليوم التالي للقاء الذي تم بينهما يتقابل مصطفى مع سيف العدل في موقف التوكتوك بحي المنشية بعدما سحب مبلغ مائتي ألف جنيها من البنك ليتوجه الاثنان بعدها بالدراجة البخارية إلى أحد أوكار الجماعات الجهادية التكفيرية بمنطقة الدويقة. وبعدما يسلم مصطفى المبلغ إلى سيف يقول له بصوت لهفة وعيون ترقب لمعرفة خطة تنفيذ العملية:

هل دبرت لنا السلاح والعدة؟ وكيف سيتم التنفيذ؟

سيف بنظرة قاتمة زادت من حدة ملامحه الغليظة قسوة يقول بصوت تساؤول: قبل أي شيء. هل تخبرني بالسبب الذي دفعك لقتل من تريد قتلهما؟

مصطفى وهو يتفحص تعبيرات سيف المثيرة للريبة والشك يقول: لقد أخبرتك أنني لن أتحدث في هذا الشأن لأن الأمر يتعلق بأعراض مؤمنات محصنات. لقد أحضرت لك المال الذي طلبته.

سيف يخرج طبنجة من طيات ملابسه وهو يقول: لقد تم القبض عليك بمعرفة القائمين على تأمين ميدان رابعة العدوية في الليلة السابقة على فض الاعتصام. لماذا قُبض عليك؟

مصطفى وقد فطن لما يبطنه سيف من غدر يقول بملامح ساكنة وصوت ثابت الجأش: بالفعل لقد قبضوا علي ليلة فض الاعتصام بعد وشاية كاذبة أنني عين الشرطة.

سيف يرتسم على ملامحه الغليظة تعبيرات غرور ويقول بصوت تساؤول غلفه التهديد: هل كنت تظن أنك تستطيع خداعنا؟ نحن نعلم عنك كل شيء.

مصطفى بصوت تعجب وملامح تساؤول: هل كنت تعلم بهذا الأمر بالأمس؟!

سيف وهو يصوب الطبنجة نحوه يقول بصوت أجش وقد أظهر ما بداخله من غدر: لا تجيب على سؤالي بسؤال؟ لماذا تريد قتل هالة فريد وزوجها؟

مصطفى وقد استشعر خطورة ما يواجهه من غدر يقول بصوت مرتبك وملامح متوترة: أنهما السبب في تدمير حياتي. فهي التي تسببت في الزج بي في السجن عشرون عامًا. والأمريكي زوجها يشارك في مخطط نشر الفرقة والفوضى بين المصريين.

سيف وهو يجذب إجزاء الطبنجة وقد أفصحت ملامحه عن نية الفتك بمصطفى يقول بصوت كاشف: أنت خائن لا تساوي عندي شيء لكن رقبتك تساوي عند آخرين الملايين.

مصطفى وقد أصابه صوت سحب أجزاء الطبنجة بالفزع والهلع يدفعه حاجز الخوف وغريزة البقاء لينقض بكل ما يملك من قوة على يد سيف يحاول انتزاع الطبنجة من يدة ليدور بين الاثنين صراع ينتهي بمقتل مصطفى بعدما تخرج طلقة تصيب رأسه فترده قتيلاً في الحال. بعدها بدقائق معدودة يتم مداهمة الوكر بقوات العمليات الخاصة التابعة للأمن المركزي وتدور معركة غير متكافئة بين سيف وتلك القوات بعدما يرفض الاستسلام للشرطة وقاوم بإطلاق أعيرة نارية صوبهم ليتم بعدها استخراج الجثتين ويُعلن عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة عن مقتل الإرهابيين (مصطفى «عفيفي مرزوق» - سيف

العدل النجدي) النشطاء بالجماعة السلفية الجهادية اللذان اشتركوا في مقتل اللواء نبيل فراج خلال مداهمة أوكار الجماعات الأرهابية المتأسلمة بمنطقة كرداسة فجر يوم الخميس ١٩ سبتمبر ٢٠١٣م.

مات مصطفى وهو يبحث عن وسيلة ليمحو بها آثار الخطيئة التي ارتكبها خلال تحالفه مع الشيطان. قُتل بأيدي شخص ينتمي إلى الأفكار الضالة التي أضلها الجهل والفقر والحرمان فسلكت طريق الشر وهي ترفع راية الإسلام فدنستها وهي تدهس بأقدام معتنقيها الجاهلة الملعونة دماء الشهداء، ولم تراع حرمة ولم تبال بدموع الإبرياء ولا صرخات النساء والعجزة والأطفال. أستُشهد مصطفى وهو يحاول بفكره المحدود أن يقف أمام التحالف الشيطاني الذي تبلورت من فصائل الشر المتعددة التي اتفقت على إسقاط الدولة وإن اختلفت غايتهم من وارء هذا الإسقاط.

❑❑❑

سلوى الذي تسببت الظروف النفسية والعصبية التي تفوق طاقة تحمل بشر في فقدنها لعقلها نتيجة لإصابتها باضطرابات ذهانية[1]، ظلت طوال فترة الخمسة وأربعون يوماً التي وُضعت خلالها تحت الملاحظة

(1) اضطراباتُ الذُّهان هي اضطراباتٌ عَقلية أو نفسيَّة شديدة، تُسبِّب أشكالاً شاذَّة من التصوُّر والتفكير؛ فالمُصابُ بالذُّهان يفقد صلتَه بالواقع. وهناك عَرَضان رئيسيَّان للذهان هما: الأوهام والهَلوَسات أو الهَلاوس. والأوهامُ هي قناعاتٌ زائِفة من قبيل تَصوُّر أنَّ هناك من يتآمر على المريض، أو أنَّ التلفزيون يرسل إليه رسائل سرِّية. وأمَّا الهَلوَسات فهي أشكال من التصوُّر أو الإدراك الزَّائِف لا أساسَ لها، وذلك من قبيل سماع أو رؤية أشياء غير موجودة في الواقع، أو الإحساس بهذه الأشياء.

والاختبار تتخيل نفسها وتتعامل مع الآخرين على أنها فيروس إلكتروني يستطيع أن يدمر كل الأسطوانات المدمجة حتى هيأت لها هواجسها السمعية والبصرية أنها تخلصت من الأسطوانة التي تهدد حياتها وأن المخابرات الروسية تطلب منها الاشتراك في إفساد برامج التسليح والدفاع الأمريكي. وبعد انقضاء فترة المراقبة والملاحظة يتم إيداع سلوى إحدى مستشفيات الصحة النفسية والعصبية الخاصة المرخص بها وفقاً للقانون رقم ١٤٤ لسنة ١٩٤٤ بشأن حجز المصابين بأمراض عقلية بعدما جاء في التقرير الطبي بعدم مسؤوليتها وإدراكها للأفعال التي ترتكبها ولخطورتها على نفسها وعلى الآخرين.

وتمر عدة أيام بعد حجز سلوى بالمصحة النفسية الخاصة لتخضع لقرص علاج بالصدمات الكهربائية ويأتي صباح يوم ١٨ يناير ٢٠١٤م، والذي كان يوافق يوم إعلان نتيجة الاستفتاء على الدستور الجديد، لتستيقظ سلوى من نومها بعد خضوعها لإحدى الجلسات الكهربائية على المخ (جلسات تنظيم إيقاع المخ) وهي في حالة استرخاء شديدة لتفاجأ بشخص يرتدي ملابس بيضاء شديدة النصوع يمسك بيدها وهو يبتسم لها قائلاً بصوت مجسم ناعم:

لقد أرسلني لك الله يا سلوى.

سلوى بابتسامة رسمت على ملامحها الواهنة خطوط فرحة تقول بصوت متقطع ضعيف: هل أنت ملاك؟

الشخص الذي يرتدي الملابس الناصعة يقول بصوته الناعم المجسم: لقد جئت أخلصك من السجن والعذاب الذي تعيشي فيه.

سـلوى بنـبرة لهفـة علـت صوتهـا الواهـن: هل سـامحني اللـه على خطيئتي؟

الشخص الذي يرتدي الملابس الناصعة: نعم. وسيرفعك الله إلى السماء لتُخلدي هناك مع القديسيين والشهداء والأبراء.

سلوى وقد دبت في ملامحها الحيوية من شدة الفرحة تقول بصوت استعاد عافيته وقوته: لقد كنت أعلم أن الله سيغفر لي خطيئتي التي ظللت أكفر عنها طوال هذه السنوات.

الشخص الذي يرتدي الملابس الناصعة: هيا يا سلوى سوف نصعد من النافذة فقد حان وقت الصعود إلى السماء.

سلوى تنهض من سريرها وتتجه صوب المرآة تستعدل ملابسها وهيأتها ثم تمسك بيدها مصحف كانت تضعه على التسريحة الخاصة بها وتقبله ثم تقول بصوت براءة: الحمد لله لقد غفر لي الله خطيئتي وجعلني سببًا في تحطيم سلاح الشر الأمريكي.

الشخص الذي يرتدي الملابس الناصعة بتعبيرات مشتعلة من الغضب يقول بصوت به حدة: اتركي ما في يدك. لقد حان وقت انطلاقك إلى السماء.

سلوى بملامح بيضاء تشع بالصفاء تقول بصوت قناعة وإيمان: الله كريم غفور رحيم لو تأخرت دقيقة عن ميعاد صعودي إلى السماء سيغفر لي أنه الغفور الرحيم. سأكتب رسالة إلى أولادي أخبرهم فيها أنني سأصعد إلى السماء بعدما غفر الله لي خطيئتي وقبلني مع الصدقين والشهداء والأبرار.

الشخص الذي يرتدي الملابس الناصعة يقول بصوت غلظة وقد بدأت ملامحه في التبدل وتعلقت به تعبيرات قاتمة: اكتبي الرسالة في عجالة.

سلوى تبدأ كتابة خطابها وتردد ما تكتبه بنغمات ترنيم ودعاء تنتهي بنغمات باكية راجية متوسلة: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧-٩]. أولادي فرحة حياتي. زوجي الحبيب. أبي وأمي الأعزاء. شقيقي الغالي. سأرحل إلى السماء بعدما دعاني الله. أودعكم وأنا على ثقة أن الله سيرعاكم فسبحانه خير راع وهو أرحم الراحمين. «**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**».

الشخص الذي يرتدي الملابس الناصعة يمسك بيدها وهو ينظرها بنظرة زالت عنها القناع الذي كان يخفيها قائلاً بصوت نُزعت منه نبرة الارتياح: لقد وضعت لك المقعد لتصعدي عليه لتلقي بنفسك من النافذة لتحلقي في السماء وتصعدي إلى الخلود.

سلوى تتوجس خيفة من نظرته التي تبدلت وتنزع يدها وهي تستعيذ بالله لتقول بصوت فزع وصدمة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

الشخص الذي يرتدي الملابس الناصعة يحاول الإسراع بها نحو النافذة فتسقط على الأرض وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة وتنطق بالشهادة ثم ترقد في سلام وقد عادت إلى ملامحها الواهنة نظارتها وارتسمت على تعبيراتها السماحة والرضاء وهي ترفع يدها اليمنى بعلامة التوحيد. بعدها بدقائق معدودة يدخل الطبيب المعالج لها للحجرة فيجدها ملاقاة على الأرض وحيدة ويكتشف أنها فارقت الحياة نتيجة تعرضها لسكتة قلبية مفاجئة.

فارقت سلوى الحياة بعد معاناة نفسية شديدة ذهبت بعقلها لكنها لم تذهب بإيمانها أن الله يغفر الخطايا ويمهل الإنسان ليتوب عنها. أسلمت سلوى روحها إلى بارئها ومن قبلها مصطفى وقد تركا العديد من التساؤلات:

يا من يسيطر عليه الشر ويحركه وساوس شيطان الخسة والندالة أو شيطان الفسق والفجور فينشر المشاهد الإباحية بعد ارتكابه للخطيئة هل تستوعب ما حجم الجرم الذي ترتكبه؟! هل تستوعب مقدار الانحطاط الأخلاقي الذي يسيطر عليك وأنت ترتكب هذا الفعل الدنيء؟.. ما ذنب الفتاة أو السيدة التي شاركتك في الخطيئة وهي لا تعلم أنها على موعد مع شيطان الميديا؟.. لماذا تقطع على نفسك وعلى من شاركتك الخطيئة الستر لعل الله يغفر لكما خطيئتكما؟.. هل تعلم أنك بهذا الفعل الإجرامي الخسيس قد تدمر أشخاصًا أبرياء ليس لهم ذنب في هذه الخطيئة سوى أنهم يرتبطون بصلة قرابة لا يمكن الفكاك منها مع الضحية الخاطية؟.. هل تعلم أنك بهذا الفعل المنحط تدنس الحضارة

الإنسانية وتجعل من نفسك مخلوق أدنى من الحيوان؟.. من المسؤول عن انحطاط القيم وضياع المثل واضمحلال الوازع الديني والأخلاقي وتشوه السلوك وتشرذم الانتماء وتبلد المشاعر؟.. هل أصبحنا نعيش في غابة المنفعة واللذة في دنيا العولمة حيوانات ليس لها منفعة تحكمنا قواعد وسلوك وعادات لم نأخذ منها سوى قيم الانحطاط وسلوك الإمعة؟

تمت بحمد الله

القاهرة في ٢٠ يوليو ٢٠١٤م

د محمد الوكيل